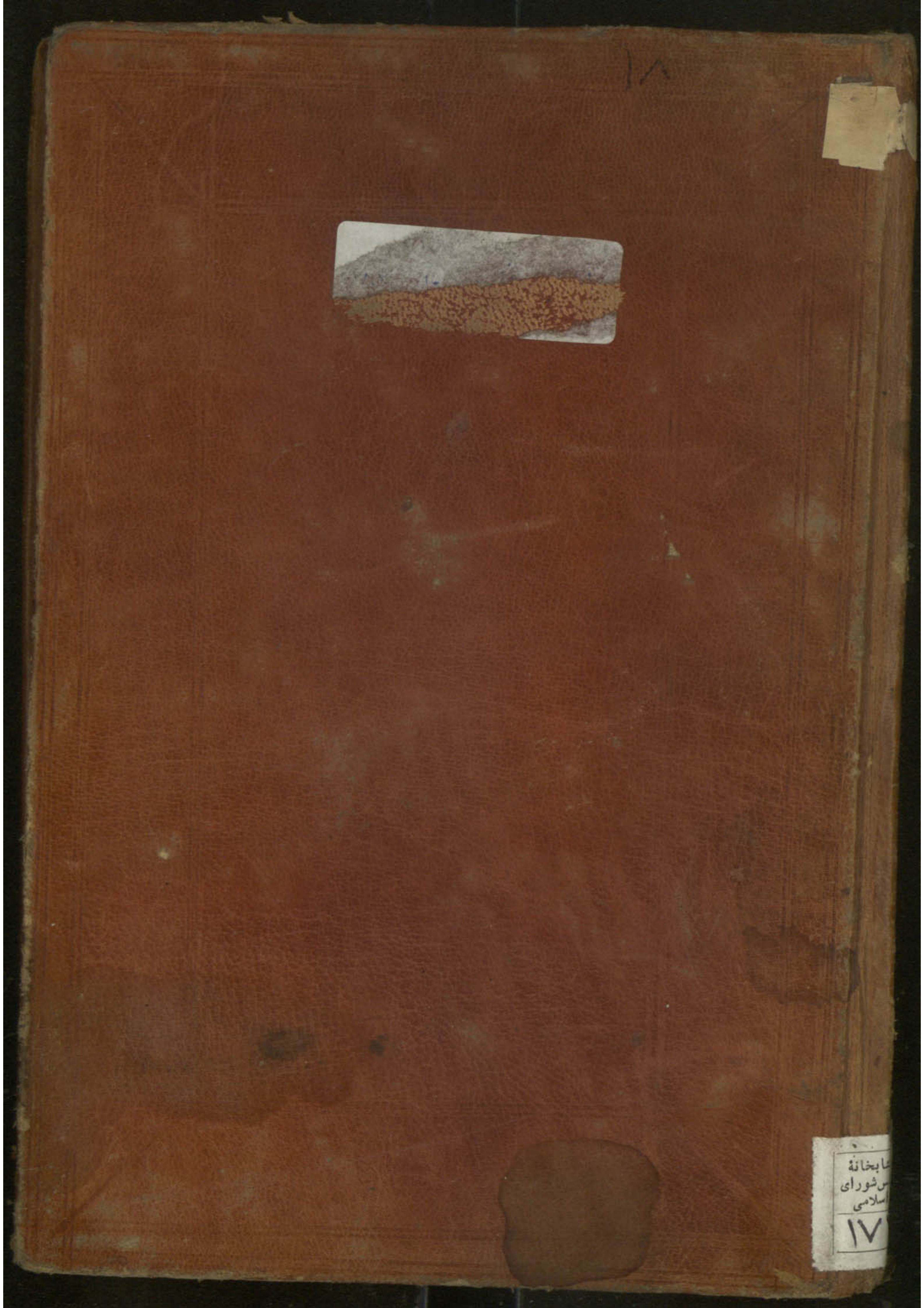
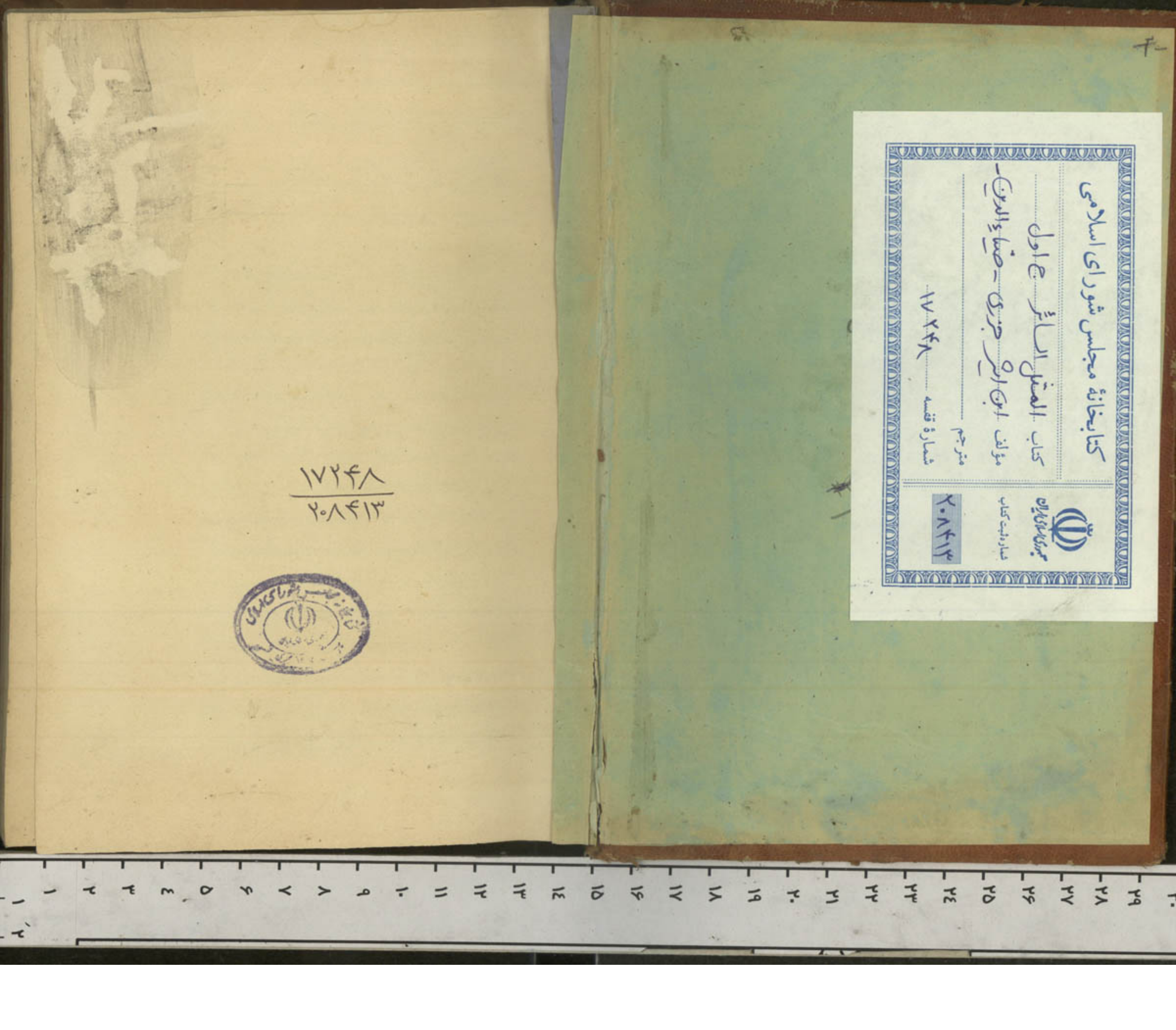


۱۸
شورای
اسلامی
۱۷


کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
کتاب المثل السائر ج اول
مؤلف ابن اثیر جزری - ضیاء الدین
مترجم
شمارهٔ قفسه ۱۷۲۴۸
شماره ثبت کتاب
۲۰۸۴۱۳
۱۷۲۴۸
۲۰۸۴۱۳

بسم الله الرحمن الرحيم

نسئل الله ان يبلغ بنا من الحمد ما هو اهله وان يعلمنا من البيان ما يقصر عنه
مزية النطق وفضله وحكمة الخطاب وفصله ونرغب اليه ان يوفقنا للصلوة على
رسوله محمد الذي هو افصح من نطق بالضاد ونسخ بهدايته شريعة كل هاد وعلى آله وصحبه الذي
منهم من جنى وبدر ومنهم من صابر وصبر ومنهم من اوى ونصر اما بعد
فان علم البيان لتاليف النظم والنثر بمنزلة اصول الفقه لاستنباط ادلة الاحكام وقد الف
الناس فيه كتبا وجلبوا ذهبا وحطبوا حطبا وما من التاليف الا وقد تصفحت سمينه
وغثه وعلمت غثه وسمينه فلم اجد ما ينتفع به في ذلك الا كتاب الموازنة لابي القاسم
الحسن بن بشر الآمدي وكتاب سر الفصاحة لابي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي غير ان كتاب الموازنة
اجمع اصولا واجدى محصولا وكتاب سر الفصاحة وان نبه على نكت منيفة فانه قد اكثر مما قل

مقدار

من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مقدار كتابه
مما لا حاجة الى ذكره ومن الكلام في مواضع اخر شذ عنه الصواب فيها وسيرد بيان
ذلك كله في مواضعه من هذا الكتاب على ان كلا الكتابين قد اهمل من هذا العلم
ابوابا ولربما ذكر في بعض المواضع قشورا وترك لبابا وكنت عثرت على ضروب
كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ولم اجد احدا ممن تقدمني تعرض لذكر شيء منها
وهي اذا عدت كانت من هذا العلم بمقدار شطره واذا نظر الى فوائدها وجدت محتوية
عليه باسره وقد اوردتها ها هنا وشفعتها بالضروب الاخر المدونة في الكتب المتقدمة
بعد ان حذفت منها ما حذفته واضفت اليها ما اضفته وهداني الله لابتداع
اشياء لم يكن من قبلي مبتدعها ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون اقوالها تابعة
وانما تكون متبوعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى غيره من الكتب
وقد بنيته على مقدمة ومقالتين فالمقدمة تشتمل على اصول علم البيان والمقالتان
تشتملان على فروعه فالاولى في الصناعة اللفظية والثانية في الصناعة المعنوية ولا
ادعي فيما الفته فضيلة الاحسان ولا السلامة من سبق اللسان فان الفاضل من تعد
سقطاته وتحصى غلطاته وليس بالاحسان ظنا لا لكن هو
بابه ونثره مفتون واذا تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع في اغرابه وليس له
صاحب من الكتب فيقال انه مفرد من بين اصحابه ومع ذلك فاني ابتدعت نظام هذا
العلم دون خافيه وجئت جواهره ولم اقم فيه اذ الغرض انما هو الحصول
على تعليم الكلم التي بها تنتظم العقود فترصع وتجلب العقول فتخدع وذلك شيء تجيل
عليه الخواطر لا تسطر به الدفاتر واعلم ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان

على حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب وان كان مما يلقيه
اليك استاذا واذا سألت عما ينتفع به في فنه قيل هذا فان الدربة والادمان اجدى عليك
نفعا واهدى بصرا وسمعا وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول امكانا
وكل جارحة منك قلبا ولسانا فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط بادمانك
ما اخطاك وما مثلي فيما مهدته لك من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعه
في يمينك لتقاتل به وليس عليه ان يخلق لك قلبا فان حمل النصال غير مباشرة القتال
وانما يبلغ الانسان غايته ما كل ماشية بالرحل شملال ولنرجع الى ما نحن بصدد
ذكره فنقول اما مقدمة الكتاب فانها تشتمل على عشرة فصول الفصل الاول في موضوع

علم البيان موضوع كل علم هو الشيء الذي يسأل فيه عن احواله التي تعرض لذاته
فموضوع الفقه هو افعال المكلفين والفقيه يسأل عن احوالها التي تعرض لها من الفرض
والنفل والحلال والحرام والندب والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن الانسان
والطبيب يسأل عن احواله التي تعرض له من صحته وسقمه وموضوع الانسان الحساب
هو الاعداد والحاسب يسأل عن احوالها التي تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة
وغير ذلك وموضوع النحو هو الالفاظ والمعاني والنحوي يسأل عن احوالها في الدلالة
من جهة الاوضاع اللغوية وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم وبهذا الضابط انفرد
كل علم برأسه ولم يختلط بغيره وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة
وصاحبه يسأل عن احوالهما اللفظية والمعنوية وهو والنحوي يشتركان في ان النحوي
ينظر في دلالة الالفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة وصاحب علم
البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة والمراد بها ان تكون على هيئة

مخصوصة

مخصوصة من الحسن وذلك امر وراء النحو والاعراب الا ترى ان النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم
والمنثور ويعلم مواقع اعرابه ومع ذلك فانه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن ههنا
غلط مفسروا الاشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيه من الكلمات اللغوية وتبيين
مواضع الاعراب دون شرح ما تضمنه من اسرار الفصاحة والبلاغة الفصل الثاني
في آلات علم البيان اعلم ان صناعة تاليف الكلام من المنثور والمنظوم تفتقر الى آلات
كثيرة وقد قيل ينبغي للكاتب ان يتعلق بكل علم حتى قيل ان كل ذي علم يسوغ له ان ينسب اليه
فيقول فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له ان ينسب نفسه الى الكتابة
فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر اليه من الخوض في كل فن وملاك هذا كله الطبع
فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغني تلك الآلات شيئا ومثال ذلك كمثل النار الكامنة
في الزناد والحديدة التي يقدح بها الا ترى انه اذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك
الحديدة شيئا وكثيرا ما راينا وسمعنا من غرائب الطباع في تعلم العلوم حتى ان
بعض الناس يكون له نفاذ في تعلم علم مشكل المسلك صعب المأخذ فاذا كلف تعلم
ما هو سهل العلوم نكص على عقبه ولم يكن فيه نفاذ واغرب من ذلك ان صاحب دون من
الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء او في الهجاء دون المديح او يجيد في
المراثي دون التهاني او في التهاني دون المراثي وكذلك صاحب الطبع في المنثور
هذا ابن الحريري صاحب المقامات قد كان على ما ظهر عنه من تنميق المقامات
واحدا في فنه فلما حضر بغداد ووقف على مقاماته قيل هذا يستصلح لكتابة الانشاء
في ديوان الخلافة وحسن اثره فيه فاحضر وكلف كتابة كتاب فافحم ولم يجر
لسانه في طويلة ولا قصيرة فقال فيه بعضهم شيخ لنا من ربيعة الفرس

يتيه عشويه من الهوس ٭ اطعمه الله بالمنان قد ٭
الجمع في بغداد بالحرس ٭

وهذا مما يتعجب منه وسئلت عن ذلك فقلت لا عجب لأن المقامات مدارها
جميعها على حكاية تخرج الى مخلص واما المكاتبات فانها بحر لا ساحل له لان المعاني تتجدد
فيها بتجدد حوادث الايام وهي متجددة على عدد الانفاس الا ترى انه اذا خطب الكاتب
المفلق عن دولة من الدول الواسعة التي يكون لسلطانها سيف مشهور وسعي مذكور
ومكث على ذلك برهة يسيرة لا تبلغ عشر سنين فانه يدون عنه بالمكاتبات ما يزيد على
عشرة اجزاء كل جزء منها اكبر من مقامات الحريري حجما لانه اذا كتب في كل يوم كتابا واحدا اجتمع
من كتبه اكثر من هذه العدة المشار اليها واذا انتخلت وغربلت واختير الاجود منها اذ تكون
كلها جيدة فيخلص منها النصف وهو خمسة اجزاء والله يعلم ما اشتملت عليه من العجائب
والغرائب وما حصل في ضمنها من المعاني المبتدعة على ان الحريري قد كتب في اثناء مقاماته
رقاعا في مواضع عدة فجاء بها منحطة عن كلامه في حكاية المقامات لا بل جاء بالغث البارد
الذي لا نسبة له الى باقي كلامه فيها وله ايضا كتابة انشأها خارجة عن المقامات واذا وقف
عليها اقسم ان قائل هذه غير قائل هذه لما بينهما من التفاوت البعيد وبلغني عن الشيخ ابي محمد احمد بن الخشاب
رحمه الله انه كان يقول ابن الحريري رجل مقامات اي انه لم يحسن من الكلام المنثور سواها
وان اتى بغيرها فلا يقول شيئا فانظر ايها المتامل الى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة
من الكلام المنثور ومن اجل ذلك قيل شيئان لا نهاية لهما البيان والجمال وعلى هذا
فاذا ركب الله تعالى في الانسان طبعا قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ الى ثمانية انواع من
الآلات النوع الاول منها معرفة علم العربية من النحو والتصريف النوع الثاني معرفة ما يحتاج

اليه من اللغة وهو المتداول المالوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب
ولا المستكره المعيب النوع الثالث معرفة امثال العرب وايامهم ومعرفة الوقايع التي
جاءت في حوادث خاصة باقوام فان ذلك يجري مجرى الامثال ايضا النوع الرابع
الاطلاع على تاليفات من تقدمه من ارباب هذه الصناعة المنظوم منه والمنثور والتحفظ
للكثير منه النوع الخامس معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضاء
وغير ذلك النوع السادس حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في مطاوي
كلامه النوع السابع حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه
وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال النوع الثامن وهو مختص
بالناظم دون الناثر وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر ولنذكر
بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الانواع ليعلم ان معرفتها مما تمس الحاجة اليه فنقول
اما علم النحو فانه في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة ابجد في تعليم الخط وهو اول
ما ينبغي اتقان معرفته على انه ليس مختصا بهذا العلم خاصة بل لكل علم لا بل ينبغي معرفته
لكل احد ينطق باللسان العربي ليامن معرة اللحن ومع هذا فانه وان احتيج اليه في
بعض الكلام دون بعض لضرورة الافهام فان الواضع لم يخص منه شيئا بالوضع بل جعل
الوضع عاما والا فاذا نظرنا الى ضرورته واقسامه المدونة وجدنا اكثرها غير محتاج اليه
في افهام المعاني الا ترى انك لو امرت رجلا بالقيام فقلت له قوم باثبات الواو ولم تجزم
لما اختل من فهم ذلك شيء وكذلك الشرط لو قلت ان تقوم اقوم ولم تجزم لكان
المعنى مفهوما والفضلات كلها تجري هذا المجرى كالحال والتمييز والاستثناء فاذا قلت
جاء زيد راكب وما في السماء قدر راحة سحاب وقام القوم الا زيد فلزمت السكون

في ذلك كله ولم تبين اعرابا لما توقف الفهم على فهم الراكب والسحاب ولا على نصب زيد وهكذا
يقال في المجرورات وفي المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفي المبتدأ والخبر وغير ذلك
من اقسام اخرى لا حاجة الى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يفهم الا بقيود
تقيده وانما يقع ذلك في الذي تدل صيغته الواحدة على معان مختلفة ولنضرب لذلك
مثالا فنقول اعلم ان من اقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم الفاعل
فانه اذا لم تكن ثمة علامة تبين احدهما من الآخر لاشكل الامر كقولك ضرب زيد عمرو ولو كان
زيد المضروب فانك اذا لم تنصب زيدا وترفع عمروا فلا يفهم ما اردت وعلى هذا
ورد قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل ما احسن زيد
ولم تبين الاعراب في ذلك لما علمنا غرضه اذ يحتمل ان يريد به التعجب من حسنه او يريد
به الاستفهام عن اي شيء منه احسن ويحتمل ان يريد به الاخبار بنفي الاحسان
عنه ولو بين الاعراب في ذلك فقال ما احسن زيدا وما احسن زيد وما احسن زيد
علمنا غرضه وفهمنا مغزى كلامه لانفراد كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة بما يعرف به
من الاعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة النحو اذ كان ضابطا لمعاني الكلام
حافظا لها من الاختلال واول من تكلم في النحو ابو الاسود الدؤلي وسبب ذلك
انه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا ابه ما اشد الحر متعجبة ورفعت
اشد فظنها مستفهمة فقال شهرنا ناجر فقالت يا ابه انما اخبرتك
ولم اسألك فاتى علي بن ابي طالب عليه السلام فقال ذهبت لغة العرب ويوشك ان تطاول
عليها زمان ان تضمحل فقال له وما ذاك فاخبره خبر ابنته فقال هلم صحيفة ثم املى
عليه الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم عليه رسوما فنقلها

المفعول

النحويون

النحويون في كتبهم وقيل ان ابا الاسود دخل على زياد بن ابيه بالبصرة فقال اني ارى
العرب قد خالطت العجم وتغيرت السنتهم افتاذن لي ان اضع لهم ما يقيمون به
كلامهم فقال لا فقام من عنده ودخل عليه رجل فقال ايها الامير مات ابانا وخلف
بنون فقال زياد مات ابانا وخلف بنون ردوا علي ابا الاسود فردوه فقال
اصنع ما كنت نهيتك عنه فوضع شيئا ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه
ثم جاء بعده عنبسة بن معدان المهري ثم جاء بعده عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي
وابو عمرو بن العلاء فزاد عليه ثم جاء بعده الخليل بن احمد الازدي وتتابع الناس
واختلف البصريون والكوفيون في بعض ذلك فهذا ما نعني من امر النحو واول
وضعه وكذلك العلوم كلها وضع منها في مبادئ امرها شيء يسير ثم تزايد بالتدريج
الى ان تكمل فان قيل اما علم النحو فمسلم اليك انه تجب معرفته لكن التصريف انما
هو معرفة اصل الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها وهذا لا تضر جهله ولا تنفع
معرفته ولنضرب لذلك مثالا كيف اتفق فنقول اذا قال القائل رايت سرحانا
لا يلزمه ان يعرف الالف في هذه الكلمة زائدة هي ام اصلية لان العرب لم تنطق بها الا
كذلك ولو قال سرحن بغير الف لما جاز لاحد ان يزيد الالف فيها من عنده
فيقول سرحانا فعلم بهذا انه انما ينطق بالالفاظ كما سمعت عن العرب من غير زيادة
فيها ولا نقص وليس يلزم بعد ذلك ان يعلم اصلها ولا زيادتها لان ذلك
امر خارج عما تقتضيه صناعة تاليف الكلام الجواب عن ذلك انا نقول اعلم انا
لم نجعل معرفة التصريف كمعرفة النحو لان الكاتب او الشاعر اذا كان عارفا بالمعاني
مختارا لها قادرا على الالفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بعلم النحو فانه يفسد

ما يصوغه من الكلام ويحمل عليه ما يقصده من المعاني كما اريناك في المثال المتقدم
واما التصريف فانه اذا لم يكن عارفا به لم يفسد عليه معنى كلامه وانما يفسد عليه الا
الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسياتي بيان ذلك في تحرير الجواب فنقول
اما قولنا ان التصريف لا حاجة اليه واستدلاله بما ذكره من المثال المضروب
فان ذلك لا يتعرف الكلام به الا ترى انك مثلت كلامك في لفظة سرداح
وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الالف فيها ازائدة هي ام اصل لانها انما نقلت
عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرد الا فيما هذا
سبيله من نقل الالفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال فاما اذا اريد تصغيرها
او جمعها او النسبة اليها فانه اذا لم يعرف الاصل من حروف الكلمة وزيادتها
وحذفها وابدالها ضل حينئذ عن السبيل ونشا من ذلك مجال العائب
والطاعن الا ترى انه اذا قيل للنحوي وكان جاهلا بعلم التصريف كيف تصغر
لفظة اضطراب فانه يقول ضطيرب ولا يلام على جهله بذلك لان الذي
تقتضيه صناعة النحو قد اتى به وذلك ان النحاة يقولون اذا كانت الكلمة
على خمسة احرف وفيها حرف زائد اولم يكن حذفته نحو قولهم في منطلق
مطيلق وفي جحمرش جحيمر فلفظة منطلق على خمسة احرف وفيها حرفان زيدا
هما الميم والنون الا ان الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم تحذف وحذفت النون
واما لفظة جحمرش فخماسية لا زيادة فيها وحذف منها حرف اصلي ولم يعلم النحوي
ان علماء النحو انما قالوا ذلك جملا اتكالا منهم على تحقيقه من علم التصريف لانه
لا يلزمهم ان يقولوا في كتب النحو اكثر مما قالوا وليس عليهم ان يذكروا في باب من ابوا

النحو

النحو شيئا من التصريف لان كلا من النحو والتصريف علم منفرد براسه غير ان احدهما
مرتبط بالاخر ومحتاج اليه وانما قلت ان النحوي اذا سئل عن تصغير لفظة اضطراب
يقول ضطيرب لانه لا يخلو اما ان يحذف من لفظة اضطراب الالف او الضاد
او الطاء او الراء او الباء وهذه الحروف المذكورة غير الالف ليست من حروف الزيادة
فلا تحذف بل الاولى ان يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الذي ليس بزائد فلذلك
قلنا ان النحوي يصغر لفظة اضطراب على ضطيريب فيحذف الالف التي هي حرف
زائد دون غيرها واما ان يعلم ان الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وانه اذا
اريد تصغيرها تعاد الى الاصل الذي كانت عليه وهو التاء فيقال ضتيريب
فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وتكليف النحوي الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك
تكليفه على ما لم يعلمه فثبت بما ذكرناه انه يحتاج الى علم التصريف لئلا يغلط في
في مثل هذا ومن العجب ان يقال انه لا يحتاج الى معرفة التصريف الم يعلم ان نافع
بن ابي نعيم وهو من اكبر القراء السبعة قدرا وافخمهم شانا قال في معايش
بالهمزة ولم يعلم الاصل في ذلك فاخذ عليه وعيب من اجله وممن عابه
ابو عثمان المازني وقال في كتابه في التصريف ان نافعا لم يدر ما العربية وكثيرا
ما يقع في مثل هذه المواضع اهل العلم فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع
لهم عليها واذا علم حقيقة الامر في ذلك لم يغلط فيما يوجب قدحا ولا طعنا
وهذه لفظة معايش لا يجوز همزها اجماعا من علماء العربية لان الياء فيها ليست
مبدلة من همزة وانما الياء التي تبدل من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد الف
الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا يكون عينا نحو سفاين

وفي هذا الموضع غلط نافع رحمة الله عليه لانه لا شك اعتقد ان معيشة بوزن
فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر الى ان الاصل في معيشة معيشة على وزن
مفعلة وذلك لان اصل هذه الكلمة من عاش التي اصلها عيش على وزن فعل
ويلزم مضارع فعل المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يعيش ثم تنقل حركة العين الى
الفاء فيصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم تخفف
ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما يقال مسير به ثم تؤنث فيصير معيشة ومع هذا
فلا ينبغي لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر ان يهمل من علم العربية ما يخفى عليه
باهماله اللحن الخفي فان اللحن الظاهر قد كثرت معاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه
غير النحوي ولا شك ان قلة المبالاة بالامر واستشعار القدرة عليه توقع صاحبه فيما
لا يشعر انه وقع فيه فيجهل بما يكون عالما به الا ترى ان ابا نواس كان معدودا في
طبقات العلماء مع تقدمه في طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه فقال
في صفة الخمر شعر كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على ارض من الذهب *
وهذا لا يخفى على مثل ابي نواس فانه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه في شيء
[illegible] على النقل من غير تصرف وقول ابي نواس صغرى وكبرى
غير جائز فان فعلى افعل لا يجوز حذف الالف واللام منها وانما يجوز حذفهما من فعلى
التي لا افعل لها نحو حبلى الا ان تكون فعلى افعل مضافة وههنا قد عريت عن الاضافة
عن الالف واللام فانظر كيف ابو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط
ابو تمام في قوله بالقائم الثامن المستخلف اطّادت * قواعد الملك ممتدا لها الطول *
الا ترى انه قال اطّادت والصواب اتطدت لان التاء تبدل من الواو في موضعين

احدهما

احدهما مقيس عليه لهذا الموضع لانك اذا بنيت افتعل من الوعد قلت اتعد ومثله ما في
هذا البيت فانه من وطد يطد كما يقال وعد يعد فاذا بني منه افتعل قيل اتطد ولا
يقال اطاد واما غير المقيس فقولهم في وجاه تجاه وقالوا تكلان واصله الواو لانه من وكل
يكل فابدلت الواو تاء للاستحسان فهذه الامثلة قد اشرت اليها ليعلم مكان الفائدة
في مثالها ويتوقى على التي لم اجد احدا من الشعراء المفلقين سلم من ذلك فاما ان يكون
لحنا ظاهرا يدل على جهله بمواقع الاعراب واما ان يكون اخطا في تصريف الكلمة ولا
اعني بالشعراء من هو قريب عهد بزماننا بل اعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي
ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كابي تمام ومن سبقه كابي نواس والمعصوم من
عصمه الله تعالى على ان المخطئ في التصريف نادر وقوعا والمخطئ في النحو لانه قل ما يقع له كلمة
يحتاج في استعمالها الى الابدال والنقل فيخطئ فيها واما النحوي فانه يقع الخطا فيه كثيرا
حتى انه ليشتد ظاهرة في بعض الاحوال فكيف خافية لقول ابي نواس في الامير محمد رحمه الله
يا خير من كان ومن يكون * الا النبي الطاهر الميمون *
فرفع في الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافيه في شيء وكذلك
قال ابو الطيب المتنبي ارايت همة ناقتي في ناقة * نقلت يدا سرحا وخفا مجمرا
وقال ايضا تركت دخان الرمث في اوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا *
وتكرمت ركباتها عن مبرك * تقعان فيه وليس مسكا اذفرا *
فجمع في حال التثنية لان الناقة ليس لها الا ركبتان فقال ركبات وهذا من اظهر
ظواهر النحو وقد خفي على مثل المتنبي ومع هذا فينبغي لك ان تعلم ان الجهل بالنحو
لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه لانه رسوم قوم تواضعوا

تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم واما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب
لكن الشاعر ربما احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاحوال الى ادغام حرف والى فك ادغام
من اجل اقامة الميزان الشعري واما النوع الثاني وهو قولنا انه يحتاج الى معرفة اللغة
ما تداول استعماله فسيرد بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة والكلام على جيدها ورديها
في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية ويفتقر ايضا مؤلف الكلام الى معرفة عدة اسماء
لما يقع استعماله في النظم والنثر ليجد اذا ضاق به موضع في كلامه بايراد بعض هذه
الالفاظ فيه العدول عنه الى غيره مما هو في معناه وهذه الاسماء تسمى المترادفة وهي
اتحاد المسمى واختلاف اسمائه كقولنا الخمر والراح والمدام فان المسمى بهذه الاسماء شيء
واحد واسماء كثيرة وكذلك يحتاج الى معرفة الاسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال
التجنيس في كلامه وهو اتحاد الاسم واختلاف المسميات كالعين فانها تطلق على العين
الناظرة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وغيره الا ان الاسماء المشتركة تفتقر في الاستعمال
الى قرينة تخصصها كيلا تكون مبهمة لانا اذا قلنا عين ثم سكتنا وقع ذلك على
محتملات كثيرة من العين الناظرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو موضوع بازاء
هذا الاسم واذا قرنا اليه قرينة تخصصه زال ذلك الابهام بان نقول عين حسناء
او عين فضاخة او عين ملثة او غير ذلك وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية
فمنهم من ينكر ان يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ويقول ان ذلك يخل
بفائدة وضع اللغة لان اللغة صح انما هي وضع الالفاظ في دلالتها على المعاني اي وضع الاسماء
على المسميات ليكون مبينة عنها والاشتراك لا بيان فيه وانما هو ضد البيان
لكن طريق البيان ان يجعل احد البيان في اللفظ المشترك حقيقة والاخر مجازا فاذا قلنا

هذه

هذه كلمة شاعرة فهم منه القصيدة المقصدة من الشعر وهي مجموع من كلمات كثيرة ولو
اطلقناها من غير تقييد واردنا القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتة هذا خلاصة ما ذهب اليه
من ينكر وقوع اللفظ المشترك على المعنيين بالحقيقة وفي ذلك ما فيه وسأبين ما يتخلله من
الخلل فاقول ان فائدة وضع اللغة هو البيان واللفظ المشترك مخل بهذه الفائدة وهذا

في الجواب عن ذلك مما استخرجته فكري ولم يكن لاحد فيه قول من قبلي وهو اما قولك
صح

غير مسلم بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين اما البيان فقد وفى به الاسماء
التي هي كل اسم واحد دل على مسمى واحد فاذا اطلق اللفظ من هذه الاسماء كان بينا
مفهوما لا يحتاج الى قرينة ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيئا غيرها لكان كافيا
في البيان واما التحسين فان الواضع لهذه اللغة العربية التي هي احسن اللغات نظر
الى ما يحتاج اليه ارباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأى ان
من مهمات ذلك التجنيس ولا يقوم به الا الاسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد
دل على مسميين فصاعدا فوضعها من اجل ذلك وهذا الموضع يتجاذبه جانبان
يترجح احدهما على الاخر وبيانه ان التجنيس يقتضي وضع الاسماء المشتركة ووضعها
مخل بفائدة البيان عند اطلاق اللفظ وعلى هذا فان وضعها الواضع ذهب
بفائدة البيان وان لم يضع ذهب بفائدة التجنيس لكنه ان وضع استدرك
ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة وان لم يضع لم يستدرك ما ذهب من
فائدة التجنيس فترجح حينئذ فائدة الوضع فوضع فان قيل فلم لا نسب الاسماء
المشتركة الى اختلاف القبائل لا الى واضع واحد قلت في الجواب هذا تعسف
لا حاجة فيه والدليل على ان هذه الاسماء من واضع واحد انا قد نرى من الجمع
ما يقع على مسميين اثنين كقولهم كعاب جمع كعب الذي هو كعب الرجل وكعبة

وهي البنية المعروفة فاذا اطلقنا اللفظ فقلنا كعاب من غير قرينة لا ندري
ما المراد من ذلك اكعب الرجل ام البنية المعروفة وكذا ورد واحد وجمع
على وزن واحد كقولهم راح اسم للخمر وراح جمع راحة وهي الكف وكقولهم
عقاب وهو الجزاء على الذنب وجمع عقبة ايضا وفي اللغة من هذا كثير
وهو بالاجماع من علماء العربية انه لم يجر فيه خلاف من القبايل فاتضح
بهذا ان الاسماء المشتركة من واضع واحد وكان فاوضني بعض الفقهاء
في قوله تعالى في سورة البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقال ان لون
البقرة كان اسود والاصفر هو الاسود فانكرت عليه هذا القول فاخذ يجادل
مجادلة غير عارف وبعد ذلك النقاش وتفسير البلادري فقلت له اعلم ان
هذا الاسم الذي هو الاصفر لا يخلو في دلالته على الاسود من وجهين اما انه
من الاسماء المتباينة التي يدل كل اسم منها على مسمى واحد كالانسان والاسد
والفرس وغير ذلك واما ان يكون من الاسماء المشتركة يدل الاسم منها على
مسميين فصاعدا ولا يجوز ان يكون من الاسماء المتباينة لانا نراه متجاذبا
بين لونين احدهما هذا اللون الزعفراني الشكل والاخر اللون المظلم الشكل
وعلى هذا فانه يكون من الاسماء المشتركة فلا بد له من قرينة تخصصه باحد الشيئين
ونرى تلك القرينة مخصصة له باللون الزعفراني دون اللون المظلم لانه
قال صفراء فاقع لونها والفاقع من صفات اللون الزعفراني خاصة لانه قد ورد
للالوان صفات متعددة لكل لون منها صفة فقيل ابيض يقق واسود حالك واحمر
قان واصفر فاقع ولم يقل اسود ولا اصفر حالك فعلم حينئذ ان لون البقرة لم يكن اسود وانما

وكان اصفر فلما تحقق عند ذلك الفقيه ما اشرت اليه اذعن بالتسليم **واما النوع الثالث**
فهو معرفة امثال العرب وايامهم ومعرفة الوقايع التي وردت في حوادث خاصة باقوام
وقولي هذا لا يقتضي كل الامثال الواردة عنهم فان منها ما لا يحسن استعماله كما ان من الفاظهم
ايضا ما لا يحسن استعماله وكنت قد جردت من كتاب الامثال الميداني اوراقا خفيفة
تشتمل على الحسن من الامثال يدخل في باب الاستعمال وسبيل المتصدي لهذا الفن ان
يسلك ما سلكته وليعلم ان الحاجة اليه شديدة وذلك ان العرب لم تضع الامثال الا لاسباب
اوجبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لامر من الامور عندهم كالعلامة التي يعرف
بها الشيء وليس في كلامهم اوجز منها ولا اشد اختصارا وسبب ذلك ما اذكره لتكون
من معرفته على يقين فاقول قد جاء عن العرب من جملة امثالهم ان يبغ عليك قومك لا يبغ
عليك القمر وهو مثل يضرب للامر الظاهر المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد
انه بلغنا ان بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة
اربع عشرة من الشهر فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل
ان يطلع الشمس فتراضوا برجل جعلوه بينهم حكما فقال واحد منهم ان قومي يبغون علي
فقال الحكم ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم ان
قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر اذا اخذ على حقيقته من غير نظر الى
القراين المنوطة به الاسباب التي قيل من اجلها لا يعطي من المعنى ما قد اعطاه المثل
وذلك ان المثل له مقدمات واسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس
معلومة عندهم وحيث كان الامر كذلك جاز ايراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى
المراد ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم من قول القائل ان

ان بغ عليك قومك لا بغ عليك القمر لما ذكرناه من المعنى المقصود بل ما كان نفهم من هذ
القول معنى مفيد لان البغي هو الظلم والقمر ليس من شانه ان يظلم احدا فكان يصير معنى
المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر وهذا كلام مختل المعنى ليس بمستقيم فلما كانت
الامثال الرموز والاشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحا صارت من اوجز الكلام واكثره
اختصارا وحيث هي بهذه المكانة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها واما ايام العرب فانها تتنوع
وتتشعب فمنها ايام تجارة ومنها ايام محاربة ومنها ايام منافرة ومنها غير ذلك ولا يخلو
الناظم والناثر من الاحتياج الى وصف يوم يمر به في بعض الاحوال تشبيها بيوم من تلك
الايام وما ماثله فان جاء بذكر بعض تلك الايام المناسبة لمراده للواقعة التي هو قايس عليه دون
فانه يكون في غاية الحسن والرونق وهذا لا خفاء به واما الوقايع التي وردت في حوادث
خاصة باقوام فانها كالامثال في الاستشهاد بها وسابين ما ينتفع منها حتى يعلم شدة
مقدار الفايدة بها فمن ذلك انه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بيعة الحد
تحت الشجرة وكان ارسل عثمان رضي الله عنه الى مكة في حاجة عرضت له ولم يحضر البيعة
فضرب رسول الله بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان وشمالي خير من يميني وقد
استعملت انا هذا في جملة كتاب فقلت ولا يعتد البر حتى يلحق الغيب بالحضور ويصل
من لم يصله بجزاء ولا شكور مزية الغايب بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا نابت
شمال رسول الله عن يمين عثمان ومن ذلك انه ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه استدعى ابا موسى الاشعري ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثي
فمضى الى يرفا مولى عمر وساله عما يروج عنده وينفق عليه فاشار الى خشونة العيش
فمضى ولبس جبة صوف وعمامة دكناء وخفا مطابقا وحضر بين يديه في جملة العمال فصوب

عمر نظره وصعده فلم يقع الا عليه فادناه وسأله عن حاله ثم اوصى ابا موسى الاشعري به وقد
استعملت انا هذا في جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة فقلت واذا استعنت باحد
على عملك فامره عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من تبذل حاله فان الاحوال تنقل
بنقل الاجساد واياك ان تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد
فانظر كيف فعلت في هاتين وكيف اوردتهما في الغرض الذي قصدته وامض انت على هذا
النهج فانه من محاسن هذه الصناعة وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه
عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد في
سنة [illegible] وسبعين وخمسمائة وضمنه ما ابلاه في خدمة الدولة من فتح الديار المصرية ومحو
الدولة العلوية واقامة الدولة العباسية وشرح فيه ما قاساه في الفتوح من الاهوال ولما تاملته
وجدته كتابا حسنا قد وفى فيه الخطابة حقها الا انه اخل بشيء واحد وهو ان مصر لم
تفتح الا بعد ان قصدت من الشام ثلث مرات وكان الفتح في المرة الثالثة وهذا له نظير
في فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة فانه قصدها عام الحديبية ثم سار اليها في عمرة
القضاء ثم سار اليها عام الفتح ففتحها وقد سالني بعض الاخوان ان انشئ في ذلك
كتابا الى ديوان الخلافة معارضا للكتاب الذي انشاه عبد الرحيم بن علي فاجبته
الى سؤاله وعددت مساعي الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله فقلت
ومن جملتها ما فعله الخادم في الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسرير وقالت منا
امير ومنكم امير فرد الدعوة العباسية الى معاهدها واذكر المنابر ما نسيته بها
من زهو اعوادها وكانت اخرجت منها اخراج النبي من قريته وقذف الشيطان
على حقها بباطله وعلى صدقها بفريته ثم لم يتها الليالي طي السجل للكتاب وكذ

خدع

وكثر عليها مرور الدهر حتى نسي لها عدد السنين والحساب ولم يعد هالاوطنها حتى
تغربت لها الارواح عن اوطانها وسهرت لها الاجفان لتشرف بسهر العيون عن اجفانها
وتطاردت الاراء في تسهيل امرها قبل مطاردة اقرانها وحتى تهدمتها غربات ثلاث
كلها ذات غروب وكل خطب من خطوبها ذو خطوب الى ان تمحض لياليها عن صبحها فتحه
واصبحت في الاسلام كعام حديبية وعمرة قضائه وعام فتحه وفي ذكر اخبارها ما يطيع
الالسنة في رؤس الاقلام ويرهب سامعها ولم يلد شيء من مكروهها سوى الكلام وبوقتها
للدولة هو اليوم الذي ارخ فيه معاد نصرها ومعاد نشرها واذا عدت لياليها
السالفة كانت كساير الليالي وهذه ليلة قدرها فهذا فصل من فصول الكتاب
فانظر كيف ما ثلث بين الفتح المصري وفتح مكة وذكرت ايضا حديث الحباب بن المنذر
الانصاري حيث قال بعد وفات النبي صلى الله عليه وسلم منا امير ومنكم امير وذلك
لما حضر ابو بكر وعمر وابو عبيدة الجراح رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة والقصة
مشهورة فقال الحباب بن المنذر منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر رضي الله عنه بل نحن
الامراء وانتم الوزراء وهذا الذي ذكرته هو نكتة هذا الفتح التي عليها المعول ومركزه الذي
عليه يدور وعجبت من عبد الرحيم بن علي البيساني مع تقدمه في فن الكتابة كيف فاته
ان يأتي به في الكتاب الذي كتبه وكذلك وجدت لابن زيادة البغدادي كتابا كتبه
الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمس
مايه وضمنه فصولا تشتمل على امر انكرت عليه من ديوان الخلافة فمن تلك الامور
التي انكرت انه تلقب بالملك الناصر وذلك لقب لامير المؤمنين خاصة فانه الامام
الناصر لدين الله فلما وقفت على ذلك الكتاب في حينه كنا باحسنا تداخلا دفيه كل

الاعادة

الاعادة ولم اجد فيه شعرا الا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب فانه لم يات
بكلام يناسب باقي الفصول المذكورة بل اتى بكلام فيه غثاثة كقوله ما يستصلحه الولي
فهو على عهد حوام وشيئا من هذا النسق وكان الاليق والاحسن ان يحتج بحجة يهارج
ويذكر فيها كلاما فيه ذلاقة ورشاقة وحضر عندي في بعض الايام بعض الاخوان
وجرى حديث ذلك فسألني عما كان ينبغي ان يكتب في هذا الفصل فذكرت ما عندي
وهو قد علم ان للانبياء والخلفاء خصائص يختصون بها على حكم الانفراد وليس
لاحد من الناس ان يشاركهم فيها مشاركة الانداد وقد اجرى رسول الله ذلك في
اشياء نص عليها بحكمه ومن جملتها انه نهى غيره ان يجمع بين كنيته واسمه وهذا ممتنع
لامير المؤمنين ان يختص بامر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقد وسم نفسه بسمة
نزلت عليه من السماء وتميزت به من بين السمات والاسماء ثم استمرت عليها الايام
حتى خوطب بها من اطراف البلاد وعرف بها الحاضر والباد ورفعها الخطباء على المنابر
في ايام الجمع ومواسم الاعياد وقد شاركته انت فيها غير مراقب لمرتبة التعظيم ولا
فارق من فسحة التحليل وحرج التحريم والشرع والادب يحكمان عليك بان تلقى ما فرط
منك بالمتاب والاتجوح فيه الى التقريع الذي هو اشد العتاب ومثلك من يحرف
الحق فامسك بيده وفتح اقفال مسره باستيناف السقط في غده واشد قدره فحل
عمن اتى الشيء خطاء لا عمدا وقبل التوبة من اخذ على نفسه بالاخلاص عهدا
فانظر ايها المتامل كيف جئت بالحجر الشرعي وجعلته شهودا شاهدا على هذا
الموضع ولا يمكن ان يحتج في مثل ذلك بمثل هذا الاحتجاج وما اعلم كيف شذ عن ابن
زيادة ان ياتي به مع انه كاتب مغلق ارهفني كتابته ولم اجد في البغدادين من

مالك فيه هذا الفن **واما النوع الرابع** وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور
فان في ذلك فوايد جمة لانه يعلم منه اغراض الناس ونتايج افكارهم ويعرف به مقاصد
كل فريق منهم والى اين ترامت به صنعته في ذلك فان هذه الاشياء مما تشحذ القريحة
وتذكي الفطنة واذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعاني التي ذكرت
وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه ياخذ منه ما اراد ويترك ما اراد وايضا
انه اذا كان مطلعا على المعاني المسبوق اليها قد يتقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق
اليه ومن المعلوم ان خواطر الناس وان كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فان بعضها
لا يكون عاليا على بعض او منحطا عنه الا بشيء يسير وكثيرا ما تتساوى القرايح والافكار
في الاتيان بالمعاني حتى ان بعض الناس قد ياتي بمعنى مصوغا بلفظ ثم ياتي الاخر بعده
بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الاول وهذا الذي يسميه ارباب
هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر وسياتي لذلك باب مفرد في اخر كتابنا هذا ثم
واما النوع الخامس وهو معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضاء
والحسبة وغير ذلك فانما اوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكاتب في
تقليدات الملوك والامراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم وايضا فانه قد يحدث
في الامامة حادث في بعض الاوقات بان يموت الامام القائم بامر المسلمين ثم يتولى
من بعده من لم يستكمل شرايط الامامة او يكون كامل الشرايط غير ان الامام الذي
كان قبله عهد بها الى اخر غيره وهو ناقص الشرايط او يكون قد نازع الامامة انسان
او يكون ارباب الحل والعقد قد اختاروا اماما وهو غير كامل الشرايط التي يجب ان
توجد فيهم او يكون امر غير ما ذكرناه فتختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من

الملوك

الملوك عناية بالامام الذي قام بامر المسلمين فيامر كاتبه ان يكتب كتابا في امره الى
الاطراف المخالفة له واذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث
واختلاف اقوال العلماء فيها وما هو رخصة في ذلك وما ليس برخصة فانه
لا يكتب كتابا ينتفع به ولسنا نعني بهذا القول ان يكون الكتاب مقصورا
على فقه محض فقط لانا لو اردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه الى كتب كتاب بل
كنا نقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه عوضا عن الكتاب وانما
قصدنا ان يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملا على الترغيب والتر
والترهيب والمسامحة في موضع والمحافظة في موضع مشحونا ذلك بالنكت الفقهية
المبرزة في قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكاتب الصابي في الكتاب الذي
كتبه عن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الى الامام الطايع لما خلع المطيع
فانه من محاسن الكتب التي تكتب في هذا الفن **واما النوع السادس** وهو حفظ القران
الكريم فان صاحب هذه الصناعة ينبغي له ان يكون عارفا بذلك لان فيه
فوايد كثيرة منها انه يضمن كلامه بالايات في اماكنها اللايقة بها ومواضعها
المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق
ومنها انه اذا عرف مواقع البلاغة واسرار الفصاحة المودعة في تاليف القران
اتخذه بحرا يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها في مطاوي كلامه كما فعلته انا
فيما انشاته من المكاتبات وكفى بالقران الكريم وحده الة واداة في استعمال
افانين الكلام فعليك ايها المترشح لهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره
وغامض رموزه واشاراته فانها تجارة لن تبور ومنبع لا يغور وكنز يرجع اليه

ونحن نعول اليه **واما النوع الرابع** وهو حفظ الاخبار النبوية مما يحتاج الى استعماله
فان الامر يجري في ذلك مجرى القران الكريم وقد تقدم الكلام عليه فاعرفه **واما**
النوع الخامس وهو ما يختص بالناظم دون الناثر وذلك معرفة العروض وما يجوز
فيه من الزحاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه ولسنا نوجب عليه المعرفة
بذلك لينظم بعلمه فان النظم مبني على الذوق ولو نظم بتقطيع الافاعيل لجاء شعره
متكلفا غير مرضي وانما اريد للشاعر معرفة العروض لان الذوق قد ينبو عن
الزحافات ويكون ذلك جائزا في العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان
الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك ايضا
يحتاج الشاعر الى العلم بالقوافي والحركات ليعلم الروي والردف وما يصح من ذلك
وما لا يصح فاذا اكمل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الالات وكان ذا طبع مجيب
وقريحة مواتية فعليه بالنظر في كتابنا هذا والتصفح لما اودعناه من حقائق علم البيان
ونبهنا عليه من اصول ذلك وفروعه على ان هذه ذكرناه التي هي الالات الثمان هي
كالاصل لما يحتاج اليه الخطيب والشاعر ومعرفتها ضرورية لا بد منها وها هنا اشياء
اخرى هي كالتوابع والروادف وبالجملة فان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التشبث
بكل من الفنون حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة
عند جلوة العروس والى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة فما ظنك بما فوق
هذه والسبب في ذلك انه مؤهل لان يهيم في كل واد فيحتاج ان يتعلق بكل فن

الفصل الثالث في الحكم على المعاني وفائدة هذا الفصل الاحاطة
باساليب المعاني على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر الى هذا

الفصل

الفصل الاحاطة باساليب المعاني على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة
مفتقر الى هذا الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لا
سيما مفسري الاشعار فانهم به اعنى واعلم ان الاصل في المعنى ان يحمل على ظاهر لفظه
ومن يذهب الى التاويل يفتقر الى دليل كقوله تعالى وثيابك فطهر فالظاهر من
الثياب هو ما يلبس ومن تاول ذهب الى ان المراد هو القلب لا الملبوس وهذا
لا بد له من دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم
عليه السلام انه قال اذا اردت الصلوة فادخل بيتك واغلق بابك فالظاهر من هذا
هو البيت والباب ومن تاول ذهب الى انه اراد انك تجمع عليك همك وقلبك
وتمنع ان يخطر به شيء سوى الصلوة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر
التي تخطر له باغلاق الباب وهذا يحتاج الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالمعنى
المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره الى التاويل يقع فيه
الخلاف اذ باب التاويل غير محصور والعلماء متفاوتون فيه فانه قد ياخذ
بعضهم وجها ضعيفا من التاويل فيكسوه بعبارته قوة يميزه على غيره من الوجوه
القوية فان السيف بضاربه

ان السيوف مع الذين قلوبهم ... لقلوبهن اذا التقى الجمعان

تلقى الحسام على جراءة حده ... مثل الجبان بكف كل جبان

وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتاويل الى شيء غير مرضي فقال
التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتاويل اظهار
باطن اللفظ كقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال

يصدنه اذا رقبه وتاويله تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة اوامره
والذي عندي في ذلك انه اصاب في الاخر ولم يصب في الاول لانه قوله التفسير بيان
وضع اللفظ حقيقة ومجازا لانه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد في الاية انه
بالرقبة وتفسيره بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة اوامره واما التاويل
فانه اخص من التفسير وذلك انه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الاول
وهو الرجوع يقال آل يؤول اذا رجع وعلى هذا فان التاويل خاص والتفسير عام
فكل تاويل تفسير وليس كل تفسير تاويلا ولهذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر
وباطن وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره ههنا اكثره يرجع الى التاويل لانه
ادق ولا يخلو تاويل المعنى من ثلثة اقسام اما ان يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره واما
ان يفهم منه الشيء وغيره وتلك الغيرية اما ان يكون ضدا او لا يكون ضدا وليس
لنا قسم رابع فالاول يقع عليه اكثر الاشعار ولا يجري في الدقة واللطافة مجرى القسمين
الاخرين واما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جدا وهو من اظرف التاويلات
المعنوية لان دلالة اللفظ على المعنى وضده اغرب من دلالته على المعنى وغيره
مما ليس بضده فمما جاء منه قول النبي صلى الله عليه وآله صلاة في مسجدي هذا
خير من الف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام فهذا الحديث يستخرج منه
معنيان ضدان احدهما ان المسجد الحرام افضل من مسجد رسول الله صلعم والاخر ان
مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله افضل من المسجد الحرام اي ان صلاة واحدة
فيه لا تفضل الف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل ما دونها بخلاف المساجد الباقية
فان الف صلاة فيها تقصر عن صلوة واحدة فيه وكذلك جاء قول النبي صلى الله عليه

ايضا

ايضا من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فافعل ما شئت وهذا اشتمل على معنيين ضدين
احدهما ان المراد به اذا لم تفعل فعلا يستحى منه فافعل ما شئت والاخر ان المراد
به اذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحى منه فافعل ما شئت وهذان
معنيان ضدان احدهما مدح والاخر ذم ومثله ما ورد في الحديث النبوي ايضا
وذلك انه ذكر شريح الحضرمي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لا يتوسد
القرآن وهذا يحتمل مدحا وذما اما المدح فالمراد به انه لا ينام الليل عن القرآن
متوسد معه لم يتهجد به واما الذم فالمراد به انه لا يحفظ من القرآن شيئا فاذا نام
لم يتوسد معه القرآن وهذان التاويلان من الاضداد وكثيرا ما يرد مثال ذلك
في الاحاديث النبوية ويجري على النهج من الشعر قول ابي الطيب المتنبي في قصيدة
يمدح بها كافورا
واظلم اهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب *
وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان احدهما ان المنعم عليه يحسد المنعم والاخر ان
المنعم لا يحسد المنعم عليه وكذلك ورد قوله ايضا من قصيدة يمدحه
فان نلت ما املت منك فربما * شربت بماء يعجز الطير ورده *
فان هذا البيت يحتمل مدحا وذما واذا اخذ بمفرده من غير نظر الى ما قبله فانه
يكون بالذم اولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ
وصدر البيت مفتتح بان الشرطية وقد احسن بلفظة رب التي معناه التقليل اي
اني ليس من نوالك على يقين فان نلته فربما وصلت الى مورد لا يصل اليه الطير
لبعده واذا نظر ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله
وكثيرا ما يقصد المتنبي هذا القسم في شعره كقوله من قصيدة اولها تلم

هذ

نظم
عدوك مذموم بكل لسان ۝ ولو كان من اعدائك القمران ۝
ولله سر في علاك وانما ۝ كلام العدى ضرب من الهذيان ۝
ثم قال فيها فمالك تعنى بالاسنة والقنا ۝ وجدك طعان بغير سنان ۝
فان هذا بالقدم اشبه منه بالمدح لانه يقول انك لم تبلغ ما بلغته بسعيك
واهتمامك بل بجد وسعادة وهذا لا فضل فيه لان السعادة تنال الخامل
والجاهل ومن لم يستحقها واكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده
الكافوريات وحكى ابو الفتح بن جني قال قرات على ابن ابي الطيب ديوانه الى ان
وصلت الى قصيدته التي اولها نظم اغالب فيك الشوق والشوق اغلب
فاتيت منها على هذا البيت وهو
وما طربي لما رايتك بدعة ۝ لقد كنت ارجو ان اراك فاطرب ۝
فقلت له يا ابا الطيب لم تزد على ان جعلته ابا زنة فضحك لقولي وهذا القسم
من الكلام يسمى الموجه اي له وجهان ومما يدل على براعة الشاعر واما القسم
الثالث فانه يكون اكثر وقوعا من القسم الثاني وهو واسطة بين طرفين لان
القسم الاول كثير الوقوع والقسم الثاني قليل الوقوع واما هذا القسم الثالث فوسط
بينهما فمما جاء منه قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فان هذا له وجهان من التاويل
احدهما القتل الحقيقي الذي هو معروف والثاني هو القتل المجازي وهو
الاكباب على المعاصي فان الانسان اذا اكب على المعاصي قتل نفسه في الاخرة
ومن ذلك ما ورد في قصة ابراهيم وذبح ولده عليهما السلام فقال الله تعالى
حكاية عنه وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين

فبشرناه

فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر
ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين
ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين
سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين فقوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
قد يكون بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده وقد يكون استينافا لما ذكره بعد
ذكر اسماعيل عليه السلام وذبحه والتاويل متجاذب بين هذين الامرين ولا
دليل على الاختصاص باحدهما ولم يرد في القران ما يدل على ان الذبيح اسماعيل
ولا اسحق عليهما السلام وكذلك لم يرد في الاخبار التي صحت عن رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم واما ما يروى عنه انه قال انا ابن الذبيحين فخارج عن
الاخبار الصحيحة وفي التورية ان اسحق عليه السلام هو الذبيح ومن ذلك قول
النبي صلعم لازواجه اولكن بي لحوقا اسرعكن يدا فلما مات صلوات الله عليه
جعلن يتطاولن بين ايديهن حتى ينظرن ايهن اطول يدا ثم كانت زينب
اسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلمن حينئذ انه لم يرد الجارحة وانما اراد
الصدقة فهذا القول يدل على المعنيين المشار اليهما ومن ذلك ما روي عن
انس بن مالك رضه انه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
عشر سنين ولم يقل لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا فعلته وهذا القول
يحتمل وجهين من التاويل احدهما وصف رسول الله صلعم بالصبر على خلق من يصحبه

والاخر انه وصف نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال كانه متفطن
لما في نفس رسول الله صلعم فيفعله من غير حاجة الى استيذانه ومن ذلك ما ورد
في الادعية النبوية فانه صلعم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع اثره و
يحتمل ثلثة اوجه من التاويل الاول انه دعا عليه بالزمانة لانه اذا زمن لا يستطيع
ان يمشي على الارض فينقطع حينئذ اثره الوجه الثاني انه دعا عليه بان لا يكون
له اثر نسل من بعده ولا عقب الوجه الثالث انه دعا عليه بان لا يكون له اثر
من الاثار مطلقا وهو ان لا يفعل فعلا يبقى اثره من بعده كائنا ما كان
من عقب او بناء او غراس او غير ذلك وظفرت الحرورية برجل فقالوا له ابرا
من علي وعثمان فقال انا من علي ومن عثمان بري فهذا يدل على معنيين احدهما
انه بري من عثمان وحده والاخر انه بري منهما جميعا والرجل لم يرد الا الوجه
الاول ومن ذلك ما يحكى عن عبد المسيح بن بقيلة لما نزل بهم خالد بن الوليد
على الحيرة وذلك انه خرج اليه عبد المسيح فلما مثل بين يديه قال انعم صباحا ايها
الملك فقال له خالد قد اغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام عليكم ثم قال
له من اين اقصى اثرك قال من ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال
فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت اسئله عن الشيء وهو ينحو في غيره وهذا من
توجيه الكلام على نمط حسن وهو يصلح ان يكون جوابا لما قاله خالد عما سئل ويصلح ان يكون
جوابا لغيره مما ذكره عبد المسيح بن بقيلة وقد ورد في التورية النهي ان يوكل الجدي
بلبن امه وهذا يحتمل التحريم فيه من وجهين احدهما ما دل عليه ظاهر اللفظ وهو
تحريم لحم الجدي بلبن امه خاصة واذا اكل بلبن غير امه جاز ذلك ولم يكن حراما

دهن ١

وهذا لا يأخذ به احد من اليهود الوجه الاخر وهو الذي يؤخذ به عند اليهود
جميعهم ان اكل اللبن باللحم حرام كائنا ما كان من اللحوم الا طائفة منهم يسمون القرائين
فانهم تأولوا فاكلوا لحم الطير باللبن وقالوا انما حرم اللحم باللبن من اللحوم ذوات
الالبان والطير من ذوات البيض لا من ذوات الالبان ومما يجري على هذا
النهج ما يحكى عن افلاطون انه قال ترك الدوا دواء فذهب بعض الاطبا انه
اراد اذا لطف المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدوا فتركه حينئذ والاضراب
عنه دواء وذهب آخرون الى انه اراد بالترك الوضع اي وضع على الدوا دواء الدواء
يشير بذلك الى حذق الطبيب في اوقات علاجه ومثله في الشعر قول الفرزدق

اذا جعفر مرت على هضبة الحمى ○ فقد اخزت الاحياء منها قبورها ○

وهذا يدل على المعنيين احدهما ذم الاحياء والاخر ذم الاموات اما ذم الاحياء
فهو انهم خذلوا الاموات يريد انهم لم يلاقوا في قتالهم وقوم آخرون فقد الاحياء
عنهم واسلموهم وانهم استنجدوهم فلم ينجدوهم واما ذم الاموات فهو ان لهم
مخازي وفضائح توجب عارا وشنارا فهم يعيدون بها الاحياء ويلصقونها
بهم وعلى هذا ورد قول ابي تمام

نظم ما الشعر طول اذا اصطكت قصائده ○ فيمعشر وبه عن معشر قصر ○

فهذا البيت يحتمل تاويلين احدهما ان الشعر يتسع مجاله بمدحك ويضيق
بمدح غيرك يريد بذلك ان مآثره كثيرة ومآثر غيره قليل والاخر ان الشعر
يكون ذا فخر ونباهة بمدحك وذا خمول بمدح غيرك ولفظ الطول يفهم
منها ضد القصر ويفهم منها الفخر من قولنا طال فلان على فلان اي فخر عليه

ومما ينتظم في هذا السلك قول ابي كبير الهذلي

عجب لسعي الدهر بيني وبينها ۞ فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل احدهما انه اراد بسعي الدهر سرعة تقضي الاوقات مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته في السكون والبطوء والاخر انه اراد بسعي الدهر سعي اهل الدهر بالنمايم والوشايات فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا فتركوا السعاية وهذا من باب وضع المضاف اليه مكان المضاف كقوله واسأل القرية اي اهل القرية ومن الدقيق المعنى في هذا الباب قول ابي الطيب المتنبي يمدح عضد الدولة من جملة قصيدته التي اولها

اوه بديل من قولتي واها ۞ فقال

لو فطنت خيله لنائله ۞ لم يرضها ان تراه يرضاها

وهذا يستنبط منه معنيان غريبان احدهما ان خيله لو علمت مقدار عطاياه التي نبتت لما رضيت له بان تكون من جملة عطاياه لان عطاياه انفس منها والاخر ان خيله لو علمت انه يهبها في جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تكره خروجها عن ملكه وهذان الوجهان انا ذكرتهما وانما المذكور منهما هو احدهما وهذا الذي اشرت اليه من الكلام على المعاني وتاويلاتها كاف لمن عنده ذوق وله قوة على اشباهها ونظايرها

الفصل الرابع في الترجيح بين المعاني

وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذي يوزن به نقد درهمها ودينارها بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها ولا يزن به الا ذو فكرة منتقدة والمحسن منتقده فليس كل من حمل ميزانا سمي صرافا ولا كل من وزن به سمي عارفا والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي ان هناك يرجح بين دليلي الخصمين في حكم شرعي وهاهنا يرجح بين جانبي فصاحة وبلاغة في الفاظ ومعان خطابية

وبيان ذلك

وبيان ذلك ان صاحب الترجيح الفقهي يرجح بين خبر التواتر مثلا وبين خبر الاحاد وبين خبر المسند والمرسل او ما جرى هذا المجرى وهذا لا يعرض اليه صاحب البيان لانه ليس من شانه ولكن الذي هو من شانه ان يرجح بين حقيقة ومجاز او بين حقيقتين او بين مجازين ويكون ناظرا في ذلك كله الى الصناعة الخطابية ولربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهي في بعض المواضع كالترجيح من عام وخاص او ما شابه ذلك وكنا قدمنا القول في الحكم على المعاني واقسامها ولنبين في هذا الفصل موضع الترجيح بين وجوه تاويلاتها فنقول اما القسم الاول من المعاني فلا تعلق للترجيح به اذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الا وجها واحدا فليس من هذا الباب في شيء والترجيح انما يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ولا يخلو الترجيح بينهما من ثلاثة اقسام اما ان يكون اللفظ حقيقة في احدهما مجازا في الاخر او حقيقة في احدهما جميعا و ليس لنا قسم رابع والترجيح بين الحقيقتين او بين المجازين يحتاج الى نظر واما الترجيح بين الحقيقة والمجاز فانه يعلم ببديهة النظر لمكان الاختلاف بينهما والشيئان المختلفان يظهر الفرق بينهما بخلاف ما يظهر بين الشيئين المشتبهين فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود تفسر هاهنا حقيقة ومجازا اما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقا واما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا هو الجانب البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه وقد يسال هاهنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب البلاغي ويقال ما بيان هذا الترجيح فيقال طريقه ان لفظ

ان لفظ الجلود عام فلا يخلو اما ان يراد به الجلود مطلقا او يراد به الجوارح التى
هى ادوات الاعمال خاصة ولا يجوز ان يراد به الجلود مطلقا ويراد به الجوارح
التى هى ادوات على الاطلاق لان شهادة غير الجوارح التى هى الفاعلة شهادة بالكناية
اذ هى شهادة غير شاهد والشهادة هيهنا يراد به الاقرار فيقول اليد انا فعلت
كذا وكذا وتقول الرجل انا مشيت الى كذا وكذا وكذلك الجوارح الباقية تنطق
مقرة باعمالها فترجح بهذا ان يكون المراد به شهادة الجوارح واذا اريد به الكل
دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة وان اريد به البعض فهو
بالفرج اخص منه بغيره من الجوارح لامرين احدهما ان الجوارح كلها قد ذكرت
فى القران الكريم شهادة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان حمل الجلد عليه
اولى ليستكمل ذكر الجميع والاخر انه ليس فى الجوارح ما يكره التصريح بذكره الا الفرج فكنى
عنه بالجلد لانه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته فان قيل ان
تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب التفضيل كقوله تعم فاكهة ونخل ورمان
والنخل والرمان من الفاكهة قلت فى الجواب هذا القول عليك لا لك لان النخل
والرمان انما ذكر التفضيل لهما فى الشكل واللون فى الطعم والفضيلة هيهنا فى
ذكر الشهادة وانما هى تعظيم لامر المعصية وغير البصر والسمع اعظم فى المعصية
لان معصية السمع انما تكون فى سماع غيبة او فى سماع صوت مزمار او وتر او
ما جرى هذا المجرى ومعصية البصر انما تكون فى النظر الى محرم وكلا المعصيتين لا
حد فيهما واما المعاصى التى توجد من غير السمع والبصر فاعظم لان معصية اليد
توجب من غير السمع والبصر القطع ومعصية الفرج توجب جلد مائة او الرجم

وهذا

وهذا اعظم فكان ينبغى ان يخص بالذكر دون السمع والبصر واذ ثبت فساد ما
ذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج خاصة واما مثال المعنيين اذا
كانا حقيقتين فقول النبى صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق فى خبايا الارض
والخبايا جمع خبية وهو كل ما خبى كائنا ما كان وهذا يدل على معنيين حقيقيين
احدهما الكنوز المخبوة فى بطون الارض والاخر الحرث والغراس ارجح لان
مواضع الكنوز لا تعلم حتى تلتمس والنبى صلعم لا يامر بذلك لانه شى مجهول غير معلوم
فبقى المراد بخبايا الارض ما يغرس ويحرث وكذلك ورد قوله صلعم اذا ابتلت النعال
فالصلاة فى الرحال وهذا الحديث مرخص فى ترك صلوة الجماعة بسبب المطر والوحل ولها
احدهما انه اراد نعال الارض وهو ما غلظ منها والاخر انه اراد الاحذية
والوجه هو الثانى لظهوره فى الدلالة على المعنى واكثر العلماء عليه ولو كان
به ما غلظ من الارض لخرج عن هذا الحكم كل بلد تكون ارضه سهلة لا غلظ فيها
واما مثال المعنيين المجازيين فقول ابى تمام

قد بلونا ابا سعيد حديثا ° وبلونا ابا سعيد قديما

ووردناه ساحلا وقليبا ° ورعيناه بارضا وجميما

فعلمنا ان ليس الا بشق النفس ° صار الكريم يدعا كريما

فالساحل والقليب يستخرج منهما تاويلان مجازيان احدهما انه اراد بهما الكثير
والقليل بالنسبة الى الساحل والقليب والاخر انه اراد بهما السبب وغير السبب
فان الساحل لا يحتاج فى وروده الى سبب وكلا هذين المعنيين مجازيان فان حقيقة
الساحل والقليب غيرهما والوجه هو الثانى لانه دل على بلاغة القائل ومدح المقول

المقول فيه أما بلاغة القائل فالسلامة من هجنة التكرير والمخالفة بين صدر البيت
وعجزه فإن عجزه يدل على القليل والكثير لأن البارض هو أول النبت حين يبدو وقاد
كثر فكأنه تنسم حيًّا فكأنه قال أخذنا منه تبرعًا ومسألة قليلا وكثيرًا وأما مدح
المقول فيه فلتعداده الأريحية في يسره وسؤاله والكثار والإقلال وما في معنى
هذه الأحوال من المشاق فهذا ما يتعلق بالترجيح البلاغي بين الحقيقة والمجاز والمجاز
وبين الحقيقة والمجاز وههنا ترجيح آخر لا يتعلق بما أشرنا إليه إذ هو خارج عما تقتضيه
المعاني الخطابية من جهة الفصاحة والبلاغة وذلك أن يرجح بين معنيين أحدهما
تام والآخر مقدر ويكون أحدهما مناسبًا للمعنى المقدر أو تامًّا غيره والآخر غير مناسب
أو بأن ينظر في الترجيح بينهما إلى شيء خارج عن اللفظ فمثال المعنيين إذا كان أحدهما
تامًّا والآخر مقدرًا وهذا الموضع من أدق مواضع الترجيح وألطفها والفرق بين المعنيين
المشار إليهما أن المعنى التام هو الذي يدل عليه لفظه ولا يتعداه وأما المقدر
فهو الذي يدل عليه لفظه بل يستدل عليه بقرينة أخرى وتلك القرينة قد تكون
من توابعه وقد لا تكون فمما جاء من ذلك قول النبي صلعم في سائمة الغنم زكوة فهذا
اللفظ يستخرج منه معنيان أحدهما تام والآخر مقدر فالتام دلالته على وجوب الز
الزكوة في السائمة لا غير وأما المقدر فدلالته على سقوط الزكوة عن المعلوفة إلا أنه
ليس مفهومًا من نفس اللفظ بل بقرينة أخرى هي كالتابعة له وهي أنه لما خصت السائمة
المذكورة بالذكر دون المعلوفة علم من مفهوم ذلك أن المعلوفة لا زكوة فيها و
للفقهاء في ذلك مجاذبات جدلية يطول الكلام فيها وليس هذا موضع ذكرها
والذي يترجح عندي هو القول بفحوى المعنى المقدر وهو الذي يسميه الفقهاء

مفهوم

مفهوم الخطاب وله في الشعر أشباه ونظائر فمما ورد من ذلك شعر جزء بن
كليب الفقعسي من شعراء الحماسة وقد خطب إليه ابن كوز ابنته فرده

تبغّى ابن كوز والسفاهة كاسمها ليستاد منا أن شتونا لياليا
فلا تطلبنها يا ابن كوز فإنه غذا الناس مذ قام النبي الجواريا

فهذا البيت الثاني يشتمل على المعنيين التام والمقدر أما التام فإن ابن كوز سأل
أبا هذه الجارية أن يزوجه إياها في سنة والسنة الجدب فرده وقال قد غذا الناس
البنات مذ قام النبي صلعم وأنا أغذو هذه ولولا ذلك لوأدتها كما كانت الجاهلية تفعل
وفيه وجه وهو أنهم كانوا يئدون البنات قبل الإسلام فلما جاء النبي صلعم نهى عن ذلك
فقوله غذا الناس مذ قام النبي صلعم الجواريا أي في النساء كثرة فتزوج بعضهن وخل ابنتي
وهذان المعنيان هما اللذان دل عليهما ظاهر اللفظ وأما المعنى المقدر الذي يعلم من
مفهوم الكلام فإنه يقول إن النبي صلعم أمر بإحياء البنات ونهى عن الوأد ولو أنكحتكها
لكنت قد وأدتها إذ لا فرق بين نكاحك إياها وبين وأدها وهذا ذم للخاطب وهو
معنى دقيق ومجيء المعاني المستخرجة من المفهوم قليل في الشعر وأما ما يستدل عليه بقرينة
ليست من توابعه فإن ذلك أدق من الأول وألطف مأخذًا فمما ورد منه قول النبي صلعم
من جعل قاضيًا بين الناس فقد ذبح بغير سكين فهذا يستخرج منه المعنيان المشار إليهما
فالتام منهما يدل على أنه من جعل قاضيًا فقد عرض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير
سكين وأما المقدر فإنه يدل على أنه من جعل قاضيًا فقد أمر بمفارقة هواه وهذا لا
يدل عليه اللفظ بنفسه بل يستدل عليه بقرينة أخرى ولكنها ليست من توابعه
ووجه ذلك أن لفظ الحديث عام يشمل القضاة على الإطلاق ولا يخلو إما أن يراد به

عذاب الاخرة او عذاب الدنيا ولا يجوز ان يكون المراد به عذاب الاخرة لانه ليس كل قاض معذبا
في الاخرة بل المعذب منهم قضاة السوء فوضح بهذا ان المراد بالحديث عذاب الدنيا وعلى
هذا فلا يخلو اما ان يكون العذاب صورة ومعنى ولا يجوز ان يكون صورة لانا نرى
الانسان اذا جعل قاضيا لا يذبح ولا يناله شيء من ذلك فبقي ان يكون المراد به عذابا
معنويا وهو الذبح المجازي غير الحقيقي وتحرير ذلك ان نفس الانسان مركبة على حب هواها
فاذا جعل قاضيا فقد امر بترك ما جبل على حبه من الامتناع عن الرشوة والحكم لصديقه على عدوه
ودفع الجار عنه بينه وبين الناس والحكم في اوقات راحته وغير ذلك من الاشياء المكروهة
التي تشق على النفس وتجد بها الما مبرحا والذبح هو قطع الحلقوم والالم حاصل به وكذلك
قطع النفس عن هواها هو ذبح معنوي والالم ايضا حاصل وهو كالذبح الحقيقي بل اشد منه
لان الم الذبح الحقيقي يكون لحظة واحدة ثم ينقضي ويزول والم قطع النفس عن
هواها يدوم ولا ينقضي وهو اشد العذاب قال الله عز وجل في عذاب اهل النار
وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقال في نعيم اهل الجنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وكثيرا ما رأينا وسمعنا من حمله حبه على اتلاف نفسه في طلبه وركوب
الاهوال من اجله فاذا امتنع عنه مع حبه اياه فقد ذبح نفسه اي قطعها عنه كما
يقطع الذابح حلق الذبيحة ولهذا قال النبي صلعم اشتغلنا عن الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد الاصغر وجهاد النفس جهادا الاكبر فكما ان
مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير سيف فكذلك قطعها عن هواها ذبح
بغير سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه يختص بالوجه الاخر لاشتماله على
المعنى المقصود وهو المراد من القضاء على الاطلاق واما مثال المعنيين اذا كان

احدهما

احدهما مناسبا للمعنى فيقدم كقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فالدعاء ههنا يدل على معنيين احدهما النهي ان يدعى الرسول باسمه فيقال
يا محمد صلعم كما يدعو بعضهم بعضا باسمائهم وانما يقال له يا رسول الله ويا نبي الله صلعم
الاخر النهي ان يجعلوا حضورهم عنده اذا دعاهم لامر من الامور كحضور بعضهم عند
بعض بل يتأدبون معه بان لا يفارقوا مجلسهم الا باذنه وهذا الوجه هو المراد لكن
معنى الاية التي قبله وهو قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه واما الثاني وهو
ما كان مناسبا للمعنى اخر عنه فكقوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين التين
والزيتون هما هذا الشجر المعروف وهما اسماء جبلين ايضا وتاويلهما بالجبلين اولى
للمناسبة بينهما وبين ما اتى بعدهما من ذكر الجبل الذي هو الطور وعلى هذا ورد
قول الشاعر في ابيات الحماسة

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد ... علي لانسان من الناس درهما

ولكنني مولى قضاعة كلها ... فلست ابالي ان ادين وتغرما

فاذا نظرنا الى البيت الاول وجدناه يحتمل مدحا وذما اي انهم كانوا يغنونه فهم
بعطائهم ان يدين او انه كان يخاف الدين حذرا لا يدفعوا عنه هو فانه لكن
البيت الثاني حقق ان الاول ذم وليس بمدح فهذا المعنى لا يتحقق فهمه الا باخره واما
الذي يكون الترجيح فيه بسبب شيء خارج عن مفهوم اللفظ فقوله تعالى وهو الله
في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فهذا يستنبط منه معنيان احدهما ان
الله يعلم السر والجهر في السموات والارض وفي ذلك تقديم وتاخير اي يعلم سركم

في السموات وفي الارض الا انه في السموات وانه يعلم السر والجهر في من نبي ابم لان الوقف
يكون على السموات ثم يستانف الكلام فيقول يعلم سركم وجهركم في الارض الآن هذا
يمنع منه اعتقاد التجسيم وذلك شي خارج عن مفهوم اللفظ

الفصل الخامس في جوامع الكلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم فالكلم
جمع كلمة والجوامع جمع جامعة والجامعة اسم فاعلة من جمعت فهي جامعة كما يقال في المذكر
جمع فهو جامع والمراد بذلك انه صلى الله عليه وسلم اوتي الكلم الجوامع للمعاني وهو عندي
ينقسم قسمين القسم الاول منهما هو ما استخرجته ونبهت عليه ولم يكن لاحد فيه قول
سابق وهو ان لنا الفاظا تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه اخواتها مما يجوز ان يستعمل في مكانها
فمن ذلك ما ياتي على حكم المجاز ومنه ما ياتي على حكم الحقيقة اما ما ياتي على حكم المجاز فقوله يوم
حنين الان حمي الوطيس وهذا لم يسمع من احد قبل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولو
اتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا استعرت الحرب لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه
حمي الوطيس والفرق بينهما ان الوطيس هو التنور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك
يخيل الى السامع ان هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقدها وهذا لا يوجد
في قولنا استعرت الحرب او ما جرى مجراه وقد ورد شي من ذلك في اقوال الشعراء
المفلقين ولقد تصفحت الاشعار قديمها وحديثها وحفظت ما حفظته منها وكنت اذا
مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه الالفاظ اجد لها
نشوة كنشوة الخمر وطربا كطرب الالحان وكثير من الناظمين والناثرين يمر على ذلك
ولا يتفطن له سوى انه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت انا فيه وتفطنت له من الالفاظ
المستحسنة فمما جاء من ذلك قول ابي تمام

كم صارم عضب اناف على قفا ... منهم لاعباء الوغا حمال
سبق المشيب اليه حتى ابتزه ... وطن النهى من مفرق وقذال

فقوله وطن النهى من الكلمات الجامعة وهو عبارة عن الراس ولا يحسن تمثيلها في
معناها مما يسد مسدها وكذلك ورد قول البحتري

قلب يطل على افكاره ويد ... تمضي الامور ونفس لهوها التعب

فقوله قلب يطل على افكاره من الكلمات الجوامع ومراده بذلك ان قلبه لا تملأه
الافكار ولا تحيط به وانما هو عال عليها يصفه بذلك عدم احتفاله بالقوادح
وقلة مبالاته بالخطوب التي تحدث افكارا تستغرق القلوب وهذه عبارة
عجيبة لا يوتى بمثلها مما يسد مسدها واما ما ياتي على حكم الحقيقة فكقول
ابن الرومي

سقى الله اوطارا لنا ومآربا ... تقطع من اقرانها ما تقطعا
ليالي تنسيني الليالي حسابها ... بلهنية اقضي بها الحول اجمعا
سدى غرة لا اعرف اليوم باسمه ... واعمل فيه اللهو مرأى ومسمعا

فقوله لا اعرف اليوم باسمه من الكلمات الجامعة اي انني قد شغلت بالقيام باللذات
عن معرفة الليالي والايام ولو وصف اشتغاله باللذات بما وصف لم يات
بمثل قوله لا اعرف اليوم باسمه **واما القسم الثاني** من جوامع الكلم فالمراد به
الايجاز الذي يدل فيه بالالفاظ القليلة على المعاني الكثيرة اي ان الفاظه صلوات
الله عليه جامعة للمعاني المقصودة على ايجازها واختصارها وجل كلامه جار على هذا
المجرى ولا احتياج للضرب الامثلة به وسياتي الايجاز هنا ما فيه كفاية ومقنع فان

قيل فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما فانهما في النظر سواء قلت في
الجواب ان الايجاز هو ان يؤتى بالفاظ دالة على معنى من غير ان تزيد على ذلك المعنى
ولا يشترط في تلك الالفاظ انها لا نظير لها فيما يعبر به عن معناها بل ان كانت لا نظير
لها فانها تكون قد اتصفت بوصف خارج عن وصف الايجاز وحينئذ يكون ايجازا
وزيادة واما هذا القسم الاخر فانه الفاظ افراد في حسنها لا نظير لها فتارة تكون موجزة
وتارة لا تكون موجزة وليس الغرض منها الايجاز وانما الغرض مكانها من الحسن الذي لا نظير
لها فيه الا ترى الى قول ابي تمام وطن النهى فان ذلك عبارة عن الراس ولا شك
ان الراس اوجز لان الراس لفظة واحدة ووطن النهى لفظتان الا ان وطن النهى احسن
في التعبير عن الراس من الراس فبان بهذا ان احد هذين القسمين غير الاخر

الفصل الثامن في الحكمة التي هي ضالة المؤمن

قال النبي صلى الله عليه وسلم
الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فهو احق بها اذا وجدها والمراد بذلك ان الحكمة قد يستفيدها
اهلها من غير اهلها كما يقال رب رمية من غير رام وهذا لا يختص علما واحدا من العلوم
بل يقع في كل علم والمطلوب منه هاهنا هو ما يختص علم البيان من الفصاحة والبلاغة
دون غيره ومذ سمعت بهذا الخبر النبوي جعلت وكدي في تتبع اقوال الناس في مفاوضاتهم
ومحاوراتهم فانه قد تصدر الاقوال البليغة والحكم والامثال ممن لا يعلم مقدارها
بقوله فاستفدت بذلك فوائد كثيرة لا احصرها عددا وانا اذكر منها طرفا ليستدل
به على اشباهه ونظائره فمن ذلك اني سرت في بعض الطرق في صحبتي رجل بدوي من
الانباط لا يعتد بقوله وكان يقول غدا ندخل البلد وتشغل عني وكان الامر كما قال
فدخلت المدينة حلب وشغلت عنه اياما ثم لقيني فقال من تروى فرحت عطا صر

وهذا

وهذا القول من الاقوال البليغة وهي من الحكمة التي هي الضالة المطلوبة عند مؤمني الفصاحة
والبلاغة ثم اني سمعت منه بعد ذلك شيئا يناسب قوله الاول فاني سفرت له الى
صاحب حلب في شيء اخذته منه فاستقله وقال الملا اروى لشد وقع النيب
وهذا ايضا من الحكمة في بابها وسافرت مرة اخرى على طريق المناظر فكان في صحبتي رجل
بدوي فسالته عن مسافة ما بين مصر وارك فقال اذا خرج سرحاهما تلاقيا فعبر عن
قرب المسافة بينهما باوجز عبارة وابلغها ثم سالته ليلة من الليالي عن الصبح لم يحل
عن موضعها فقال قد ظهر الصبح الا انه لا يملك الانسان بصره وهذا القول من الحكمة
ايضا وكان تزوج غلام من غلماني بدمشق فوقعت المراة منه بموقع وشغف
بها ثم اني سافرت عن دمشق لمهم عرض وسافر ذلك الغلام في صحبتي فلما عدنا من
السفر شغل بامراته والمقام عندها فسالته عن حاله فقال انها قد طالت وحسنت
وهي كذا وكذا واخذ يصفها فقال اخ له كان حاضرا يا مولاي هي ملك لم تزد شيئا وانما
هي في عينه جبار من الجبابرة وهذا القول قد ورد معناه في بعض ابيات الحماسة وهو
من ابيات المعاني

۞ اهابك اجلالا وما بك قدرة ۞
۞ علي ولكن ملء عين حبيبها ۞

وكثيرا تصدر مثل هذه الاقوال عن السنة الجهال وسمعت ما يجري هذا المجرى
من بعض العبيد الاحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صيغ الالفاظ فضلا عما
وراء ذلك وذاك انه راى صبيا في يده طاقة ريحان فقال هذه طاقة ابن عمك
طاقة ريحان فلما سمعت ذلك منه اخذتني هزة التعجب وذكرت شعر ابي نواس

الذى قد وصفه الناس فى هذا المعنى وهو قوله

ووردة جاء بها شادن فى كفه ٥
فى كفه اليمنى فحيا نا ٥
تحيرت حين ابصرتها ٥
ريحانة تحمل ريحانا ٥

وحضر عندى بعض الايام رجل نصرانى موسوم بالطب وكان لا يحسن يقوم كلمة واحدة وهو اقلف الناس اللسان سيئ العبارة فسألته عن زيارة شخص وهل هو متردد اليه دائم لاتصال فقال ظلام الليل يهديني الى باب من اوده وضوء النهار يضلني عن باب من لا اوده وهذا من الطف المعانى واحسنها وهو الحكمة المطلوبة وكنت قصدت زيارة بعض الاخوان من الاخيار وهو من الاقسام الا عجام فسألته عن حاله وكانت قد توالت عليه نكبات طالت ايامها وخطت الاجها فقال لى فى الجواب ما معناه انه لم يسق عندى ارتياع لوقوع نايبة من النوايب وهذا معنى لو اتى به شاعر مفلق وكاتب بليغ لاستحق غاية الاستحسان وكنت فى سنة ثمان وثمانين وخمس مائة بارض فلسطين فى الجيش الذى كان قباله العدو والكافر من الفرنج لعنهم الله وقد قابل الفرنج على مدينة يافا وكان الى جانبى ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة الى نحو العدو فلما حملوا صدم منهم اثنان وسلم واحد فقيل له فى ذلك فقال الموت طعام لا يحتشم المعدة فلما سمعت هذه الكلمة واذا هى صادرة عن رجل من اهل بصرى فدم من الاعلام ولو اخذت فى ذكر ما سمعته من هذا لاطلت وانما دللت بيسير ما ذكرته على الكثير وهو انه يجب على المتصدى للشعر والخطابة ان تتبع اقوال الناس فى محاوراتهم

فانه

فانه لا يعدم مما يسمعه منهم حكما كثيرة ولو اراد استخراج ذلك بفكره لاعجزه ويحكى عن ابى تمام انه لما نظم قصيدته البائية التى اولها

٥ على مثلها من اربع وملاعب ٥

انتهى منها الى قوله ٥ ترى اقبح الاشياء اوبة آمل ٥

كسته يد المأمول حلة خايب

ثم قال واحسن من نور تفتحه الصبا ووقف عند صدر هذا البيت يردده واذا سائل يسئل على الباب وهو يقول من بياض عطاياكم فى سواد مطالبنا فقال ابو تمام واحسن من بياض العطايا فى سواد المطالب ٥ فاتم صدر البيت الذى كان يردده من كلام السائل وسمعت امراة قد توفى لها ولد وهو بكرها الذى اول اولادها فقالت كيف لا احزن لذهابه وهو اول درهم وقع فى الكيس فاخذت انا هذا المعنى واودعته كتابا من كتبى فى التعازى وهو كتاب كتبته الى بعض الاخوان وقد توفى بكره من الاولاد فقلت وهو اول درهم ذخرته فى كيس الادخار واعددته لحوادث الليل والنهار وبلغنى عن الشيخ ابى محمد احمد بن المعروف بابن الخشاب البغدادى رحمه الله وكان اماما فى علم العربية وغيره فقيل انه كان كثيرا ما يقف على حلق القصاص والمشعبذين فاذا اتاه طلبة العلم لا يجدونه فى اكثر اوقاته الا هناك فليم على ذلك وقيل له انت امام الناس فى العلم وما الذى يبعثك على الوقوف بهذه المواقف الرذيلة فقال لو علمتم ما اعلم لما استفدت من هولاء الجهال فوايد كثيرة فانه يجرى فى ضمن هذيانهم معانى غريبة لطيفة ولو اردت انا او غيرى ان ياتى بمثلها لما استطعنا ذلك ولا شك ان هذا الرجل راى ما رايته ونظر الى ما نظرت اليه

الفصل السابع في الحقيقة والمجاز

وهذا الفصل مهم كبير من مهمات
علم البيان لا بل هو علم البيان باجمعه فان في تصريف العبارات على الاسلوب المجازي
فوايد كثيرة سيرد بيانها في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله وقد بينا
في هذا الموضع على جليتها دون تفصيلها فاما الحقيقة فهي اللفظ الدال على موضوعه
الاصلي واما المجاز فهو ما اريد به غير المعنى الموضوع له في اصل اللغة وهو
ماخوذ من جاز هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالمجاز اذاً اسم للمكان
الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار واشباههما وحقيقته هي الانتقال من مكان الى مكان
فجعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل كقولنا زيد اسد فان زيداً انسان والاسد
هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الانسانية الى الاسدية اي عبرنا وانما عبرنا
من هذه الى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة وقد يكون العبور
لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقولهم في كتاب كليلة ودمنة قال الاسد وقال
الثعلب فان القول لا وصلة بينه وبين هذين بحال من الاحوال وانما اجري
عليهما اتساعاً محضاً لا غير ولهذا مثال في المجاز الحقيقي الذي هو المكان المجاز
فيه فانه لا يخلو اما ان يجاز من سهل الى سهل او من وعر الى وعر هو كقولنا
زيد اسد فالمشابهة حاصلة في ذات بينهما كالمشابهة الحاصلة في المكان المجوز
من سهل الى وعر كقولهم قال الاسد وقال الثعلب فكما انه لا مشابهة بين القول
وبين هذين فكذلك لا مشابهة بين السهل والوعر وسياتي كشف الغطاء
عن ذلك واشباع القول في تحقيقه في باب الاستعارة فليؤخذ من هناك
وقد ذهب قوم الى ان الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وذهب آخرون الى انه كله

مجاز لا حقيقة فيه وكلا هذين المذهبين فاسد عندي وساجيب الخصم عما ادعاه
فيهما فاقول محل النزاع هو ان اللغة كلها حقيقة او انها كلها مجاز ولا فرق عندي
بين قولك انها كلها حقيقة او انها كلها مجاز فان كلا الطرفين عندي سواء لان
منكرهما غير مسلم لهما وانا بصدد ان ابين ان في اللغة حقيقة ومجازاً والحقيقة اللغوية
هي حقيقة الالفاظ في دلالتها على المعاني وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء اي
نفسه وعينه فالحقيقة اللفظية اذن هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في اصل
اللغة والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له الى لفظ آخر غيره وتقرير ذلك بان
اقول الموجودات كلها تفتقر الى اسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من اجل
التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لا بد منها فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة
له فاذا نقل الى غيره صار مجازاً ومثال ذلك انا اذا قلنا شمس اردنا به هذا الكوكب
العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه وكذلك اذا قلنا بحر اردنا
به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه
فاذا نقلنا الشمس الى الوجه المليح استعارة كان له ذلك مجازاً لا حقيقة وكذلك
اذا نقلنا البحر الى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازاً لا حقيقة فان قيل
ان الوجه المليح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال للرجل الجواد
وهو حقيقة فيه فالجواب عن ذلك من وجهين احدهما نظري والآخر وضعي
اما النظري فهو ان الالفاظ انما جعلت ادلة على افهام المعاني ولو كان ما ذهبت
اليه صحيحاً لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملح وعلى الرجل الجواد بالاشتراك
وكذلك الشمس ايضاً فانها كانت تطلق على هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء

وعلى الوجه المليح بالاشتراك وحينئذ فاذا ورد احد هذين اللفظين مطلقا بغير
قرينة تخصه فلا نفهم المراد به ما هو من احد المعنيين المشتركين المندرجين تحته
ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فانا اذا اطلقنا شمس او بحرا واطلقنا القول لا نفهم
من ذلك وجه مليح ولا رجل جواد وانما نفهم منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك
المعلوم لا غير فبطل اذن ما ذهبت اليه بما بيناه واوضحناه فان قلت ان العرف
يخالف ما ذهبت اليه فان من الالفاظ ما اذا اطلق لم يذهب الفهم منه الا الى
المجاز دون الحقيقة كقولهم الغايط فان العرف خصص ذلك بقضاء الحاجة
دون المطمئن من الارض قلت في الجواب هذا شيء ذهب اليه الفقهاء وليس الامر
كما ذهبوا اليه لانه ان كان اطلاق اللفظ فيه بين عامة الناس من اسكاف
وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجريهم فهؤلاء لا يفهمون من الغايط الا
قضاء الحاجة لانهم لم يعلموا اصل وضع هذه الكلمة وانها المطمئن من الارض
واما خاصة الناس الذين يعلمون اصل الوضع فانهم لا يفهمون عند اطلاق
اللفظ الا الحقيقة لا غير الا ترى ان هذه اللفظة لما وردت في القران الكريم
واريد بها قضاء الحاجة قرنت بالفاظ تدل على ذلك كقوله تعالى او جاء احد منكم
من الغائط فان قوله تعالى او جاء احد منكم دليل على انه اراد قضاء الحاجة دون
المطمئن من الارض فالكلام في هذا وامثاله انما هو مع اصل الوضع حقيقة
والنقل عنه مجاز واما الجهال فلا اعتبار بهم ولا اعتداد باقوالهم والعجب
عندي من الفقهاء الذين دونوا ذلك على ما دونوه وذهبوا الى ما ذهبوا
اليه واما الوجه الوضعي فهو ان المرجع في هذا وما يجري مجراه الى اصل اللغة

التي

التي هي وضع الاسماء على المسميات ولم يوجد فيها ان الوجه المليح يسمى شمسا ولا ان
الرجل الجواد يسمى بحرا وانما اهل الخطابة والشعر توسعوا في الاساليب المعنوية
فنقلوا الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من واضع اللغة في اصل الوضع ولهذا
اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية هذا امرؤ القيس قد اخترع شيئا
لم يكن قبله فمن ذلك انه اول من عبر عن الفرس بقيد الاوابد ولم يسمع ذلك لاحد
قبله وقد روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال يوم حنين الان حمي
الوطيس واراد بذلك شدة الحرب فان الوطيس في اصل الوضع هو التنور فنقل الى
الحرب استعارة ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي صلعم وواضع اللغة
ما ذكر شيئا من ذلك فعلمنا حينئذ ان من اللغة حقيقة بوضعه ومجازا بتوسعات
اهل الخطابة والشعر وفي زماننا هذا قد يخترعون اشياء من المجاز على حكم الاستعارة
ولم تكن من قبل ولو كان هذا موقوفا من جهة واضع اللغة لما اخترع احد من بعده
ولا زيد فيه ولا نقص منه واما الفرق بينه وبين الحقيقة فهو ان الحقيقة جارية على
العموم في نظايره الا ترى انا اذا قلنا فلان عالم صدق على كل ذي علم واحد صدق
على كل ذي علم بخلاف واسئل اهل القرية لانه ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز ان يقال
واسئل الحجر والتراب وقد يحسن ان يقال واسئل الربع والطلل واعلم ان كل مجاز فله حقيقة
لانه لم يصح ان يطلق عليه اسم المجاز الا لنقله من حقيقة موضوعة له اذ المجاز هو اسم للموضع
الذي ينتقل فيه من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من الحقيقة الى غيرها
واذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها الى حالته المجازية وكذلك ليس من
ضرورة كل حقيقة ان يكون لها مجاز فان من الاسماء ما لا مجاز له كاسماء الاعلام

القرية لانه لا يصح الا في بعض الجمادات دون بعض اذ المراد اهل القرية صح

لانها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات وكذلك فاعلم ان المجازات
اولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لانه لو لم يكن كذلك لكانت
الحقيقة التي هي الاصل اولى منه حيث هو فرع عليها وليس الامر كذلك لانه قد ثبت
وتحقق ان فائدة الكلام الخطابي هي اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير
حتى يكاد ينظر اليه عيانا الا ترى ان حقيقة قولنا زيد اسد هي قولنا زيد شجاع لكن
فرق بين القولين في التصوير والتخييل واثبات الغرض المقصود في نفس السامع لان
قولنا زيد شجاع لا يتخيل منه السامع سوى انه رجل جري مقدام واذا قلنا زيد اسد
تخيل عند ذلك صورة الاسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة ودق الفرائس
وهذا لا نزاع فيه واعجب ما في العبارة المجازية انها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي
في بعض الاحوال حتى انها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحلم بها الطائش المتسرع
ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام افاق
وندم على ما كان منه من بذل مال او ترك عقوبة او اقدام على امر مهول وهذا هو فحوى السحر
الحلال المستغني عن القاء العصي والحبال واعلم انه اذا ورد عليك كلام يجوز
ان يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لا مزية
لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي ان يحمل الا على طريق الحقيقة لانها هي الاصل والمجاز
هو الفرع ولا يعدل عن الاصل على طريق الحقيقة الى الفرع الا لفائدة مثال ذلك قول
البحتري مهيب كحد السيف لو ضربت به * ذرى اجا ظلت واعلامها وهد *
ويروى ايضا لو ضربت به طلا اجا جمع طلية وهي العنق فهذا البيت لا يجوز حمله على
المجاز لان الحقيقة اولى به الا ترى ان الذرى جمع ذروة وهو اعلى الجبل يقال ذروة الجبل

الجبل اعلاه

اعلاه والطلا جمع طلية وهي العنق والعنق اعلى الجسد ولا فرق بينهما في صفة العلو ها هنا ولا
يعدل اذن الى المجاز اذ لا مزية له على الحقيقة وهكذا كل ما يجيء في الكلام الجاري هذا
المجرى فانه ان لم يكن في المجاز زيادة فائدة على الحقيقة والا فلا يعدل اليه

الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة

اعلم ان هذا باب متعذر على الوالج
ومسلك متوعر على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون
القول فيه والبحث عنه ولم اجد من ذلك ما يعول عليه الا القليل وغاية ما يقال
في هذا الباب ان الفصاحة هي الظهور والبيان في اصل الوضع اللغوي يقال
افصح الصبح اذا ظهر ثم انهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه وبهذا
القول لا يتبين حقيقة الفصاحة لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات احدها
انه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحا ثم اذا
ظهر وتبين صار الوجه الاخر انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقط
صار ذلك اللفظ الفصيح بالنسب والاضافات الى الاشخاص فان اللفظ قد يكون
ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو فهو اذا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا و
ليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال لانه اذا
تحقق حد الفصاحة وعرف ما هي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف الوجه الاخر
انه اذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغي ان يكون فصيحا
وليس كذلك لان الفصاحة وصف حسن في اللفظ لا وصف قبح فهذه الاعتراضات
الثلاثة واردة على قول القائل ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل ولما
وقفت على اقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها ولم يثبت عندي منها ما اعول

عليه ولكثرة

عليه ولكثرة ملابستي هذا الفن ومعاركتي اياه انكشف لي السر فيه وساوضحه في كتابي
هذا واحقق القول فيه فاقول ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين واعني بالظاهر البين
ان يكون الفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب اللغة وانما كانت
بهذه الصفة لانها مألوفة الاستعمال بين ارباب النظم والنثر دايرة في الكلام دون
غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك ان ارباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار الفاظها
وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه
فحسن الالفاظ سبب استعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح اذن
من الالفاظ هو الحسن فان قيل من اي وجه علم ارباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ
حتى استعملوه وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه قلت في الجواب ان هذا من الامور
المحسوسة لان الالفاظ داخلة في حيز الاصوات والذي يستلذه السمع منها ويميل
اليه هو الحسن والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح الا ترى ان السمع يستلذ صوت البلبل
من الطير وصوت الشحرور ويميل اليهما ويكره صوت الغراب وينفر عنه وكذلك يكره
نهيق الحمار ولا يجد ذلك في صهيل الفرس والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لا اختلاف
في ان لفظة المزنة والديمة حسنة يستلذها السمع وان لفظة البعاق قبيحة يكرهها
وهذه اللفظات الثلاث من صفة المطر وهي تدل على معنى واحد ومع هذا فانك
ترى لفظتي المزنة والديمة وما جرى مجراهما مألوف الاستعمال وترى لفظة البعاق
وما جرى مجراها متروكا لا يستعمل وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة
ومن ذوقه غير ذوق سليم لا جرم انه ذم وقدح ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضا
من الجاهلية الاقدمين فان حقيقة الشيء اذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج

على ما خرج منها واذا ثبت ان الفصيح من الالفاظ هو الحسن فانى اقول ان الفصاحة مختصة بالالفاظ
دون المعانى فان قيل ما الدليل على ذلك قلت فى الجواب لو تاملت ما ذكرته بالنظر الصحيح
لما اوردت على هذا السؤال ولكنك اذا اوردته فاجيب عنه من وجهين الوجه الاول
انى قد قدمت القول بان الفصاحة فى اصل الوضع اللغوى من الظهور والبيان.
واللفظ الفصيح هو الظاهر البين وانما كان ظاهرا بينا لانه مالوف بالاستعمال لمكان.
حسنه وحسنه مدرك بالسمع والذى يدرك السمع انما هو اللفظ لانه صوت ياتلف
من مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو الموصوف
بفصاحة لانه ضدها لمكان قبحه وقد مثلت ذلك فى المثال المتقدم بلفظة المزنة
والديمة ولفظة البعاق ولو كانت الفصاحة لامر يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ.
فى الدلالة عليه سواء ليس منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا انها تخص اللفظ
دون المعنى وليس لقائل هيهنا ان يقول لا لفظ الا بمعنى فكيف فصلت بين اللفظ
والمعنى فانى لم افصل بينهما وانما خصصت اللفظ بصفة هى له والمعنى يجيء فيه ضمنا و
تبعا الوجه الثانى ان وزن فصيح هو اسم فاعل من فعل بفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو كريم
وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا مطرد فى بابه وعلى هذا فان الفصيح هو
اسم فاعل من فصح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للابانة عن المعنى فكانت الفصاحة
مختصة به فان قيل انك قلت ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين اى المفهوم
ونرى من ايات القران ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى الا باستنباط وتفسير وتلك
الايات فصيحة لا محالة وهذا بخلاف ما ذكرته الجواب عن ذلك انى اقول هذا لا
ينقض على ما ذكرته لان الايات التى تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شيء منها الا ومفرداته

الفاظه

الفاظه كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير يرتفع فى غموض المعنى من جهة التركيب
لا من جهة الفاظه المفردة لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة
تخصه وهذا ليس قدحا فى فصاحة تلك الالفاظ انها اذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت
كلها فصيحة اى ظاهرة واضحة واعجب ما فى ذلك ان يكون الالفاظ المفردة التى تركبت
منها المركبة واضحة كلها واذا نظر السامع التركيب احتاج الى استنباط وتفسير
وهذا لا تختص به القران وحده بل فى الاخبار النبوية والاشعار والخطب والمكاتبات
كثير من ذلك وسأورد ههنا شيئا فاقول قد ورد عن النبى صلى الله عليه واله
انه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون واضحاكم يوم تضحون
وهذا الكلام مفهوم مفردات الفاظه لان الصوم والفطر والاضحى مفهوم كله
واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل له علمنا ان صومنا يوم نصوم وفطرنا يوم نفطر
واضحانا يوم نضحى فما الذى علمناه مما لم نعلمه واذا امعن الناظر نظره فيه علم ان معناه
يحتاج الى استنباط والمراد به انه اذا اجتمع الناس على ان اول شهر رمضان يوم كذا ولم يكن
ذلك اليوم اوله فان الصوم صحيح واوله ذلك اليوم الذى اجتمع الناس عليه وكذلك يقال
فى يوم الفطر ويوم الاضحى ولهذا الخبر المشار اليه اشباه كثيرة يفهم معانى الفاظها واذا ركبت
تحتاج فى فهمها الى استنباط واما ما ورد من ذلك شعرا فكقول ابى تمام

ولهت فاظلم كل شيء دونها

واضاء منها كل شيء مظلم

فان الوله والظلمة كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بجملته يحتاج فى فهمه الى استنباط
والمراد انها ولهت فاظلم ما بينى وبينها لما نالنى من الجزع لولهها كما يقول الجازع اظلمت

أظلمت الارض علي اي صرت كالاعمى الذي لا يبصر واما قوله واضاء منها كل شيء مظلم
اي وضح لي منها ما كان مستترا عني من جميع الاشياء وكذلك ورد قول ابي عبادة البحتري
في منهزم

اذا سار هيفا عاد ظهرا عدوه
وكان الصديق بكره ذلك الجنب

فان السير والجنب والظهر والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى لكن
بمجموعه محتاج معناه الى استنباط والمراد به ان هذا المنهزم يرى ما بين يديه محبوبا
اليه وما خلفه مكروها عنده لانه يطلب النجاة فيؤثر البعد مما خلفه والقرب مما
امامه فاذا قطع سبسبا وخلفه وراءه صار عنده كالعدو وقبل ان يقطعه كان له
صديقا اي يطلب لقاه ويحب الدنو منه فانظر ايها المتأمل الى ما ذكرته من هذه
الامثلة حتى تجب عندك ما اردت بيانه واما البلاغة فان اصلها في وضع اللغة
من الوصول والانتهاء يقال بلغت المكان اذا انتهيت اليه ومبلغ الشيء
منتهاه ويسمى الكلام بليغا من ذلك اي انه قد بلغ بالاوصاف اللفظية والمعنوية
والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني وهي اخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان
فكل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح وليس
كل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر
غير الخاص والعام وهو انها لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة
الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة اذ يوجد فيها الوصف
المختص بالفصاحة وهو الحسن واما البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد
الذي ينتظم كلاما مسئلة تتعلق بهذا الفصل هل اخذ علم البيان من ضروب الفصاحة

والبلاغة

والبلاغة بالاستقراء من اشعار العرب ام بالنظر وقضية العقل الجواب عن ذلك
انا نقول لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء من ضروب الفصاحة فان العرب الذين
الفوا الشعر والخطب لا يخلو امرهم من حالين اما انهم ابتدعوا ما اتوا به من ضروب
الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل او اخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم
فان كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على اسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديئها وحسنها
من قبيحها فذلك هو الذي اذهب اليه وان كانوا اخذوه استقراء ممن كان قبلهم
فهذا يتسلسل الى اول من ابتدعه ولم يستقره فان كل لغة من اللغات لا تخلو من وصف
الفصاحة والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعاني الا ان اللغة العربية مزية على غيرها
لما فيها من التوسعات الخطابية التي لا توجد في لغة اخرى سواها مسئلة اخرى
تتعلق بهذا الفصل هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو ام لا
الجواب عن ذلك انا نقول الفرق بينهما ظاهر وذلك ان قانون النحو اخذت عن واضعها
بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجاز ذلك ولما كان العقل يأباه ولا ينكره
فانه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا لقيل به كما قيل برفع الفاعل
ونصب المفعول واما اقسام علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليست كذلك
لانها استنبطت بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة ولم يفتقر فيها الى التوقيف
منه بل اخذت الفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية من الحسن
لا يشاركها فيها غيرها فان كل عارف باسرار الكلام من اي لغة كانت من اللغات
يعلم ان اخراج المعاني في الفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع آخر
من اخراجها في الفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع ولو اراد واضع اللغة خلاف

ذلك لما ظلمناه فان قيل لو اخذت اقسام النحو بالتقليد من واضعها لما اقيمت الادلة عليها وعلم تفسير النظرات الفاضل ينبغى ان يكون مرفوعا والمفعول منصوبا الجواب عن ذلك انا نقول هذه الادلة واهية لا تثبت على محك الجدل فان هؤلا الذين قصدوا الافاضة بها معواعن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل ابداء لهم فاستخرجوا لذلك ادلة وعللا والا فمن اين علم هؤلاء ان الحكمة التى دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول التى ذكروها **الفصل التاسع فى اركان الكتابة** اعلم ان الكتابة شرايط واركانا اما شرايطها فكثيرة وهذا التاليف موضوع لجميعها بجميعها وللقسم الاخر من الكلام المنظوم وليس يلزم الكاتب ان ياتى بالجميع فى كتاب واحد بل ياتى بكل نوع من انواعها فى موضعه الذى يليق به كما ارشدناه فيما ياتى من هذا التاليف واما الاركان التى لا بد من ابداعها فى كل كتاب بلاغى ذى شان فخمسة الاول ان يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فان الكاتب من اجاد المطلع والمقطع او يكون مبنيا على مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادى والافتتاحات فليحذر حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر **الركن الثانى** ان يكون الدعا المودع فى صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذى بنى عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك فى باب مختصر ايضا فليطلب من هناك وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطانته وكثيرا ما تجد فى مكاتباتى التى انشاتها فانى قصدتها وتوخيته بخلاف غيرى من الكتاب لانه ربما يوجد فى كتاب غيرى قليلا ويوجد فى كتابتى كثيرا **الركن الثالث** ان يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى برابطة ليكون رقاب المعانى اخذة بعضها برقاب بعض ولا يكون

مفتقرة

وكذلك باب مفرد ايضا يسمى التخلص والاقتضاب وهذا الركن ايضا يشترك فيه الكاتب والشاعر **الركن الرابع** ان تكون الفاظ الكتاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال ولا اريد بذلك ان يكون الفاظا غريبا فان ذلك عيب فاحش بل اريد ان يكون الالفاظ المستعملة مسبوكا سبكا غريبا يظن السامع انها غير ما فى ايدى الناس وهى مما فى ايدى الناس وهناك معترك الفصاحة التى تظهر الخواطر براعتها والاقلام شجاعتها كما قال البحترى

ما اللفظ يقرب فهمه فى بعده
عنا ويبعد نيله فى قربه

وهذا الموضع بعيد المنال كثير الاشكال الى لطف ذوق وشهامة خاطر وهو شبيه بالشئ الذى يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العلم فلفظه هو الذى يستعمل وليس بالذى يستعمل اى ان مفردات الفاظه هى المستعملة المالوفة ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب واذا سموت ايها الكاتب الى هذه الدرجة واستطعمت طعم هذا الكلام المشار اليه علمت انه حينئذ كالروح الساكنة فى بدنك التى قال الله عز وجل فيها قل الروح من امر ربى وليس كل خاطر براق الى هذه الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومع هذا فلا تظن ايها الناظر فى كتابى انى اردت بهذا القول اهمال جانب المعانى بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه فانه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة فى حسنها الا ان صاحبها بليد ابله والمراد ان تكون هذه الالفاظ المشار اليها صاحبها المعنى

شريف على ان تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي اشرت اليه ابتر تحصيل الالفاظ الشا[مل للمعا]

ويحكى عن المبرد انه قال ليس احد في زماني الا وهو يسئلني عن مشكل من

معاني القران او مشكل من معاني الحديث النبوي او غير ذلك من مشكلات علم ا[لعربية]

العربية فانا امام الناس في زماني هذا واذا عرضت لي حاجة الى بعض اخواني واردت

ان اكتب اليه شيئا في امرها احجم عن ذلك لاني ارتب المعنى في نفسي ثم احاول ان اموه

بالفاظ مرضية فلا استطيع ذلك ولقد صدق في قوله هذا ووصف غاية الانصاف

ولقد رايت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقة ارباب الحرف والصنايع وما منهم الا

من يقع له المعنى الشريف ويظهر له خاطره المعنى الدقيق ولكنه لا يحسن ان يزوج

بين لفظتين فالعبارة عن المعاني هي التي تخلب بها العقول وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون

في استخراج المعاني فانه لا يمتنع الجاهل الذي لا يعرف علما من العلوم ان يكون زكيا

بالفطرة واستخراج المعاني انما هو بالذكاء لا بتعلم العلم وبلغني ان قوما ببغداد من

رعاع العامة يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون

ذلك في كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب

وسمعت شيئا منه فوجدت فيه معاني حسنة مليحة ومعاني غريبة وان لم يكن

الالفاظ التي صيغت بها صنيعة وهذا الركن ايضا يشترك فيه الكاتب والشاعر

لا يخلو الكتاب من معنى معاني القران والاخبار النبوية فانهما معدن الفصاحة

والبلاغة وايراد ذلك على الوجه الذي اشرت اليه في الفصل الذي يلي هذا الفصل

من معاني القران والاخبار احسن من ايراده على وجه التضمين وتوخي ذلك في كل

كتاب عسر جدا وانا انفردت بذلك دون غيري من الكتاب فاني استعمله في كل كتاب

حتى انه ليأتي في الكتاب الواحد في عدة مواضع منه ولقد انشات تقليد بعض

الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة ثم اني اعتبرت ما ورد فيه من معاني الايات

والاخبار النبوية فكان ما يزيد على الخمسين وهذا لا اتكلف تكليفا تكلفا وانما ياتي

على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يذكر فيه وقد عرفتك ايها الكاتب كيف

تستعمل ما تستعمله من ذلك الفصل الذي ياتي بعد هذا الفصل فخذه من هناك

وهذا الركن يختص بالكاتب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك اذ الشعر اكثره

مدايح وايضا فانه لا يتمكن من صوغ معاني القران والاخبار في المنظوم كما يتمكن

منه في المنثور ولربما امكن ذلك في الشيء اليسير في بعض الاحيان واذا استكمل

معرفة هذه الاركان الخمسة وابنيت بها في كل كتاب بلاغي ذي شان فقد استحق

استحقيت حينئذ فضيلة التقدم ووجب لك ان تسمي نفسك كاتبا الفصل

العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها وما

رايت احدا تكلم فيه بشيء ولا تاحسب الى هذه الفضيلة وبلغني الله منها ما بلغني

وجدت الطريق اليها تنقسم الى ثلث شعب الاولى ان يتصفح الكاتب كتابة

المتقدمين ويطلع على اوضاعهم في استعمال الالفاظ والمعاني ثم يحذو حذوهم

وهذه ادنى الطبقات عندي الثانية ان يمزج كتابة المتقدمين مما يستجد

لنفسه من زيادة حسنة اما في تحسين الفاظ او في تحسين معان وهذه هي الصـ

الطبقات الوسطى وهي اعلا من التي قبلها الثالثة ان لا يتصفح كتابة المتقدمين

ولا يطلع على شيء منها بل يصرف همه الى حفظ القران الكريم وكثير من الاخبار

النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الاجادة في المعاني

والالفاظ ثم يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة اعني القرآن والاخبار النبوية والاشعار
فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدي حتى يستقيم على طريق يفتحها لنفسه وخليق
بتلك الطريق ان يكون مبتدعة غريبة لا شركة لاحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق
هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد اماما في فن الكتابة كما يعد الشافعي وابو حنيفة ومالك
وغيرهم من الائمة المجتهدين في علم الفقه الا انها مستوعرة جدا ولا يستطيعها الا من رزقه
الله لسانا هجاما وخاطرا رقاما وقد سهلت لي صعابها وذللت لي جامحها وكنت ابتهج بادراك
ذلك لما عانيت فيه من العنا فاني سلكت اليه كل طريق حتى بلغت اخراه وانما تكون
الاشياء لعزة حصولها ومشقة وصولها

٭ ليس يحلو وجود الشيء بغير ٭
٭ طلاب حتى يعز طلابه ٭

ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت عن اسرارها واظفرتني بكنوز جواهرها
اذ لم يظفر غيري باحجارها فما وجدت اعون الاشياء عليها الا حل آيات القرآن العزيز
والاخبار النبوية وحل الابيات الشعرية وقد قصرت هذا الفصل على ذكر وجوهها
وتقسيمها وتمهيد الطريق الى تعليمها فمن وقف على ما ذكرته علم اني لم ازل نشاز بادوات
الله قد جعل بحر خواطري من بنات الافكار سريا وهذه الطريق يجهلها الكثير من متعاطي هذه
الصناعة والذي يعلمها منهم يرضى بالحواشي والاطراف ويقنع من لآليها بمعرفة
ما في الاصداف ولو استخرج ما استخرجت واستنبط ما استنبطت لهام بها في كل واد وتردد
الى سلوك طريقها كل رائد ٭ لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا
ولو اريد بهذه الطريق ان يكون الكاتب مرتبطا في كتابته بما يستخرجه من الشعر والقرآن

والقرآن العظيم والاخبار النبوية بحيث انه لا ينشئ كتابا الا من ذلك بل ربما انه اذا حفظ
القرآن واكثر من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم ذهب عن ذلك ينقب مطلع على
معانيه مفتش عن دفائنه وقلب ظهر البطن عرف حينئذ من اين تؤكل الكتف فيما
ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية الا ترى ان صاحب
الاجتهاد من الفقهاء يفتقر الى معرفة آيات الاحكام واخبار الاحكام والى معرفة لغة
الاحكام والى معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والى معرفة علم العربية والى
معرفة الفرائض والحساب من العلوم والمجهول من اجل مسائل الدور والوصايا وغيرها
والى معرفة اجماع الصحابة فهذه ادوات الاجتهاد فاذا عرفها استخرج بفكره حينئذ ما يؤديه
اليه اجتهاده كما فعل ابو حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من ائمة الاجتهاد وكذلك
يجري الحكم في الكاتب اذا احب الترقي الى درجة الاجتهاد في الكتابة فانه يحتاج الى اشيا
كثيرة قد ذكرتها في صدر كتابي هذا الا ان راسها وعمودها وذروة سنامها ثلاثة
اشيا هي حفظ القرآن الكريم والاكثار من حفظ الاخبار والاشعار وحيث انتهى بنا
القول الى هذا الموضع فاول ما ابدا به على عقب ذلك اني اقول ان حل الابيات الشعرية
ينقسم الى ثلاثة اقسام **الاول** منها وهو ادناها رتبة ان ياخذ الناثر بيتا من الشعر
فينثره بلفظه من غير زيادة وهذا عيب فاحش ومثاله كمن اخذ عقدا قد اتقن نظمه
واحسن تأليفه فاوهاه وبدده وكان يقوم عذره في ذلك ان لو نقله عن كونه عقدا
الى صورة اخرى مثله او احسن منه وايضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه سارقا
فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون الفاظه باقية بعينها لم يتغير منها شيء وقد سلك
هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مستهجنا لا مستحسنا كقوله في بعض ابيات الحماسة

وهي

والذي حنق عليّ كأنما … تغلي عداوة صدره في مرجل

أرجيته عني فأبصر قصده … وكويته فوق النواظر من عل

فقال في نثر هذين البيتين فكم لقي الذي أحنق كأنه ينظر إلى الكواكب من عل وتغلي عداوة صدره
في مرجل فكواه فوق ناظريه والكبر لغمره وبديه ولم يرد هذا الشاعر على أن أزال رونق الوزن
وطلاوة النظم لا غير ومن هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه وهو أن يكون البيت من الشعر قد
تضمن شيئاً لا يمكن تغيير لفظه فحينئذ يعذر ناثره إذا أتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر
في أول الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي … بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وقد نثرت ذلك فقلت لست ممن تستبيح إبله بنو اللقيطة ولا الذين إذا هم بأمر كانت الآمال
إليه وسيلة ولكني أحمي الهمل وأوفت الأمل وأقول سبق السيف العذل فذكر بني اللقيطة هاهنا
لا بد منه على حسب ما ذكره الشاعر وكذلك الأمثال السائرة فإنه لا بد من ذكرها على ما جاءت
في الشعر وأما القسم الثاني وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبة فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض
ألفاظه ويعبر عن البعض بألفاظ أخر وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الألفاظ
للتجلة فإنه إذا أخذ لفظ الشاعر مجيد قد نقحه وصحح جوهره بالابتداء كان ذكر جمع بين لؤلؤة
وحصاة ولا خفاء بما في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن والطريق المسلوك
إلى هذا القسم أن يأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم يماثله ويساويه وهاهنا
مثالاً واحداً من ذلك ليكون قدوة للمتعلم فأقول لقد ورد هذا البيت من شعر أبي تمام في
قصيدة له حذا بملا كل أذن حكمة من الكلام وبلاغة وقد ركل وريده فقوله تملا كل أذن
حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن ما في هذا البيت فإذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بد لك من استعمال

لفظ بعينه لأنه سلك مضيق لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة وأما
نثر الشعر بغير لفظه فذاك يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه ولا يكون مقيداً فيه بمثال يضطر
إلى مؤاخاته وقد نثرت هذه الكلمات المشار إليها وأتيت بها في حل كتاب فقلت وكلامي
قد عرف بين الناس واشتهر حتى قال قائل لمن هذا قيل وهل يخفى القمر وإذا عرف الكلام
صارت المعرفة له علامة ولم يحتج عليه إلى السمة إذ لو سرق لدلت عليه الوسامة ومن خصائص
صفاته أنه يملأ كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل لسان عجمة وإذا جرت نفثاته في الأفهام
قالت هذه بنت فكر ابن بنت كرمة فانظر كيف فعلت في هذا الموضع فإني لما أخذت تلك
الكلمات من البيت الشعري أتبعت بأن أخيها بما هو مثلها أو أحسن منها فجاءت بهذا الفصل
كما تراه وكذلك ينبغي أن يفعل فيما هذا سبيله وأما القسم الثالث وهو أعلى من القسمين
الأولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه وثم يتبين حذق الصانع في صياغته
ويعلم مقدار تصرفه في صناعته فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية
وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول واعلم
أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال فيه لناثره فيورده بضروب من العبارات وذلك عندي
شبيه بالمسائل السيالة في الحساب التي يجاب عنها بعدة من الأجوبة ومن الأبيات ما
يضيق فيه المجال حتى لا يكاد الماهر في هذه الصناعة يخرج عن ذلك اللفظ وإنما يكون
هذا لعدم النظير فأما ما يتسع المجال في نثره فكقول أبي الطيب المتنبي

لا تعذل المشتاق في أشواقه … حتى يكون حشاك في أحشائه

وقد نثرت هذا المعنى فمن ذلك قولي لا تعذل المحب فيما يهواه حتى تطوي القلب على

على ما لواه ومن ذلك وجه آخر وهو ان الصلت الفنان في الحرب العذل ضرب من الهذر ومن
هذا الباب قول ابي الطيب المتنبي ايضا وهو

ان القتيل مضرجا بدموعه ۝

مثل القتيل مضرجا بدمائه ۝

اخذت هذا المعنى ونثرته من ذلك قول القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون
غير ان ذلك لا يجرد من غمده ولا يقاد صاحبه بعمده فزدت على المعنى الذي تضمنه البيت
وغيرت اللفظ ومن ذلك وجه آخر وهو دمع المحب ودم القتيل متفقان في التشبيه و
والقتيل ولا تجد بينهما فرقا سوى انهما يختلفان لونا وهذا احسن من الاول واما ما
يضيق فيه المجال ويعسر على الناثر تبديل الفاظه كقول ابي تمام

تردى ثياب الموت حمرا فما اتى
لها الليل الا وهي من سندس خضر

وقول ابي الطيب المتنبي

وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم ۝

وامثال هذه الابيات لا اطيل وسبك المعاني يحصر فيه مقصد المقاصد حتى لا يكاد
الافراد كهذين البيتين الاول ان ابا تمام قصد المواخاة في ذكر لوني الثياب الاحمر
والاخضر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذي اراده من لون ثياب القتلى وثياب الجنة فاذا
حلت نظم هذا البيت واريد صوغه بغير لفظه لا يمكن ذلك وبيت ابي الطيب جار هذا
المجرى فانه بناه على وقعة من الوقائع وذلك ان حصنا من حصون سيف الدولة قصده
الروم وانتزعوه واخربوه فجدد سيف الدولة اليه واسترجعه وجدد بناءه وهزم

الروم ونصب من جثث القتلى على السور فنظم المتنبي فيه قصيدة اولها

على قدر اهل العزم تاتي العزائم ۝

فلما انتهى الى ذكر الحصن جاء بهذا البيت في جملة ابيات فشرح صورة الحال في ازعاج الحصن بالقتال
وتعليق القتلى عليه وابرز ذلك في معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا لا يمكن تبديل
لفظه وهو وامثاله مما يجب على الناثر ان يجتنب الشعر في فك نظامه لانه يتصدى
لنثره بالفاظه فان كان عنده قوة تصرف وبسطة عبارة فانه ياتي به حسنا رائعا وقد
نثرت هذين البيتين اما بيت ابي تمام فاني قلت في نثره لم تكتس المنايا قبح شعارها حتى
كستها الجنة فسيح شعارها فبدل احمر ثوبها باخضره وكاس حمامه بكاس كوثره وهذا من
الحسن على غاية يكون كمد حسودها من جملة شهودها واما بيت ابي الطيب المتنبي فاني قلت
في نثره سري الى حصن كذا مستعيدا منه سبية ترعها العدو اختلاسا واخذها [illegible] عنه
لا افتراسا فما زال بها حتى استقادها ولا نازلها حتى استعادها وكانت كانما بها جنون فبعث لها
من عزائمه عزائم وعلق عليها من رؤوس القتلى تمائم وفي هذا من الحسن ما لا خفاء به فمن شاء
ان ينثر شعرا فلينثره هكذا والا فليتركه وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر وابرزته في صورة
اخرى وذلك اني اضفت الى هذا البيت البيت الذي قبله وهو

بناها فاعلى والقنا تقرع القنا ۝

وموج المنايا حولها متلاطم ۝

ولما نثرت هذين البيتين قلت في نثرهما ما اذكره وهو بناها والاسنة في بنائها متحكمة
وامواج المنايا فوق يدي البأس متلاطمة وما اجلت الحرب عنها حتى زلزلت اقطارها
بركض الجياد واصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرؤوس والاجساد ولا شك

ان الحرب تعرد عن عواقبه وقول الاهكذا فليكسب المجد كاسبه وهذا احسن من الاول
واتم معنى وقد تصرفت في هذا الموضع بزيادة في معناه ونثرته على اسلوب احسن من هذا
الاسلوب فقلت بناها ودون ذلك البناء شوك الاسل وطوفان المنايا الذي لا يعاد
ساوى عنه الجبل ولم يكن بناؤها الا بعد ان هدمت رؤس عن اعناق وكانما هي
مجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمايم او شيبت طفلا فعلقت مكان الاطواق وهذا
الفصل فيه زيادة على المفصل الفصل الذي قبله واذا انتهى الكلام الى ههنا في التنبيه
على نثر الشعر وكيفية نثره وذكر ما يسهل منه وما يعسر فلنتبع ذلك بقول كلي في هذا الباب
فنقول من احب ان يكون كاتبا وكان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات
العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم ياخذ في نثر الشعر من محفوظاته وطريقه ان يبتدي
فياخذ قصيدا من القصايد فينثره بيتا بيتا على التوالي ولا يستنكف في الابتدا ان ينثر
الشعر بالفاظه او باكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك فاذا مرنت نفسه وتدرب خاطره
ارتفع عن هذه الدرجة وصار ياخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن
ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعاني
لقاح فيستنتج منها معان غير تلك المعاني وسبيله ان يكثر الادمان ليلا ونهارا ولا
يزال على ذلك مدة طويلة حتى يصير له ملكة فاذا كتب كتابا او خطب خطبة تدفقت
المعاني في اثناء كلامه وجاءت الفاظه معسولة لا معسولة وكان عليها طلاوة حتى يكاد
يرقص رقصا وهذا شيء خبرته بالتجربة ولا ينبئك مثل خبير ه

فان قيل الكلام قسمان منظوم ومنثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور
هلا كان الامر بالعكس قلت في الجواب ان الاشعار اكثر والمعاني فيها اغزر وسبب ذلك

ان العرب

ان العرب الذين هم اهل الفصاحة كان جل كلامهم شعرا ولا نجد الكلام المنثور في كلامهم الا يسيرا
ولو كثر فانه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر فاودعوا اشعارهم كل المعاني كما قال الله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون ثم جاء الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمرت
الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر ولهذا
صارت المعاني كلها مودعة في الاشعار وحيث كانت بهذه الصورة كان حثي على حفظها
واستعمال معانيها في الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت في هذا الموضع ابياتا
تكون قدوة للمتعلم فمن ذلك قولي في فصل من فصول الكلام يتضمن ذكر السيادة وهو ان الشريف
من شرف بنفسه لا بما دفن مع ابيه في رمسه فان تلك مكارم استحمل الزمان عاداها
ثم ماتت اربابها فذهبت مع موتاها ولو ساد الناس باباهم لكان السيادة للطينة الاولى
ولكان خلو الابنا من الابا محمولا وهذا المعنى ماخوذ من قول الشاعر

وما الفخر بالعظم الرميم وانما ه
فخار الذي يبغي الفخار بنفسه ه

غير ان الفصل الذي ذكرته يتضمن من المعاني زيادة على ما تضمنه هذا البيت ومن ذلك
ما كتبته في فصل من كتاب يتضمن معاتبة الاخوة ويتصل اليهم فقلت جرحوا قلبي ثم
يذهب بالم الجراحة وطرفوا عيني وهم يريدون ينظرها ملاحة واذا صدرت هذه الاسا
عن الاحباب لم يكن وقعها وقع الا صحبت وهو منسيها اذ تجددت الاساة بالذكرى
وما منهم الا من سبط دمه بدمه ولحمه بلحمه ولولا ان الاسماء معارف الاشخاص لكان اسمي
واسمه على اسمهم وكيف اخشى عليهم وقد حصلني الله لهم على القلى ام كيف اذود النفس عنهم وهي
مشتقة منهم وادم بين الماء والطين ومتى اخلو من شجرة اغصانا لهذه الاغصان

وقد اصيب حرقوتهما بالجداد ولهذا قيل ان الاخوة يتعذر الاعتياض عنهم ولا يتعذر الا عن الاولاد اخر هذا الفصل ماخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

تعزيت عمن اثمرتك حياته

وسك التعزي عن ثمارك اجدر

تعذران تعتاض عن اتمهما تماه

واباننا والنسل لا يتعذر

غير ابن الرومي ذكر ذلك في تعزية انسان بابنه فتصرفت انا في هذا المعنى ونقلته الى هذا الفصل في تضمنه معاتبة اخ لاخويه ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن ذم للشيب فلت والعيش كل العيش في سن الحداثة وما يا ان بعدها لا يدعي الا من العنا انه وليس بعد الاربعين من مضيف اللذة ولا مرجع وهي نهاية القوة الصالحة من الطباع الاربع فاذا تجاوزها الانسان تسارع عمره على اخر منها وصارت زيادته كزيادة التصغير التي هي زيادة تدل على نقصها ويصبح عند ذلك وهو يدعا ابا بعد ان كان يدعى ابنا وقمص ثوبا من الشيب لا يجر ذيله خيلا ولا يرهى حسنا وانه قيل ان احسن الثياب شعار البياض قيل الا هذا الثوب فانه مستثنى ويكفيه من الفظاعة ان ينظر الاحباب اليه نظر القال ولولا ان الحزن بعده لما استعمل له لفظ الاشتعال ومن الناس من يلبس لونه بصبغة الخضاب وليس ذلك الا حدادا على فقد الشباب وهو في فعل هذا كاذب ولا تخطى بين الصادق من وحشة الكذاب وخليع النفس عنهما ان تسلو عن برهة العطلة وقصر المشيد وحسن لها الخروج في ثوب مقصر وهي تراه بعين الثوب الجديد وبعض هذا ماخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

رايت خضاب المرء بعد مشيبه حدادا على شرخ الشبيبة يلبس

بعض

غرائب في هذا الفصل معان كثيرة لطيفة لا توجد في كلام لغيري ومن ذلك قولي في وصف الجود والسخاء وهذا الفصل يشتمل على معان متعددة فمنها قولي في العطاء وهو نشا فيهتدي لسباب الغنى بروية حتى كادت تورق ومن فضيلته انه لا يا بى به على عين الناس واذا غرس عنده فان رب ذلك الغراس فلا يستكثر ما جادت به سحاب يده ولا يمنع عطاء يوم عن عطاء غده وبعض هذا المعنى ماخوذ من شعر ابي نواس

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا ابنوا لم يهدموا لبنائهم اساسا

ومن هذا المعنى ايضا قولي وهو اخذ المكارم من سمائها واربتها وقام ينفلها في الناس وفرضها وتحلا ببعض سماء الشهور حتى اصبح بعضها حاسدا لبعضها فالمحرم للعائد محرم وصفر للطامع في مستغاه قد صفر وربيع لرائد نواله وكجب لا قوال العذاله وهذا ماخوذ من قول الفرزدق

يراك يدربيع الناس فيها

وفي الاخرى الشهور من الحرام

وقد قال الشعراء في ذلك كثيرا الا اني انا تصرفت في هذا المعنى تصرفا لم يتفق لاحد غيري ومن هذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب وهو ولقد سوى بين اعدائه في البغض ومن امواله وهذه مغضبة بوقايع نصاله وهذه مغيظة بصنايع امواله ولو احب المال لكان احب اليه ما يبذله كما ان احب الناس اليه من يسئله ومن احسن ما سمعت من الكرم انه جاد حتى يبذل رغبة العافين زهدا وراى الحمد عوضا من الصنيعة فابا ان يعتاض من صنايعه حمدا وبعض هذا ماخوذ من شعر ابي نواس وهو

لين اعداى كانوا الابا سقيا ما لا

ومن ذلك قولي في وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والاجبار وما يتعلق بذلك
ويجري معه وهذا الفصل يشتمل على معان مختلفة فمن ذلك ما ذكرته في وصف العسكر وهو

فرسا في غمامة من الكتائب ٥

يظلها غمامة من الطيور الاشائب ٥

فهذه تحتها بحر من حديد وهذه تحتها بحر من صعيد وما نزلت ببلد الا والقت اليه
من ساكنه والبست نهاره ثوب ظلامه وبدلت احراره بعبيد وحرائره بامائه وكذلك
حلت بمدينة فلانة وقد ضرب الامن عليها اسوارا وبعد عهدها بالنوائب فلم يدخل لها
ديارا فهي تخبر عن بلهنية العيش ولم ترع عنها بالاشغال ولا رأت السيف وقد القى لونه
في ذوائب الاطفال فما شعر اهلها الا وقد دهمها الجيش بكاهله ورماها بوابله قبل طله وطل
السحاب قبل وبله ونزلت خيل القوم بها رقص فرسانها وهي متبصرة الى طرادها كأن بها سبيا
الى صيدها فما منهم الا من بينا والقنا له في يده بين لهذمين ويستقل السرج منه ومن
جواده بين مطمين تجري المغاوير الى المغاوير وتلاقي الرياح بالاعاصير وكان الطعن بينهم
عناقا والليث عناقا وسبق الى الموت المراح ونفذ غير محتسب لسرعتها اسنة الرماح وحصل
القوم في القبضة وذوو عقبى الهيضة وجيء بالاسرى مقرنين في الاصفاد موقنين ان وسم
عوار على تلك الاجساد لو استطاع راس احدهم ان ينكر عنقه لانكره ولا يود وهو العظيم
ان يقال ما اعظمه بل يقال ما احقره وتفرقت ايدي المسلمين في القتل والنهاب وكان السيف
رقاب والمسترقاب فهذا الفصل معان كثيرة مستحسنة ومنها ما اخذ من شعر المتنبي كقوله

سحاب من العقبان يزحف تحتها ٥

سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه ٥

وكقوله

وكقوله واستعار الحديد لونا والقى ٥

لونه في ذوائب الاطفال ٥

ومن ذلك ما ذكرته في وصف المسلوبين في فصل من جملة كتاب يتضمن البشرى بفتح نكتا

وهو ٥ فسلبوا وعاضتهم الدماء عن اللباس ٥

فهم في صورة عار وزيهم زي كاس ٥

وما اسرع ما خيط لباسها المحمر غير انه لم يجب عليهم ولم يزر وما البسوه حتى لبس الاسلام شعار
النصر الباقي على الدهر وهو شعار نسجه السنان الحاذق لا الصنع الحاذق ولم يعب
عن لابسه الا انه بها غابت البيض في الطلى والهام والف الطعن بين الف الخط واللام
وهذه معان حسنة رائقة ومنها معنى واحد مأخوذ من شعر البحتري وهو

سلبوا واشرقت الدماء عليهم ٥

محمرة فكأنهم لم يسلبوا ٥

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن فتحا وهو اصدرت هذا الكتاب والفتح غض
طري لم ينصل حمرة نوره ولا اغمدت سيوف نصره مقرونة بما بثا عجاجه مثله
نجلاء ضربه وعجاج رجاجه وهذا المعنى ينظر الى قول ابي تمام ٥

كتبت وجوههم مشقا وتمنمة ٥ ضربا وطعنا يقد الهام والصلفا ٥

كتابة ما تني مقروءة ابدا ٥ وما خططت بها الا ولا الفا ٥

الا ان ابا تمام مثل آثار الضرب والطعن في الوجوه بالكتابة وانا مثلت خط الكتاب
وعجاجه بالضرب والطعن فكأنني عكست المعنى الذي ذكره ابو تمام وهذا ا
مقصد اتم حسن في حل الابيات الشعرية فان استخراج المعنى منعكسا ادق من استخراجه

من نفسه وقد نبهت على ذلك في مواضع اخر من هذا الباب ومن ذلك ما ذكرته في فصل كتاب
يتضمن فتحا من فتوح الكفار وهو

واقبلت احزاب الكفر وهي معتصمة

بعددها ومعتمدة على عددها الكثير

كهشيم خطيبها ولم تعلم ان ما قد كتب عليه الهون عقيب تلك الكرامة وان ذو شعب اربع
والترسيع تحت حكم البجامة وكيف ترجوا بكثرها ظهورا ولها منه معنى الاجتماع ولا لها
معنى السلامة ولما التقى الجمعان اصطفت يمين وشمال وجمعت حبال الحبال وكرت
النفوس على المنايا حتى كادت الانفس بالاجبال واقدمت الخيل اقدام فرسانها واظلم
النقع فلم تبصر الا باذانها ونالت النحور ثارها من كعوب الرماح واشتبكت الاسنة
فلا طريق بينها الا في مهب الرماح واستوصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالحد السيف دوحا لحصد
دون حديد الاصفاد ونقلوا الى جهنم يصلونها وبئس المهاد وانقلب المسلمون وقد
ملاء الاغاد نصرا والصحايف اجرا والايدي وقرا والقلوب جلا والالسنة شكرا وكان ذلك
اليوم في الايام علما وفي الاقسام قسما ولم يره الزمان منسوبا اليه الا راجع شبابا يعيدان ناهز
هرما وفي هذا الفصل شيء من معاني الشعر وذلك في قول ابي الطيب المتنبي

اتاهم باوسع من ارضهم طوال السبيب قصار العسب

تغيب الشواهق في جيشه وتبدو صغارا اذا لم تغب

ولا تعبر الريح في جوه اذا لم تخط القنا او تثب

ومن قوله ايضا

في جحفل ستر العيون غباره

فكانما يبصرن بالاذان

ومن ذلك ما ذكرته في الانجاد واجابة الصريخ وهو اذا استصرخ اصرخ بعزم عند صحبه الجيش
من لذة العيش فهو يستعذب حر الثغور على برد الثغور وماهو بالبيض الذكور عن بيض الخدور
ولا يطيب عنده الاريج العجاج ولا عناق الا اطراف الزجاج ولا دولة في الرقاد الا على صهوات
الجياد ضمر كظيبا ممنوع في الوغا عسكره وتحت باسه ناى اما الاقران فصرع او مغفر وهذه
المعاني ماخوذة من ابيات حماسية ومن شعر مسلم بن الوليد ومن ذلك ما ذكرته في وصف
المخبر دون المنظر وهو اذا سمت لامر فكن واحدا منهم كانك ولا ترض بكثرة الشركاء فقال الله
من قراءتك لم تر الى الحرباء وهو دويبة حقيرة الشان ضعيفة الاركان فاذا ارتفع وهواه
عن الارض واربا الى السماء وسمتها وقال لا احب من نقد الايام من حسنة ولا من نعيم
احد فيه حيلة ولا خدعة والهمم ليست منوطة بجهارة المناظر والتعويل على الجوهر المستتر في
الافئدة الباطنة لا على الظواهر ومن ها هنا قيل ان وضاءة النفوس تغني عن وضاءة الاجساد
ورقم التسليم حسن من رقم الابراد واخر هذا الفصل ينظر الى قول سحيم عبد بني الحسحاس

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما

او اسود اللون اني ابيض الخلق

الا ان اول الفصل يتضمن معنى غريبا لم يسبقني اليه احد ومن ذلك ما ذكرته في الحسد في فصل
من كتاب وهو حاسد يستعد ما ينظر الى زهرة دنياه ولا ينظر الى استحقاقه وهو كالناظر الى
الاطواق الموضوعة في الجيد ولا يدري ان الجيد احسن من اطواقه ولو قاس الدنيا بالاستحقاق
لذهب الحسد من صدره وقلما سلم الحسد من لم يتسع قدر دنياه الى مقدار قدره ومن
ذلك ما ذكرته في فصل كتاب يتضمن الاعتذار عن تواتر المكاتبات وهو ان اعتذر من
انقطاع الكتب اعتذر الخادم من اتصالها ولو كانت واردة على غير ذلك الباب الكريم

نخاف من املاء الهاوقد عقد احتمال تثقيلها من جملة الايادي التي اتعلنه واراد ان يجري

معها ابو ابي شكره فاعليه وما امهلته وهو لان مرتهن بين قديم منها وحديد واصبح

كراش اذ تكاثرت عليه الظباء فلم يدر اكثرتها ما يصيد فان امسك سيد فى اياديه والا

فليتفضل على الشكر بالانظار وليعلم ان تقصيره فانما كمن يدين المال فى الاعسار وهذا

فصل فى هذا المعنى فلما يؤتى بمثله وفيه معنى ماخوذ من قول الشاعر ٥

تكاثرت الظباء على خراش ٥

فما يدري خراش ما يصيد ٥

ومن ذلك ما ذكرته فى استصلاح مودة قلت كنت عنده بالمنزلة التى امن بها ما

اخشيه فصرت اخاف ما ارجوه وكان لا يقبل على شهادة عينه فاصبح الان وهو تقبل

شهادة اذنه لكن لم يجعل قلب القلوب بين اصبعين من اصابعه الا ليذهب بها فى

كل واد ومن ههنا كانت تنتقل من واد الى قلى ومن قلى الى وداد ولا شك ان ايام

الحالتين عرايتهما اليه كما يتماعاد الاجساد والصبر خير ما استعمل فى جفا جفاء الاحوال

والماء اذا جرى فى مكان ثم انحرف عنه فلا بد ان يعود الى ذلك المكان وبعض هذا

ماخوذ من شعر ابن الرومي ٥

عهدتك لا تعتد بالعين شاهدا ٥

على فلم اصبحت تعتد بالاذن ٥

ومن ذلك ما ظهر ته ذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الملوك على يدي بعض العفاة وهو

النسيم الكريمة للانسان بمنزلة المسك فى سر الغزال غير ان طيب هذه تعشق بالانوف

وطيب هذه تعشق بالاذان وقد جعل تفاوت المرتبتين هذين الطيبين فرقا ما احدهما

يبقى دائما ولا يذهب والآخر يذهب ولا يبقى وتصيب مولانا من الطيب الباقي نصيب

زكت معادنه وكثرت خزائنه وسارت فى الارض محاسنه ورفعه الله به الى محل بعيد

شاوه على الطالب ولا يرى الا في لسان شاعر او لسان خاطب وهو مما استثنى من خلق

الناس الذي هو من طين لازب وفى رجال ذلك يرون اشباها ما عداه وما هم الا

من نقص فضله ولو كان من حساده او عداه وقد اصبحوا وهم يقلون لديه حين يكثرون

ويقول كل منهم لصاحبه افسحر هذا ام انتم لا تبصرون وهذا الفصل وان تضمن شيئا

من القرآن الكريم فليس المراد به هنا القرآن بل فيه شيء ماخوذ من الشعر وهو قول المتنبي

للناس عالم يروك اشباها ٥

والدهر لفظ وانت معناه ٥

ومن ذلك ما ذكرته فى وصف الخمر وهو الخمر لا يتقى اسكارها بتنفيس خمارها

فهى خرقاء البنان مدنسة اللسان وتانيثها بذلك انها من ناقصات العقول

والاديان وقد عرف من ظلم سنة الجور فى احكامها ولولا ذلك لما استاثرت

فى الرؤوس بجناية اقدامها وهذا احسن من قول الشاعر واغرب والطف لانه قال

ذكرت حقايدها القديمة اذ غدت ٥

وهنا تطوبارجل العصاة ٥

لانت لهم حتى انتشوا فتمكنت فيهم فنادت فيهم بالثار ٥

وكذلك قلت فى وصفها ايضا

مدامة تنفي خواطر الهموم ٥

وتجري مجرى الارواح فى الجسوم ٥

وقد شهد بان الكرم مستخرج من ماء الكروم ويتمثل حبها الا انها مضلة والهداية للنجوم وبعض هذا
ماخوذ من قول ابي نواس اذا هي حلت في اللهاة من الفتى ۞ دعا همه من صدره برحيل ۞ وما زال الشعراء
يتواردون على هذا المعنى حتى سمج لكن الذي ذكرته بعد هذا المعنى من محاسن المعاني في وصفها كله و
ما ذكرته ايضا في وصفها وهو الخمر كالعذراء في خفرها وملازمة خدورها ولهذا تستتر من نظر
المزج وتحتجب لمس الماء احتجاب الابكار لمس الازواج ومن شانها ان تلبس عند الزفاف اكليلا على راسها كما ان و
شان العرايس عند زفافها الى اعراسها وهذه المماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يات بها احد غيري
وانما وصفت بها بكر كقول ابي نواس ۞

فقلت لشيخ منهم متكلم الدين قسيس وفي نطقه كفر ۞
اعندك بكر رق الطعم قرقف ۞
صنيعة دهقان تراخى له العمر ۞
فقال عروس كان كسرى ربيبها معتقة من دونها الباب والستر ۞

ووصفت بالنكاح والتزويج كقوله ايضا ۞

وقهوة كالعقيق صافية ۞
يطير من كاسها لها شرر ۞
تعجبها المالي يدبه فامتعضت حين مسها الذكر ۞

ومن ذلك ما ذكرته في الحزم وهو لا ينبغي للحازم ان يتناول الورد المورود تصحيحا وان افضى
القصد الى حسنه فان في الذي اخرجه التعرض له مع وجود طيبه وليدع قول من قعد
عن نيل السلامة ويلبس الكتائب بالكتائب ويقول ليس للعزم الا تمام القصد ولكن
تمام العواقب وبعض هذا ماخوذ من قول ابي تمام ۞

وركب

وركب كاطراف الاسنة عرسوا ۞
على مثلها والليل تسطو غياهبه ۞
لامر عليهم ان تتم صدوره وليس عليهم ان تتم عواقبه ۞

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الراي والكيد وهو اخفى على العدو كيده حتى لم يدع كايدا
واعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حايدا فسيوفه تسطو على بعدها ولا تقطع الا وهي
في غمدها وبعض هذا المعنى اخذته من شعر ابي تمام وهو ۞

سكن الكيد فيهم ان من اعظم ۞
كيدا ان لا يدعى لـ[illegible] سا ۞

وكذلك قولي في هذا المعنى وهو اخذ بسمع العدو وبصره وسد مطلع ورده وصدره وهذه
مغلوبة مع انها طلقة السراج ومقاتلة بادية على انها شاكية السلاح وهذا المعنى نظير
للمعنى الذي قبله وكذلك قولي ايضا وهو يثبت براية العدو وقبل جيشه ويلقاه بطيش
قلبه الذي كل الحلم في طيشه فاذا اظلمت وجوه الاراء كان رايه لها مصباحا واذا احمدت المحافل
لحرب كان قلبها سلاحا وبعض هذا ماخوذ من شعر البحتري وهو ۞

المرء ماعد بلدا بالراي الا ۞
لقاء غر والجنود ۞

ومن ذلك ما ذكرته في وصف السير والركاب والخيل والقفار وما يتعلق بها فمما يتعلق بالسير
وهو ركب ظهر الليل سارٍ سيرا شهرا بعيرا اشهب ويتقرب بعد الذي في نيل مطلبه
غير ان ذلك تعري اديم الغياهب وهذا يعري اديم السباسب وهذا ماخوذ من قول المتنبي
يباري نجوم القذف في كل ليلة نجوم له منهن ورد وادهم ۞

ومن هذا المعنى ايضا قولي وهو اتخذ الليل ظهرا واستلان خشونة السرى ظهر زلل فيقدح صبغ
سواده بصبغ جواده حتى بدت في اديم الليل شيات صباحه وشابه الادهم في غرته واوضاحه
وعند ذلك اخذ احدهما في رحيله واخذ الاخر في نزوله وهذا المعنى ينظر الى الذي قبله وفيه
من شرف الصنعة ما لا خفاء به ومن ذلك ما ذكرته ايضا في فصل من كتاب سرت وتحتي بنت
قفرة لا يذهب السرى بمراحها ولا يستزيد الحادي من مراحها فهي تموج بانثناء الزمام واذا سارت
بين الاكام قيل هذه واحدة من الاكام ولم تقسم خبرة الالا انها تقطع عرض الفلاة كما يقطع الجسر
عرض الماء ولا تستثبت حرفا الا انها جاءت لمعنى في العزائم لا لمعنى في الاصال والاسماء
وخلفها حبيب من الخيل تصل بجدع وتدبر بعجزة وتنظر من عين محظر وتسمع باذن حجرة
وتجري مع الريح الزعزع هذه بها وقد ظهر فيها اثر الفترة وتماسك خلفها الا وهو يهتدي
بها في المسالك المشكلة ويطأ على اثارها فظهر وجه البدور باشكال الاهلة هذا والليل
قد القى جرانه فلم يبرح والكواكب قد ركدت فيه فلم تسبح وانا اود لو زاد طوله ولم تظهر غرة
ادهمه ولا حجوله فقد قيل ادنى للبعد واكتم للاسرار ودل عليه القول النبوي بان الارض
تطوى فيه ما لا تطوى في النهار وما زلنا نسير ونبدا بنومه حتى كادوا يتصلون بسواده وظهر
ذنب السرحان فاغار على سرح السماء كما يغير السرحان على سرح النقاد فعند ذلك نهلت
في الكرى نهلة الطائر ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمئنة وانما كان على الظهر السائر
وفي هذا الفصل كل مليحة من المعاني ولو لم يكن في هذا الكتاب سواه لكان كافيا وبعضه
ماخوذ من الشعر كقول ابي تمام وهو

لموج بانثناء الزمام كانما ✽ يخال بها وعد تربها الحيف ✽

وكقوله: بالسيقات العتاق كانما ✽ اشباحها في الاكام اكام ✽

ومن ذلك ما ذكرته في النسيب في فصل من كتاب وهو لهم نسب لا يدخله الام التعريف
وهو موضوع لا تجري على سنن التوقيف فاذا ذكروا فصحت عن عرفانه على الملك ووجدته
مهملا في جملة الهمل وان قيل انهم من نجوم السماء وقلت لاكنه لا يخرج عن النور والحمل
فما رهف لو ضم لسان الابنا واللاه افلح له ونادما لمرء الاحيا وهو منه كالذي الذي
يرى لنفسه ابنا ولا يرون له ابنا وهذا الغرض ما اوتي به في ذم النسب وهو من باب توليد
المعاني الذي يسمى الكيميا وبعضه مستولد من قول ابي نواس في هجاء الخصيب

وما خبره الاكاوي يرى ابنه ✽

ولم يراو حزن ولا سهل ✽

فابو نواس ذم خبر الخصيب في عدم رؤيته وانا نقلت ذلك الى النسب فجاء الطف واحسن
والطف وادخل في باب الصنعة واذا حقق النظر فيما ذكره ابو نواس في هذا المعنى لم يوجد
مناسبا فان الخبر يعدم رؤيته لا يحمل على ابن اوى وانما المناسبة تقع في النسب
والحمل في ذلك ذكر الابن والاب ومن ذلك ما ذكرته في ذم قوم وهو تركت قوما لم ينفعوا
صديقا ولم يحرجوا والي عدو فاعراضهم نكرة العارف واموالهم حنظلة الناقة لا تمطر
سحبهم على كثرة مايها ولو تركوا الذر يعتر بارضهم على نباتها ومعنى هذا المعنى ماخوذ من
شعر الشريف الرضي ✽

تركت اناسا لم يفيقوا لمنتم ✽

ولم ينفعوا على الظباء الخوامس ✽

على القرب فيهم انني غير طاعم ✽ وانك على بعد المدى غير آيس ✽

ومن هذا الباب ايضا قولي وهو تركت قوما يسلون الحبيب ويكون القريب لا يرعون ود عامهم

ولا يبيت اللبن على مراعاهم ضوالهم ثجايا واعراضهم صحايا ومن احسن صفاتهم انهم ضيافون بالظنة ولا يرتاحون لنشر فالتبرادع لديهم مدخونة والصنايع غير مسنونة وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي الطيب وهو

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ۞

ولا يدر على مرعاكم اللبن ۞

جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن ۞

ومن ذلك ما ذكرته في الحث على الاغتراب وهو لولا التغرب لما ارتقت بنات الاصداف الى شرف الاعناق ولا ارتقى تراب الاحجار الى نور الاحداق وكذلك قولي في هذا المعنى وهو في الانتقال تنويه لخامل الاقدار ولولا ذلك لم يكس الهلال حلة الابدار والنبل الرطب حطب في اوطانه والمسك دم في سرب غزلانه ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الاصابة ولولا فراق الوشيج منبته لم يحل بعز السنان ولا شرف الذوابة وهذا الفصل فصل من القول ضمنا وعالم ينشئ للخواطر ابتنا مبناه فمنه ما هو ماخوذ من الشعر ومنه ما سنح مبتكر الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه ومن ذلك ما ذكرته في وصف الايام وهو ايام قصرت باعوام لقصر اعمارها وشهور لا يشعر بانصافها ولا سرارها فالاوقات بها اصايل والمحاسن فيها شمايل والمآرب فيها رياض فيها خمايل فما ادري اهي خيالات احلام غرت ام احاديث امان مرت وبعض هذه المعاني ماخوذ من ابيات الحماسة

شهور ينقضين وما شعرنا ۞

بانصاف لهن ولا سرار ۞

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الاخوان وهو ليس الصديق من عد سقطات خريسه وجازاه بعثرة

وسيمته بل الصديق من ماشى اخاه على عرجه واستقام له على عوجه فذلك الذي ان راى سيئة وطئها بالقدم او راى حسنة رفعها على علم وبعض هذا المعنى ماخوذ من ابيات الحماسة

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ۞

عني وما سمعوا من صالح دفنوا ۞

الا ان الذي ذكرته هو ضد المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو احسن ما يستخرج ونقد ومن هذا قولي ايضا ليس الصديق من صرح خلاف وده وغش في صفقة عهده بل الصديق من لا ترد سلعة وده باقالة ولا عيب ولا تخص محافظة اخاه في شهادة دون غيب فلك الذي في من غير ريب وكرى من غير نسب وهذا ماخوذ من الفقه في تصرية ضرع الشاة عند البيع وذلك يوجب الرد ومما ينتظم بهذا السلك قولي وهو الاشتغال عن خلة الوداد كالاشتغال عن نسب الميلاد فكما يحرم هذا في نص الحكم المشروع فكذلك يحرم هذا في خلق الكرم المطبوع على ان نسب الخلة الذي يضيف القلب الى القلب اوصل من نسب الرحم الذي يضيف الابن الى الاب. ولهذا كانت مودة سلمان قربة ونسب ابي لهب سبا وتبا وبعض هذا ماخوذ من شعر ابي نواس وهو

كانت مودة سلمان له نسبا ۞

ولم يكن بين نوح وابنه رحم ۞

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الديار وهو دار كانت مقاصر جنة فاصبحت وهي ملاعب جن فما اصبحت صحائف ولقد غنيت احبارها قطانها واثارها اوطانها حتى بايعت هذه الحمام والاحزى في العفاء وكنت اظن انها لا يسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام عرانين السحاب بكاهم فجرت سوابح دموعهم والليل شق عليهم ثوبه فقطر الصباح من خلال صدوع عشر

وهذه معان لطيفة جداً وبعضها ماخوذ من شعر الشريف الرضي رحمه الله وهو

امراتع الغزلان غيرك البلى حتى غدوت مراتع الغزلان ٥

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الديار وهو دار اصبحت مراتع انواد بعد ان كانت مراتع
فلو تصورت الآمال التي تملت بفنائها كما تصورت الاثار الماثلة من سكانها لرايت رسومها
مع رسوم الشباب وعلمت كم غار بها من بحر وتقشع من سحاب وهذا معنى حسن لمن تفهمه
من حامد ومن سامع بين ومشاهد وهو من معاني التشجيه ومن ذلك قولي ايضاً وهو
النقص موكل بكمال النعماء ولذلك كان الحجر مقروناً بالمرعى والماء وقلما ترى ثمراً الا
وعليها زنبور ولا لذة الا والى جانبها شيء محذور وكذلك قولي ايضاً وهو لا يظفر الراء
نمط البر شفعاً ولا يايس من كل جهة نفعاً بل يرى مرعى بلا ماء وماء بلا مرعى وكذلك
كانت النحلة مع الشهدة والشوكة مع الوردة وبعض هذه المعاني ماخوذ من قول ابي تمام

ارض بها عشب جرى وليس بها ماء ٥

ماء ولحرى بها ماء ولا عشب ٥

في الآن الكلام المنثور زيادة على ما تضمنه الشعر كانه نظر اليه نظراً بعيداً ومن سبيل
للمتصدي لهذا الفن ان ياخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الاكسير في صناعة الكيميا اذ يخرج
منه الواناً مختلفة من جوهر وذهب وفضة كما فعلت في هذا الموضع فاني اخذت
معنى هذا البيت من الشعر واستخرجت منه ما ليس منه وهذا على الترجمات في تعمير
المعاني الشعرية وقد بسطت القول فيه هذا الموضع وكشفت عن دقايقه في الكتاب الذي
وسمته بالوشي المرقوم في حل المنظوم وهو كتاب مفرد لهذا الفن خاصة ومن هذا الضرب
الذي هو الكيميا في توليد المعاني ما ذكرته في وصف الربيع فقلت هو احد فصلي العام

وانشد

والمستفيد لسامر من حاضر وقد وصف بانه ميعاد نطق الاطيار وميلاد اخبية الازهار
والذي يسري في يد حولها سلافة العقار فاذا سلت السحب فيه سيوفها كان ذلك للزهر
لا للغضب واذا خلعت على الارض غلايلها الذكية لبست منها ديباجة منسوجة بالذهب
للمعنى مستولد من قول ابي تمام في وصف السحاب وهو

قد سلبته الجنوب والدين والدنيا وضافي الحسام في ٥

ومن ذلك ما ذكرته في لين القول واعادته وما يجري مجراه كقولي في فصل من كتاب وهو لم
اعد عليه القول لانه لا يبلغ مدى صيدانه الا بتحريك سوطه وعنانه بل لهذا باب فقه
في اذكار القرآن واتباعاً للسنة في تثويب الاذان وبعض هذا ماخوذ من شعر ابي تمام

لو راينا التاكيد خطة عجز ٥

ما شفعنا الاذان بالتثويب ٥

وكذلك قولي ايضاً وهو وقد علم ان لين القول انجع قبولاً وهو من ادب كليم الله اذ بعثه الى فرعون
رسولاً الا ترى ان الحداء تبلغ من المطايا بالفطرة ما لا يبلغه السوط على عنفه وبعض هذا ماخوذ
من شعر ابي تمام ٥

وحثهم بالرقان المهاري ٥

بهجرها على السير الحداء ٥

ومن ذلك ما ذكرته في ذم الدنيا وهو ان كدر الدنيا مشوبة بالاشياء التي جلبت النفوس
على حبها وكل ما تستلذه الابدان من ماكلها فانه يفرها من جهة طيبها ولهذا تديم منفعة
الهليلج ومضرة اللوزينج والعجب من ذلك انه لا ينتفع الانسان بشيء من لذاتها الا من
جهة ثوابه فهو كالذي ينتفع باصطلاء النار وهو محرق لاثوابه وقد ضرب لذلك مثل من الا

وان الخصر واصف وقال انه يستميل سمع الطروب ويستخف وقار القلوب ويستميل ايات بينها
من غرضه الى الحروب ويسري في الارض غير لاغب اذا ما سرعت غيره فترة للغروب ولا يزال الناس
في عشق معانيه ضرباً واحداً والعاشقون ضروب ولما وقفت عليه قلت سبحان من على
سيدنا فلم يجل وخص بنبوة البيان الا انه لم يرسل ولولا ان الوحي قد سد بابه
لقيل هذا كتاب منزل ولقد حارت فيه اولي الفصاحة اذ لم يعصره ولم يبلوا فيه بدا لجهد
الذي يصليهم شر فاجره ولئن سلموا في ذلك فاسلمت اقوالهم من اقواله التي محتها
محو المداد وقد كانت باقية من بعدهم فلما انى صارت كما صاروا الى الابعاد وفي هذا
الفصل شيء من المعاني الشعرية كقول البحتري ٥

مستميل سمع الطروب المعني ٥

عن اغاني معبد وعقيد ٥

وكقول الشريف الرضي

عشقت وما لي علم انسجا سوى نظري والعاشقون ضروب ٥

وفيه ايضاً شيء من معاني القرآن الا انها جاءت ضمناً وتبعاً وموضعها ياتي بعد حل الابيات
الشعرية وكذلك ذكرت فصلاً اخر من هذا الاسلوب وهو وان لكلمه طعماً يعرف مذاقه
من بين الكلام وخفة الارواح معلومة من بين ثقل الاجسام فلو لم يعرف بطعمه عرفا ه
بوسمه والصباح لا يتمارى في سفاره ولا يفتقر الى دليل على اشراق انواره وقد علم ان
العرق يعرف بعضه وان القول يعرف بلحنه ونفايس هذه العقول لا يتزاهما الا انها
قد دونها الخطه ولو كرفا طارع ومن هذا الباب قولي ايضاً وهو الفاظ محض البرود
اوزاراً لا سود ومعان تدلك بارها فيها انها هي السيوف وان قلوباً تمسها هي الغمود

فيها

فيها الها التاما جرى سطعان او حليه بها ان وبعض هذا ماخوذ من شعر البحتري ٥

يقظان تحسب الكلام كانه ٥

حبش لديه يريد ان يلقى به ٥

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان من اهل الكتابة وكان يتعدى عليه
نحو يتيتي على الكتابة وليس من اهلها ما هلك وقد بسط فيه ما قلما الخط اللذان ينسب اهل
الى المداد وينسب الاخر الى الصعاد فهو يد يرهذا في معركة القتال وهذا في معركة الطراد ولربما
صهل لحد قلمه من فوق صفحات الدروج كما تصهل الجياد من تحت اعواد السروج فلم احتمل
المواطن والمجالس واليد عنان واصحاب العمائم والقلانس لا كمن لا يجاوز همه طرفي ردائه
واذا نودي لفضيلة قيل انما يسمع الحي نداءه وكما في الناس من صوت لا تجد لمعناها اثراً واذا
رايتها قلت ارى مخيلة ولا ارى مطراً واي جمال عنده من ليس له الا جمال ثيابه وهل ينفع
السيف الكهام ان يجعل من الذهب حلية قرابه وكل من هولاء ذنب يسعى بغير راس
ولا هو له الا في عينه الطاعم الكاس واذا الغير حاله وجيد في البها ثروان كان منسوباً
الى الناس والسيادة ليست في وشي الثياب ولا في طيب الطعام والشراب وانما هي في تشييد
اما شيد ما هو تظم تفرق لها قلوب العدو او شيء يطمع تفرق لها قلوب الاسود وكان تقوى
هذا وكلهم يتعفف متعاض للغضب ويتبايع نفسه تتابع التعب ويعرض النجم فيحلم
حتى تعض من غير ان يشرب ولم يزل بالحسادة سداداً من فهم ارباباً ويوسعهم شرقاً و
كثيراً ما تعرق لد جبابهم وكذا الميت يندى جسمه عرقاً وما ارى لهولاء الا ان يطرحوا
عن مناكبهم ثقل الساحلة والحد انما يكون ممن يجري مع صاحب كثير ويسترح جياده
في ركوب حمير وفي مثل هذه السرق نظر اهل الكلالة والتحس وما منهم الا من هو و

الامثال وقيل ان كل ماينفع الكبد مضر بالطحال وهذا ماخوذ من الامثال العربية والمولدة

ومن ذلك ماذكرته في الزهد وهو لناس في الدنيا ابناء الساعة الراهنة وكما ان النفوس

ليست تقاطنه ولهذا كانت المآتم بها كالاعراس تتفرق نتايجهما فهذه تنسي ما مضى من

لذة سرورها وهذه تنسي ما مضى من الم فجعها ولا تشبيه لها على ذلك الا الاحلام التي

يتلا شخ بالها عاجلا وتجعل اليقظة حقا باطلا وما ينبغي حينئذ ان يفرح بها مقبلة

ولا ياسى عليها مدبرة وكلما تراه العين منها ثم يذهب فكانها لم تراه وغاية مطلوب

الانسان منها ان يمتلها في مدة عمره ويملى له في امد ذكره اما فعيره فيعترضه المشيب

الذي هو عدم في وجود وهو اخو الموت في كل شي الا في سكنى اللحود فالجوارح التي يدرك بها

الشهوات توى وكل منهما قد تحول واصبح كالطلل الدارس الذي ليس عنده من معول فلا

ليل بليل ولا النوار بنوار ولا الاسماع اسماع ولا الابصار ابصار واما المال فان امسكه

فهو عرضة لوارث ياكله او لحادث يستاصله وان انفقه كان عليه في الحلال حسابا وفي الحرام

عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقباها الخاسرة وبعض هذا القول ماخوذ من شعر صالح

بن عبد القدوس وهو

واذا الجنازة والعروس تلاقيا ه

الفيت حبا كلاهما يتفرق ه

ومن قول ابي العتاهية وهو

انما طول عمرك ما عمرت ه

في الساعة التي انت فيها ه

ومن ذلك ماذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف يظلم ذلك الحد ويدعى اعمال

مسالكه انوارا ام كيف يجدب وقد عين فضل يمينه مدارا ام كيف توحش اقطاره والملائكة اخلى

عليه من تلك الاقطار ام كيف تخفيه طول العهد على زواره وطيب ترابه هاد للزوار وكما

ما قوله فيعلم الخطب الجليل الذي وقع والرزء الجليل وسمحت له النفوس بالفدية على ضنانة

وذلك من الفقد العليل فعجيل انه لم يخلق الدمع الا لمثله اذا بان غراب الزمان وقد

جعله اقصر اعمار القنا بها وانما تتخذ السلاح للقا الحروب والذي نخرقه منه لو نعيد في صفحة

النائبة واتى جنة تقوم في وجه سهامها الصائبة لاجرم اني اصبحت تكى يديها هدفا للرماد

لم يبق مني الا ذماء الحشاشة ومن العجب بقاء ذلك الذماء وشيء من هذا الفصل ماخوذ من شعر

ابن الرومي ه لم يخلق الدمع لامرء عبثا د

الله ادرى بلوعة الحزن ه

وكذلك ذكرت فصلا من كتاب اخر يتضمن تعزية وهو فيا وقع ابي اسلمته الى الثرى وما كان

يسلمها الى الاعداء والبشر طلعة الحدود طالما جلا عنها غيابة الظلم والاظلام وغادره قد حد

مستوحشا وقد كان يؤنسها انس الافعام ومثله لا يواري القبر منه الا صورة يدركها

النفاد وتبلى كما تبلى غيرها من الاجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب

ثمامة الحساد ويتمثل في السماء بصورة الكواكب وفي الارض بصورة الاطواد وبعض هذا

ماخوذ من قول بعض الشعراء من الحماسة

ومن ذلك ماذكرته في وصف كلام بالفصاحة وهو فصل من كتاب وقلت وله البيان الذي

نعتق من رق القريد ولا تحلو نضرة لباسه الجديد وهو فوق كلام المجيد ودون القران المجيد

الاسفل وقد اجلس نفسه على قائمة العرش ونار الاله العربية تميز خالص النقود من زيفها ولا
حيف في هذا المقال على من اسرف دعواه الكاذبة في جزيما وبعض هذا الفصل ماخوذ من شعر
عبد السلم بن رغبان

يزهو به العلمان الاّن ذا ٥
لذ المجس وان ذا بكوب ٥

عودان نقضت الطلى بلعابه ويجوب ذا المهج بالتركيب ٥

ويكفيك ايها المترشح لنثر الشعر ان تنظر الى هذا الفصل وتتامل الموضع الذي اخذت
هذين البيتين ووضعته فيه فان فيه غنى ومقنعا واما حل ايات القران العزيز
فليس كحل المعاني الشعرية لان الفاظه ينبغي ان يحافظ عليها لمكان فصاحتها الا انه
لا ينبغي ان يوخذ لفظ الاية بجملته فان ذلك من باب التضمين وانما يوخذ بعضه فاما
ان يجعل اولا للكلام او اخرا على حسب ما تقتضيه موضعه فكذلك يفعل بالاخبار النبوية
على انه قد يوخذ معنى الاية والخبر فيكسا الفاظا غير لفظه وليس ذلك من الحسن كالقسم
الاول للفائدة التي اشرنا اليها وقد سلكت في ذلك طريقا اخترعتها وكنت ابا عذرها
وعند تامل ما اوردته منها في هذا الكتاب يظهر للناظر صحة دعواي ولئن كان قد تقدمني
الى شيء من ذلك فاني ركبت فيه جوادا او ركب جملا ونال منه بربده نهلة واحدة ونلت
منه نهلا وعللا ومن اتاه الله في القران بصيرة فانه يسبك الفاظه ومعانيه في كلامه
ويستغني به عن غيره الا انه ينبغي ان يكون فيه صوغا يخرج منه ضروب المصوغات و
يتجهد في نقوده المختلفة من الذهب المختلف الالوان ولا اقول من الفضة فليس شيء
من الفضة وهو على من ذلك او يكون فيه تاجرا يديره على يديه ويتصرف في ارباحه و
في الامتعة المجلوبة من صناعته كل غريبة عجيبة وكل هذا يفهمه من عرف فلزم وحكم

بها علم

وما كل من قال القريض بشاعر ٥
ولا كل من عانى العروض مقيم ٥

ان المتصدي لحل معاني القران يحتاج الى كثرة الدرس فانه كلما ديم على درسه
ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل وهذا شيء جربته وخبرته واني كنت اخذ سورة من السور
واتلوها وكلما مر بي معنى منها اثبته في ورقة مفردة حتى انتهي الى اخرها ثم اخذ في حل
تلك المعاني التي اثبتها واحدا بعد واحد ولا اقنع بذلك حتى اعاود تلاوة تلك السورة
واصنع بها مثل ما صنعته اولا وكلما صقلتها التلاوة مرة بعد مرة ظهر في كل مرة من المعاني
ما لم يظهر في المرة التي قبلها وساورد في هذا الموضع سورة من السور ثم اردفها بايات اخرى
من سور متفرقة حتى يعلم ان ايها المتعلم ما فعلته فتحذو حذوه وقد بدات بالسورة اولا
وهي سورة يوسف عليه السلم لانها قصة مفردة براسها وفيها معان كثيرة فالاول ما ذكرته
في دعاء كتاب من الكتب وهو وصل كتاب الحضرة الشامية احسن الله اثارها واعلى خطرها
وقضى من العليا وطرها واظهر على يديها ايات المكارم وسورها واسجد لها كواكب السادة
وشمسها وقمرها وهذا اول معنى في السورة وقد نقلته عن قصة المنام الى الدعاء ثم ابرزت
هذا المعنى في صورة اخرى وهو اكرم النعم ما كان فيها ذكرى للعابدين وقد قال اني رايت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين فهذه النعمة التي تاتي بتيسير العسير
وتجلو ظلمة الخطب بالصباح المنير فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها
ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير ثم تصرفت في هذا المعنى فاخرجته في معرض
اخر وهو فصل من حلة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء فقلت وقد علم ان
امير المومنين اذا حلبه من سماء وانس على وحدة الانفراد يجعل بعاده وهو حتى ود

العزيز النبوي ببغداد في فصل من كتاب وهو وقد علم ان المال الذي نحن بصدده كالماء الذي
تحقن فكان هذا ما حق بتعطيل الايدي عن امياح مشاربه فكذلك ما حق بتعطيل
الايدي عن امياح مواهبه واي فرق بين وجوده وعدمه لولا ان تملك به القلوب وتفل به
الخطوب ويركب به ظهر العزم الذي ليس بركوب ويبسط القدرة فيه ثم تقبضها عاجلا
فانه يقف دون الرجال معمورا ويقعد عن نيل المعاني ملوما محسورا واذا ادركه منيته
مضى وكانه لم يكن شيئا مذكورا ومنها ان الخادم ما اطلق ايام بلاده لم يجر الا رابط
استقر ومركز اسره وما عداهما فانه مصروف الى ثغور الاسلام فيسد ثغوره ويكثر جنوده
وانفاذ حرب عدوه بعد جنودها واستباحة حرمها عند وقوده وما فضل عن ذلك
فانه للناس يشتركون في وتلده وطارفه والمسلم اخو المسلم يساويه فحقه من بيت المال وان
خالفه في رتبة قدره ولا سبيل على الخادم وهو يفعل ما يفعله ان يبذل من هذا المال
ويتبعه المطلوب او يلحق بالقوم الذين يكنزونه فيجزوا عليه بالجباه والظهور والجنوب ولم
يات به الله على فترة من بلد الا ليمحو به سيئات الزمن ويعيد به الاسلام الى وطنه بعد ان
طال عهده بمفارقة الوطن ولان يكون حسنة من حسنات امير المومنين ترفعها الدنيا في
ديوانه وينقل بها في الاخرة كفة ميزانه وفي هذا الفصل معنى ايتين احداهما في سورة هل اتى
والاخرى في سورة براءة ومن ذلك ما كتبته عن الملك العادل ابي بكر بن ايوب من
كتاب يتضمن استعطافه والتوصل اليه وهو من شيمة الاقدار ان تذهب بصفا ذوي
الالباب ويتمثل لهم الخطا في مثال الصواب ولولا ذلك لما زل الحكيم ولعوج المستقيم والملك
يقبل اليد الكريمة والرتبة الملكية العادلية لا زال عرفها مامولا واحسانها مقبولا وفضلها
في المكرمات متبدعا اذا كان فعل الايادي مفعولا ويتقرب الى عفوها الذي يكون

فيه لفطر الاعتذار ولا يعتذ بمواطنة الاصرار ولو عرف ذنبه مادر القرع لسن الندامة عامدا
على نفسه باللائمة ولما كان عجيبا ان عليا وان يكون مولانا كريما لكنه حمل اصره الذنب
وهو يرى من حلما وخاف ان يكون هذه كاخواتها التي سكنت من قبلها والامور المتشابهة
يقاس البعض منها على البعض والملسوع لا يستطيع ان يرى حبلا على الارض ولم يحرم اللذة
الان حوته سوى ان فر الى الاعتصام والتنبيه الى اقوام لم يكن نواله باقوام وانما
عن المر القريب كان الانعدام من ذوي الارحام وليس باول من ذهب هذا المذهب ولاباد
من حمل نفسه على ركوب هذا المركب ولئن جعل لبعض الناس ان يجعل في اعتصامه وقراره فانه
لو صبر لحمد عقبى اصطباره فهذا قول من لم يعرف حاد الملوك فيقيم لديه اولاديلي
بما ابتلى به من قوارص مولانا مرة بعد اخرى ولقد تكاثرت عليه هذه الاهوال
للوثبة حتى ملات طرفه كحل السهاد وحشته شوك القتاد واصبح وهو يرى انه زل في
خطيئته زلتها وغض بثيده من اجلها شربا وبذلك سنوه حتى طفق يخصف عليه
عليها ورقا ومع هذا فانه واثق ان حلم مولانا لا يرقى في الزلل وان حصاه الذنب
لا تخف بوزن ذلك الجبل وها هو قد جاء نازعا والنازع العتبى وعاد مستشفعا ولا
شفيع اكرم من القربى ثم مضيت على هذا النهج الى اخر الكتاب وفي هذا الفصل الذي اوردته
معنى ايته من سورة البقرة وهي قوله تعالى فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان
من ورق الجنة ومن ذلك ما كتبته عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان
بن مسعود بن صاحب الموصل الى الديوان العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسال في
التقليد وكان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة فما جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء
قولي وهو اذا توفي ولي من اولياء الدولة فان الشان ان تعزى نفقده ويستوجب اذنها

يحمل نعمائه ويصرح حتى ودت الشمس لو كانت من زواره والقمر لو كان من ندمائه والغمام
لا تستطيع الجدوى ان ترقى الى رتبته ولا الآمال ان تطوف حول كعبته ولا الشفاه ان تحظى
بتقبيل تربته فليزدد اعجابا بما ناله من الى اقدامه ولينظر الى سجود الكواكب لديه قطعا لا في
مناصه ومن هذا ما ذكرته في ذم بخيل وهو لم ار كواهب ملأى ملأت املي بطمعه
ووعودها وفرغت يدي من نيل جودها فلم احظ الا بلامع سرابها وكانت كرم الغميس
في كرابها ومن ذلك ما ذكرته في تزكية انسان قارى به وهو لم يره يذنب الا ما نسب
البراءة لمناب الشهود وحتى عن اهلها شهادة القميص المقدود ومن ذلك ما ذكرته في عذر
الهوى وهو لم يعد حبيبا الا كان لاهل التقى فيه اسوة ولا ليم في حبه الا اعتذر عذر
امرأة العزيز الى النسوة ومن ذلك ما ذكرته في فصل من جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو
ان كان الكلام كما قيل ذكرا والجواب انثى فهذه عروس تجلى في حللها المحبرة وعقودها
المنذرة وتزهى بأباها اقرب الحسن الذي ليس بالمجلوب ولا يرضى بتقطيع الايدي
دون تقطيع القلوب وها قد ارسلها الى سيد ما خصه بما ان سابع خاطري على الفطرة
وانها مغتفرة الصبى فكل الناس فيهما بين عذره وفي هذا الفصل معنى الاية والخبر
النبوي والبيت من الشعر ومن ذلك ما ذكرته في تقلب الايام وهو لقينا اياما حكت
ووليتها اياما عابسات وكانت لسبع سنبلات خضر ولاخر يابسات ومن ذلك ما ذكرته
في وصف كريم وهو ليس ممن يرقب عجف الزمان فيدخر الحب في سنبله ولكنه يتالف
الضيف اخره ويستهلك المال في اوله ولا يبقى من يومه لغده ولا يهتم بتبعاته ومن
ذلك ما ذكرته في حب الرشوة الرشوة تحل عقد القلوب وتهون فراق المحبوب الا ترى
ان رد البضاعة حكم على اخي يوسف بالاضاعة ومن ذلك ما ذكرته في الاستسلام للحكم

الاقدار

الاقدار وهو لا تحرس من جنود الاقدار بالاراء المتعمقة وسواء عندها الباب الواحد
والابواب المتفرقة ومن ذلك ما ذكرته في سابع الاساءة في عتاب الحب حتى قال ان
يسرق فقد سرق اخ له من قبل ومن ذلك ما ذكرته في التوكل فاذا طلب امرا فاجمل
في السعي للمطلوب ووكله الى الذي بيده مفاتيح الغيوب وتأس في حاجته منه
بالحاجة التي في نفس يعقوب ومن ذلك ما ذكرته في وصف الكيد وهو
لم يات امرا الا اخفى اسبابه واخفى بدأ بالاوعية قبل وعاء اخيه فهذه ثلث
عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام واما الايات التي هي من سور متفرقة
فاولها ما كتبته في صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو ورد
كتابه عشية يوم كذا فعرض على عرض الجياد على سليمان وتساويا في الاشتغال
منه ومنها بالاستحسان غير ان الجياد وان حسنت فانها لا تبلغ في الحسن مبلغ الكتاب
لكن قلت كما قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ولئن
قضى الاشتغال هناك بمسح سوق والاعناق فانه لم يقض هاهنا بمسح سطور
واوراق وانما اشتغلت عن عبارة بعبارة ولو شئت لقلت عن اثارة بافادة
وهذا ماخوذ من قصة سليمان عليه السلام في سورة ص وهي قوله تعالى ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا
بالسوق والاعناق فانظر كيف اخذت هذه القصة وقابلت بينها وبين الكتاب
ثم اني تصرفت فيها بالموافقة بينهما تارة وبالمخالفة بينهما اخرى وهكذا ينبغي ان
هذا سبيله ومن ذلك ما كتبته عن الملك الافضل علي بن يوسف الى الديوان

وهو لم يزل يتقفى نقوا صبر حتى تكاثر الليل واستحكم السيل ولم يكفه الالقاء صح

انه في سلسلة القائم من بعده حتى لا تخلو الارض منها ومن سماء الجلال ولا سماؤها
من مطالع الكواكب التي تجلو ظلمة الليالي وقد مضى والد العبد الى رحمة الله وهو متزود
من الطاعة خير زاد غير خائف من احصاء الرقيب والعتيد اذ جعلهما له من العتاد وما عليه
وقد نقلت كفة ميزانه ما كان في الكفة الاخرى من التبعات الكثيرة الاعداد ومضمون
وصيته التي عهد بها ان يمشي في الطاعة على اثره ويقتدي بالاوامر الشريفة في ورود
الامر ومصدره وقد جعلها العبد نجي فكره اذا قام واذا قعد ومحه صلاته اذا ركع
واذا سجد وهو يرى انه لم يعق والده حتى انهى الى الدولة من نبت قدمه موضع قدمه
وعند ذلك يقال ان غصن الشجرة كالشجرة في ثبات اصله وقوة مجده وهذا مقام
لا امتياز فيه للاباء عن الابناء وليست المرتبة لاكمال السن وانما هي لشيمة الغناء
وقد اوتي يحيى الحكم قبل ان يجري القلم في كتابه وشهد له بالتزكية قبل ان يتصف بها صحيحا
وكذلك قدم رسول الله صلى الله عليه وآله اسامة على قاء عمره وشهد انه خليق
بما اسند اليه من امره والعبد وان بسط الاستحقاق لسانه فان الادب يحكم بانقباضه
ويرى ان التفويض الى نظام الديوان العزيز اسرع في نجح اغراضه ولا شك ان منتهى
الآمال لا يبلغ ادنى تلك المواهب ولو جمعت في صعيد واحد ثم سالت مطالبها
لما نقصت خزائن العطايا من تلك المطالب وهذا الفصل من اول الكتاب وفيه
معنى ايتين من سورة مريم عليها السلام اما الاولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام
وآتيناه الحكم صبيا واما الثانية فقوله تعالى وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا
وفي هذا الفصل ايضا معان ثلثة اخبار من الاخبار النبوية وليس هذا موضعها
وانما جاءت ضمنا وتبعا ومن ذلك ما ذكرته في وصف الغبار في الحرب وهو

الذي

الذي ورد ههنا فحل معاني الاخبار هو من هناك وساذكر ما دار بيني وبين بعض
علماء الادب في هذا الاسلوب الذي انا بصدده هاهنا وذاك انه استوعره وانكره وقال
هذا لا يتهيا الا في الشيء اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا بل يتهيأ في الاكثر منها فقال
قد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه اختصم اليه في جنين فقضى على من اسقطه بغرة
عبد او امة فاني يستعمل هذا فانكرت عليه ما ذكره ثم اني اثبت هذا الفصل من الكلام واودعته
فيه وهو فذكر الجاهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثل بباقل وكم في هذه
العصور المثلة من باقل ولو عرف كل انسان قدره لما مشى بين الانحط راسه ولا انتصب
راس الا على بدنه ولكان صاحب العمامة احق بعمامته وصاحب الرسن احق برسنه وكنت
سمعت بكاتب من الكتاب كلمة الغنائه وقلة فعاته لا انشر واتى بطش لغاته واذا
وجب الوضوء على غيره بالخارج من السبيلين وجب عليه من سبيل ثلاثة هذا وهو يدعي
انه في الفصاحة امة وحده ومن قس اياد وسحبان وائل عنده واذا كشف عن خاطره وجد
بليدا لا ينجح عن العمه والكمه وان راه انسان في حين من الاحيان قضى عليه بغرة عبد
او امة وكثيرا ما تقدم وتقص هذه على الافاضل من العلماء وقد سار الى زمان نعلو فيه
حضيض الارض على هام السماء فلما اوردته عليه ظهرت امارة الحسد على صفحات وجهه
وفلتات لسانه مع اعجابه به واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم
هذا الحديث ولا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فهذا اين تستعمل في الكتابات
فترويت فيه ترويا يسيرا ثم قلت هذا يستعمل في كتاب الى ديوان الخلافة واطلعته على
الكتاب فجاء هذا الحديث في فصل منه وهو اذا افاض الخادم في وصف ولاء بيته
نكصت همم الاولياء عن مقامه وعلموا انه اخذ الامر برمامه فما اصبح فليس يقلبه سوى

الولاء والايمان فهذا يظهر اثره في طاعة الشر وهذا في طاعة الاجاد ن وما عداهما
فان دخوله الى ظبه من الاشياء المحظورة والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة فليقول
الديوان العزيز منه على سيف من سيوف الله يغري بالاضارب ويسري بالاجامل ولا يسل
الا بحق ولا يغمد الا في ظهر باطل وليعلم انه كرشه وعيبته وانه احد سعليه الذي عدت
مواقف الانصار فلما راى هذا الفصل بهت له وعجب ثم اني لم اقنع بايراد ذلك الحديث
حتى قرنت به حديثا اخر وهو قول النبي صلى الله عليه واله وسلم الانصار كرشي وعيبتي
وحيث عرفت ايها المتعلم ما تقتدي به في هذا الموضع فقد ذكرت لك امثلة كثيرة تتبك
بها فمن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو اعاذه الله اياه من الغير وبين نحو محمد
نقص كل خطر وجعل ذكره زادا لكل راكب وانسا لكل سمر ومنحه من فضله ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى ماخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة ونقلته
فنقلته الى الدعاء ومن ذلك ما ذكرته في وصف الحلم وهو قولي حتى جال في الميدان وامتد
في الاشطان ولم استخرجها من قيام الملك وقعود الشيطان والحليم لا يظهر اثر حلمه الا عند
تلذذه والكظم هو تسديد ما يخاف من تبدده وهذا المعنى اخذته من قصة ابي بكر رضي الله عنه
في خصامه فانه بغي عليه ثلاث مرات وهو ساكت فلما انتصر قال النبي صلى الله
عليه واله كان الملك جالسا الى جانب ابي بكر يكذب خصمه بما يقول فلما انتصر قام الملك وقعد
الشيطان ومن ذلك ما ذكرته في النصرة على العدو في مواطن القتال وهو ما اخذناه تنبيه
رسول الله صلى الله عليه واله في النصر الذي نرجوه وننشده في عصبة العدو وكل من الحرب
وقلنا شاهت الوجوه وثبت الله ما تزلزل من اقدامنا واقتحم حنين وما غني عن اقدامنا
وهذان المعنيان منهما ماخوذ من غزوة حنين وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاخره

في العقد قبضة من التراب والقاها في وجوه الكفار وقوله شاهت الوجوه والمعنى الاخر
ماخوذ من حديث غزوة بدر وذلك ان رجلا من المسلمين لاقى رجلا من المشركين واراد ان
يضربه فخر على الارض ميتا قبل ان يصل اليه وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول
اقدم حيزوم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ذاك من مدد السماء الثالثة ومن ذلك ما ذكرته
في ضيق مجال الحرب وهو وضاق المعترك بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض التي كن تعيا
وتصافحت الغرر بالغرر والصدور بالصدور واستظل حينئذ بالسيوف لاشتباك
مجالها وتبوات مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهذا ماخوذ من الحديث النبوي صلى الله عليه
وهو قوله الجنة تحت ظلال السيوف ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب ادم فيه الزمان
فقلت ولكنها الايام تبدي لنا من جورها كل عجيبة وتنسينا سياسة العبد الاحد
الذي كان يشهر زهده وليس له فيها ملجا فواحدتها نعمى كاس او بوسى الا ان يكل الامر
الى وليها فيقول حاج ادم موسى وهذا ماخوذ من الخبر النبوي صلى الله عليه وسلم في قوله حاج ادم موسى
فقال له موسى انت اخرجت الناس بخطيئتك من الجنة واشقيتهم فقال له ادم انت الذي اصطفاك
الله برسالته وكلامه اتلومني على امر كتبه الله علي قبل ان يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى
ومن ذلك ما ذكرته في وصف بعض الكتاب وهو فصل من كتاب كتبته اليه فقلت ولقد درت
عليه حلوبة البلاغة فاستغنى عن شطر درها وهدي الى جوامع كلمها فاقتدى الناس
باهتدائه فاذا استبهمت عنده مسالك طرقها لم يكلها سلطان الحيرة وان اوغل في ابنيتها
لم يقل فيه ما قيل في رواية ابي هريرة وهذا الفصل من حسن ما نوتي في صناعة الكتابة
وهو ماخوذ من حديث ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اسمع منك اشياء فلا احفظها
فقال ابسط رداءك فبسطته فحدث حديثا كثيرا فما نسيت شيئا حدثني به واما رواية ابي هريرة

الموجودة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاك احد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تحكم له فربما اتى
وقد فقئت عيناه واما المعنى الثاني فهو قوله صلى الله عليه واله وسلم سباب المؤمن فسوق
وقتاله كفر واما المعنى الثالث فهو قوله ان الاعمال تعرض على الله تعالى يوم الاثنين ويوم
الخميس فيغفر لكل امرء لا يشرك بالله شيئا الا امرا كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقول اتركوا هذين
حتى يصطلحا واما المعنى الرابع فهو قوله لا يحل لمؤمن ان يهجر اخاه فوق ثلاث واما المعنى الخامس
فهو قوله صلى الله عليه واله وسلم اذا التقى المسلمان فاعرض هذا واعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام
واما المعنى السادس فهو قوله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يعرض على العرش ثم يبث سراياه في افاق
الارض فياتي احدهم فيقول فعلت كذا وفعلت كذا فيقول ما فعلت شيئا وياتي احدهم فيقول
لم ازل به حتى فرقت بينه وبين زوجته فيقول نعم الولد انت فانظر كم في هذه الاسطر اليسيرة
من معنى خبر نبوي هذا سوى ما فيها من معاني الايات وانا عددت هذه الكلمات المذكورة في
هذه الاسطر وجدتها جميعا منتظمة من الاية والخبر وهذا مما يدلك على الاكثار من المحفوظ
واستحضاره عند الحاجة اليه على الغور ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب
يتضمن تهديدا وتخويفا فقلت ورد الكتاب متضمنا من الوعد والوعيد ما انس نفس المملوك
واوحشها وقدح ضلوعه واعطشها واقام له من الظنون السيئة جنودا انفالا له فاخذ عليه
الاذكار فلا يرو والمروكات كلما انحط الاول وراقه فالاول وما اقلب من سطر من سطوره الا كان
الاخر اشفعا لاولي استكل الوقوف عليه فقلنا اطوار الخوف والرجاء من اطواره وعرضت عليه
الجنة والنار في قرطاسه كما عرضتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرض جدار ولولا وثوقه باناته لما
لذهبت نفسه فرقا وابتغى في السماء سلما وفي الارض نفقا لكنه قد توسم في كرمه مخايل الله
الصنع الوسيم وعزة منه ما غره من ربه الكريم وعلم ان خلق حلمه يغلب خلق غضبه اذ هذا

حادرة

وعقد العجاج سقفا فانعقدوا وانا كيف رفع السماء بغير عمد ترونها سما وبنيت بيابك
الجياد وزينت بنجوم الصعاد فيها ما يوعد من المنايا لا ما يوعد من الارزاق ومنها يقذف
شياطين الحرب لا شياطين الاستراق وهذه المعاني ماخوذة من سورة الرعد وسورة
الصافات وسورة الذاريات ومن ذلك ما ذكرته في وصف طعام وهو فصل
من كتاب فقلت طعام الاميل اذا استطيب الاطعمة بملالها وكانما قرابته بد الخلصو ولم
تباشره الايدي بعملها فهو من بقايا المائدة التي نزلت من السماء وقد طاب لاتجاج
بعده الى الاستعمال من الماء وما اراد دون شبع الا رأى تركه غبنا وودلو زيد الى بطنه
بطنا ويعني هذا ماخوذ من سورة المائدة ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب
الى ديوان الخلافة وهو قد تكاثرت وسائل الخادم حتى لا يدري ما يجعله للطلابه
سفيرا وما منها الا ما يقال انه اول وليس فيها ما يجعل لغيرها عيرا انه لا يذكر منها
الا ما قوام ايمانه والذي لا ينظر الله من ابن ادم الا الى مكانه وفي ذلك كاف
عن الوسائل التليدة والطريفة وقول لا اله الا الله لا يعد له شيء من الحسنات التي عنده
في الصحيفة وقد تجدد الان للخادم مطلب هو بالنسبة الى مواهب الديوان
العزيز يسير ولو قامت مطالب الناس في صعيد واحد لاعطى كلا منهم امره ولم
يقل ذلك كثير وكتابه هذا سائر الى تلك المواهب التي يضيق عنها صدر الارض
باتساعه وليس الذي يسأله ممتنعا فيحال على النظر الى الحل في امتناعه وكان
عبيد الديوان العزيز الموا وقد جعل الله الاشياء متفاوتة في مراتبها وكل شيء عنده
بمقدار هذا الفصل من حسن ما يكتب في استنجاز مطلوب وفيه معان ثلاثة اخبار
نبوية ومعنى ايتين من القران وليس هذا موضع الاخبار وانما جاءت ضمنا وتبعا فالا

فتلك صفاتهم لم تر بها وقد اجتمع في هذا الفصل معنى الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لا
يتفطن له عند الوقوف عليه الا من تحرى الوقوف على الاخبار النبوية ومن اجل ذلك جعلته
ركنا من اركان الكتابة في الفصل التاسع ومن ذلك ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوخمة فقلت
ومن صفاتها انها مدرة مستوطنة للجنة تجمع لها بين حر مكة ولاواء المدينة الا انها لم تؤمن حرمها
من الخطف ولا نقلت حماها الى الجحفة في هذه الكلمات القصار اية من القران وخبر من الاخبار
فالاية من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وهذا موضع
مختص بالاخبار ولا بالايات غير ان الاية جاءت ضمنا وتبعا واما الخبران فالاول منهما قول
النبي صلعم من صبر على حر مكة ولاواء المدينة ضمنت له على الله الجنة واما الثاني فهو قوله صلعم في دعائه للمدينة
اللهم حببها الينا كما حببت الينا مكة وانقل حماها الى الجحفة فانظر ايها المتامل الى هذه الكلمات حتى
تعلم ان عدتها مصوغة من الاية والخبرين سواء وهذا طريق لو ادعيت الانفراد بسلوكه لما خيف
علي في الاعتراف به انسان ومن ذلك ما كتبته في كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه
وكان كتابه قد تاخر عني زمانا طويلا فقلت ولما تاملته تمثل لي والتزمته ثم استلمته ولثمته
وعلمت ان المعارف وان تقدمت ايامها انساب وشجون وما شبهت بالحلى السوي في العجوز التي
كانت تاتي في زمن خديجة وهذا ماخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها وهو انها
قالت كان رسول الله صلعم يذبح الشاة فيقطعها اعضاء ويقسمها في اصدقاء خديجة وكانت
تاتيه عجوز فيكرمها ويبسط لها رداءه فسالته عن ذلك فقال هذه كانت تاتينا في زمن خديجة
وحسن العهد من الايمان ومن ذلك ما ذكرته في وصف كتاب وهو كل سطر منه روضة غير
ان الليل في صباح وكل معنى منه دمية غير انه ليس لها مصونها في جناح وهذا ماخوذ من
الحديث في تحريم الصور ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم وهو فاغنى بجوده اغنا الطمع

المطر وسما الى المعالي سمو النجم وسار في منازلها مسير القمر ونتج من ابكار فضائله ما اذا
انتماه غيره قيل للعاهر حجر وهذا المعنى من قول النبي صلعم الولد للفراش وللعاهر الحجر
ومن ذلك ما ذكرته في وصف الفصاحة فقلت ابكار الخواطر لا تستولد على افرانها وعانسها
ان ينكح في استنتاج اولادها وانا الكح فكري لفكري نكاح الانساب للانساب ولا اخاف
ان اصوي فاميل الى الاغراب وهذا ماخوذ من قول النبي صلعم في الامر بنكاح البعيد النسب
فقال اغتربوا ولا تضووا يريد بذلك ان الانسان اذا نكح المراة القريبة حصل بينهما حياء يمنع
من قضاء الشهوة كما ينبغي فيجي الولد ضاويا اي هزيلا ومن ذلك ما ذكرته في فصل
من كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من تخرص جرى بينه
وبين خصمه فقلت وصل كتابه وهو كتاب من الف الشكوى وطلب العدوى ولزوم من
التظلم بالعدوة الدنيا وانزل خصمه بالعدوة القصوى والقاضي لا يحكم لاحد الخصمين حتى
يحضر صاحبه وان غبت عن احدهما فربما غبت عن الاخر وهنيئا حاجبه على انه قد عرف
ان كليهما كان لحم اخيه بالغيب اكلا وعليه في حال محضره جاهلا وسباب المؤمن بعد
من فسوقه والراقة عن قرب هذا المقام اولى من طرقه ولولا تغليظ النكير لما جعل اللسان
واليد سواء فيما جرحا ولما اقرانه المغفرة عن المتخاصمين فيهما حتى يصطلحا فكن امن ممن
اطاع تقواه لا هواه واتبع من علم الحق فراه وسمعه فرواه واعلم ان تهاجر الاخوين فوق ثلاث
من صفات الحرام وان الفائز بالاجر منهما هو البادي بالسلام ودفع السيئة بالحسنة يجعل
العدو وليا حميما وقد جعل الله للمتخلق بهذا الخلق صابرا وجعل له حظا عظيما والشيطان
انما يحوم على اثارة مواقع الشنان ولا يعمد من حالتيه شيئا الا زيل بين الاخوان وفي هذا
الفصل معاني ايات واخبار وهذا الموضع مختص بذكر الاخبار دون الايات فاول المعاني

فالاية الاولى في سورة الاعراف والاية الثانية في سورة الرعد ومن ذلك ما ذكرته في وصف
كاتب وهو اذا دجا الليل قلمه وطلعت فيه نجوم كلمه لم يقعد لها شيطان بلاغة مقعدا الا
وجد له شهابا رصدا فاسرارها مصونة عن كل خاطف مطوية عن كل طايف وهذا المعنى
ماخوذ من سورة الجن ومن ذلك ما ذكرته في وصف كاتب ايضا فقلت له بنت فكر ما تمخضت
الا بتجمله من غير ان تمهله واتت به قومها تحمله ولم يعرض على ملا من البلغاء الا القوا اقلامهم
ايهم يسبره لا ايهم يكفله وفي هذين السطرين ايتان من القران الكريم الاولى في سورة
مريم في قصتها وقصة ولدها عليهما السلام وهي قوله تعالى فاتت به قومها تحمله والثانية
في سورة ال عمران في قوله تعالى اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم ومن ذلك ما ذكرته
في فصل من كتاب يتضمن وصف القلم فقلت وقد اوحى الله الى قلمه ما اوحاه الى النحل غير
انها تاوي الى المكان الوعر وهو ياوي الى البيان السهل ومن شانه ان يجني من ثمرات
ذوات ازواج لا ذات اكمام ويخرج من نفثاته شراب مختلف طعمه فيه شفاء للافهام وان
ما تفصد تبتبه كما فوه الخشب ثمامه لطاهر المعنى ولا تستوي نضارة هذا الثمر وهذا
الثمر ولا طيب هذا الجني وهذا الجني وقد ارخص الله ما يكثر وجوده فيذهب في الهواء الا
واغلى ما يعز وجوده فيبقى خالدا على السنة الرواة وكل هذه الاوصاف لا تصح الا في قلم
الذي اذا خلا بخاطره استلانت حديثه المحافل واذا حلا كتابه وجدت الكتب الحالية
من قبله وهي عواطل فلحينئذ ان نظر الى غيره بعين الاحتقار ولو صفه ان يهب
وهو قائم مقام الاختصار وهذا الفصل غريب عجيب قد جمع بين الاضداد فنال البعيد
وفهمه قريب وهو ماخوذ من سورة النحل ومن ذلك ما ذكرته في ذم بخيل وهو انه يشيمه متين
في الجود لا يشام نائلها واذا هزها سايلها قال كلا انها كلمة هو قائلها وهذا ماخوذ من سورة المؤمنين

من سورة المؤمنين ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب وهو وصل كتابه ووقف منه على اللفظ
الرخيم والمعنى الذي هيكل وادهيم وقال يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم ثم لحقني علا
قدره وسمو ذكره ولم يلتفت الملا في الاذعان لامره ولا اهتدى في قبالته سوى هدية
لسانه وصدره لا جرم انه انها تقبل ولا ترد وتعتد بها ولا تعد فانها مال لا ينفد الا
وجوهر تحلى به الاخلاق لا الاعناق وهذا ماخوذ من قصة سليمان عليه السلام في كتابه
الى بلقيس وهو مذكور في سورة النمل وفي هذا من شرف الصنعة ما قد خولف بين نظيم
ومعاني ما اتى به القران الكريم ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن ذكر حرب
جرت بين المسلمين والكفار وهو اذا خطب القلم عن الرمح الذي هو بين يديه قام محتفلا او
مترويا ومرتجلا حتى ياتي في خطابته بالمعاني الاخاير واصدق القول ما صدر عن شهادة
الضرايب للضرايب وكتابنا هذا يصف معركة احمرت صباتها وضاقت بالاسود غابها
فالطعن بها مختصر والموت محتضر والنصر من كلا الفريقين منتظر وكان الاسلام هم
هنالك زجر السنيح وحز القدح المنيح وليس الذي يرقب المعونة من الله الذي رتب البيح
كمن يرقبها من المسيح ولقد نفذت الرماح في اعداء الله حتى تعدلت من جانبي الصدور
والظهور وتركت الناجي منهم وهو لا ينظر الى الصليب الا نظر الخايف المذعور فليس لهم
من بعدها جيش يجمع ولا لواء يرفع وقد كانت بلادهم في قبل مانعة وهي الان لا تبدت
عنها ولا تمنع وهذه معركة قلت بها الرقاب الماسورة وكثرت النفوس المقتولة
وقربت بها القرابين التي تاكلها النار الا انها مقبولة ومعنى الاية في هذا الفصل ماخوذ
من سورة ال عمران الا انه يخالفه وذلك ان القربان كان يقبل فتنزل النار فتاكله وها
هؤلاء الكفار قربان تاكله النار لكنها لا تاكله لانه مقبول وباقي الفصل يتضمن

يتضمن معنى حسنا بعينها ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق
بعض الاخوان وهو ولقد صبرت على خلائقه الغاثة وعاملته بالخلائق الرائقة وعالجته
بضروب المعالجات فلم ينجع فيه رقى الراقية ولا نفث النافثة ولما اعيا على اصلاحه
اخذت بمقالة الخضر لموسى في المرة الثالثة وهذا ماخوذ من قصة موسى وقصة الخضر في
سورة الكهف ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب وهو مجموع في نار الندم يعرضون
عليها غدوا وعشيا وصار الامر الذي كانوا يرجونه مخشيا واضحوا كاهل النار الذين صاروا
اعداء وكانوا شيعا وقال ضعفاؤهم الذين استكبروا انا كنا لكم تبعا وهذا ماخوذ
من سورة حم المؤمن ومن سورة سباء ومن ذلك ما ذكرته في ذم غلام ابله كنت اكابد
من عليه نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا وعرضت فيه بذكره فقلت
ولقد ملكه النسيان حتى كانه نقطة في سورة نايم وحتى حقق قول الناسخ في نقل
ابراهيم الا ماشي الى البهائم فما ارسل في حاجة الا ذهبت عن قلبه عينه وبيده ولا طلب منه
ما استحفظ الا قال ارأيت هذا اذ اوينا الى الصخرة وهذا فصل يشتمل على عدة معان
منها ما هو ماخوذ من القرآن من سورة الكهف ومن ذلك ما ذكرته في تقليد قاض وهو
فصل منه فقلت والفضائل ما بقيت موجودة ولم تفقد وهي خيرة وان اودى
اربابها ولا يموت من لم يولد ومن اكرمها اوتيه فضيلة التقوى التي الكرم من ثمراتها
والعاقبة والحسنى كلاهما من اثارها وما نقول الا انه اتخذها حارسا يمنع الخصم
من تسور محرابه ويومن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن
الله بهذه الفضيلة العلم الذي علمه بعلامته ووسمه بوسامته وقذف
في روعه ما لا يسئل معه عن السفينة وخرقها والغلام وقتله والجدار واقامته

وعلى

وعلى ما لعله منه فانه فيه احد المفهومين اللذان لا يتبعان واذا كان لغيره فيه نظر
واحد وسمع فله فيه نظران وسمعان وفي هذا الفصل المختصر معاني عدة ايات وخبر من
الاخبار النبوية اما الاية الاولى فقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم واما الاية الثانية
فقوله تعالى والعاقبة للتقوى واما الثالثة فقوله تعالى وهل اتيك نبا الخصم اذ تسوروا
المحراب واما الاية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها وكذلك
الى اخر القصة وهذا من احسن ما ياتي في هذا الباب ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن
عناية ببعض الفقراء فقلت بعد الابتداء وتصدير الكتاب وقد علم مولانا انه يعتد
لطالب فضله فضلا فيرى المتبرع بمعروفه فرضا اذا رآه غيره مع المسئلة فضلا وما ذاك
الا لمزية خلق توحد بطيب التربة وشرف الرتبة واوتي من كنوز الكرم ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة ولهذا يجري على قومه من الاخلاق في زينته وفضل الحلو بطيبه عن
طينته ومن فضله انه يبذل عن السائلين ويحتال في استنباط الاملين ثم
مضيت على هذا النهج حتى نهيت الكتاب والغرض ان تعلم ايها المتعلم كيف تصنع
يدك في اخذ ما ياخذه من بعض الاية ثم تضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا
كما فعلت انا في هذا الموضع الاخر اني اخذت بعض هذه الاية في قصة قارون من
سورة القصص وهو قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه
من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين فهذه الاية اخذت بعضها واضفت اليه كلاما من عندي حتى جاء كما تراه
مسجوعا وكذلك فعلت بالاية الاخرى من هذه السورة ايضا وهي قوله تعالى فخرج على
قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتي قارون

انه لذو حظ عظيم وهكذا ينبغي لك اذا اردت ان تسلك هذه الطريق وقد دربت
على سلوكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو اعلى درجة
والله يختص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من نثر هذه الايات كفاية للمتعلم
اما الاخبار النبوية فكالقرآن العظيم العزيز في حفظ معانيها فان قلت ان الاخبار النبوية لا يجري
الامر فيها مجرى القرآن اذ القرآن له ضابط وحاصر وكل اية منه يدخل في الاستعمال كما قال بعضهم
لو ضاع مني عقال لوجدته في القرآن الكريم واما الاخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تنحصر
ولو انحصرت لكان ما يدخل منها في الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان يمكن للعامة
الوقوف عنده قلت في الجواب عن هذا ان اول ما تحفظ من الاخبار هو كتاب الشهاب فانه
كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن حكما فاذا حفظته وتدربت باستعماله كما اريتك
ههنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وبما لا يدخل وعند ذلك
تتصفح صحيح البخاري ومسلم والموطا والترمذي وسنن ابي داود وسنن النسائي وغيرها
من كتب الحديث وتاخذ ما تحتاج اليه واما مكة اخبرتها حماها والذي تاخذه ان امكنك
حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا يحفظ لست منه على ثقة وان كان لك محفوظات كثيرة
كالقرآن العظيم ودواوين كثيرة من الشعر وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك مما اشرنا اليه
فعليك بمداومة المطالعة للاخبار والاكثار من استعمالها في كلامك حتى ترتسم على خاطرك
فتكون اذا احتجت منها الى شيء بعينه وجدته وسهل عليك ان تاتي به ارتجالا الا انا ما اوردته عليه
واعلم بي وكنت جردت من الاخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلثة الاف خبر كلها مما يدخل في الاستعمال
وما زلت اواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين فكنت انهي مطالعته في كل اسبوع مرة حتى
دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ عني منه شيء وهذا

الذي

حارث وذلك قديم في هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو انه كان صلوات الله عليه
يوما يخطب فالتفت الى الجدار وقال عرضت على الجنة والنار في عرض هذا الجدار فلم ار كاليوم
في الخير والشر ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو الخادم يواصل بالثناء
الذي لا يزال الفلك رسيلا والسائر رسيلا واذا رفع اذنيه للاثنية قربا اذا تباعدت عن
غيره ميلا ولا اعتداد بالدعاء الا اذا صدر عن كرم مصدره ووجد له فوق السماء مظهرا
وان لم يكن هناك من مظهر وان لم يكن هناك من مظهر ووصف باطنه بانه الابيض
الناصع الذي هو خير من ظاهر الاشعث الاغبر ولا يعامل الخادم اهل وده الا بمثل هذه المعاملة
ومن خلقه المحاربة في بذل المودة اذا اخذ الناس بسنة المكايلة في هذا الفصل معنى خبرين
احدهما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه اذا كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلا
من نتن كذبه والاخر قوله صلعم رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره ومن ذلك
ما ذكرته في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب يتضمن خطبة مودة فابتدأت الكلام فيه
بعد تصديره بالدعاء فقلت لولا العادة لرفع الخادم كتابه هذا ان يسطر في ورقه
وليس ذلك الا لارساله في خطبة مودة راى صونها في سرقه ولما تاملها قال ان يكن ذلك
من عند الله يمضه وابدى لها صفحة الرضى وان كانت كل مودة لم ترضه وخير المودات
تودي ذا الهمة ابوة وحالا ولم يطلها مهرها ولو بذل فيه نفسا الا ما لا ولا ما نطقها الخادم
الا هذه للمودة التي خطبها وقد علمت ان تكون رغبته ولكن هو الذي ادعوها على انه لم يجعل
لها الا من اكفائها وليست الكفاءة ههنا الا ما تشذره الفاضل من صفاتها وقد اتاح الله لها
كفوا اكثر من انسابها ويصحبها من البر في محله باسمها ويجعل كل يوم من ايامها عرسا حتى يتصل
مواسم اعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى اخر الكتاب والمعنى الماخوذ فيه من الخبر النبوي من

الاول ان النبي صلعم قال لعايشة رضه ان جبرئيل عليه السلام عرض علي صورتك في خرقة حريرة بيضاء وقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة فقلت ان يكن ذلك من عند الله يمضه فاخذت انا هذا المعنى ونقلته الى خطبة عرس ولا يأتي في خطبة المودات ابين حسن منها ولا الطف ولا اسد مقصدا

الخبر الثاني قول النبي صلعم انما تنكح المرأة لاربع لحسنها او لدينها او لمالها او لجمالها ومن ذلك ما ذكرته في سبب حب المال وهو بين المال علاقة وكيده وبين القلوب وهي له بمنزلة المحب وهو لها بمنزلة المحبوب وليس ذلك الا لان الله قبض قبضة من جميع الارض فخلق ادم من تلك القبضة وحينئذ ان صورة قلبه تكونت من معدن الذهب والفضة ولولا ان يكون منها عنصر ابدانه لما جعلهما الاطباء دواء من دائه فلا يستغرب اذا ان يكون على حبهما مطبوعا اذا كان منهما مصنوعا وهذا المعنى من قول النبي صلعم ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهل والخبيث والطيب غير اني استنبطت معنى حب المال من هذا الخبر وهو معنى غريب لم اسبق اليه ومن ذلك ما ذكرته في وصف كلام وهو ليس السحر الا ما في حف طلعه بل ما اودع في صوغ معنى ونظم سجعه ولذلك كان لبيد في شعره اسحر من لبيد في سحره وكلا صنعيهما من الغريب العجيب غير ان ما ينبط من القلب احب مما يبث في القلب وهذا المعنى ماخوذ من قصة لبيد بن الاعصم في سحر النبي صلعم ومن عرف القصة وصورتها علم ما قد ذكرته في نثر هذه الكلمات البديعة ومن ذلك ما ذكرته في وصف المنجنيق من جملة كتاب فتح وهو ونصب المنجنيق فخشع بين يدي السور متناصيا وبسط اليه من انشائه ثم تولى عقوبته بعصاه التي تصك بالحجارة واذا عصي عليها بلد اخذت في تاديب سواره فما كان الا ان استمرت عقوبتها عليه حتى صار فانيها حصيدا وعاصيه

مستقيدا

مستقيدا وقال الدرتكن ينهى عن المد والتجريد فمالي لا ارى الا مدا وتجريدا وعند ذلك ازعن بفتح الابواب وتلا قوله تعالى لكل اجل كتاب وكذلك لم نأت صعبا الا استسهل ولا حثثنا بطيا الا استعجل ولما وقف عزنا على هذا البلد فتنفقت حول الاسطار ولم يحط منه الا بما فلم الصب محار الديار في هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو قول النبي صلعم في النهي عن ضرب الحد ولا مد ولا تجريد اي لا يمد على الارض ولا تجرد عنه ثوبه ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوي خلد الله دولة الديوان العزيز النبوي ولا زالت الساقها وعلياؤها جامعة وحدودها كالنجوم التي ترى في كل حين طالعة وايامها كالليالي ساكنة ولياليها كالايام ناصعة وابوابها كابواب الجنة التي يقال فيها ادخلوها بسلام امنين اذ قيل في غيرها سابع وثمان وهذا الدعاء قد استجابه الله قبل ان ترفع اليه يد وينطق به ضمير ولهذا دعا به الخادم وهو يعلم ان الله قد سبقه اليه او لاوحاه وهو في الزمن الاخر فليس له حينئذ الا ان يدعو لما خوله الديوان العزيز بالدوام وان يعيذه من النقص بعد التمام ثم يستشهد بما يؤهل له من الخدم التي يعتدها من لطايف الاحسان واذا انتدب لتكليف اوامرها قال والحمد والشكر سبحان ولا شك ان درجات الاولياء تتفاوت في الصفات والاسماء فمنها ما يكون بسطح الارض ومنها ما يرى كالكوكب في الافق السماء ولولا النهي عن تزكية المرء نفسه لادعى الخادم ان له اعلاها وجاء بالاولياء من بعده فقال والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها لكنه لا يعتد مما عد عند الله من نحره وستر الولاء وفيه المقام الكرم من خبره وليس الذي

وليس الذي يمت بصلاته وصيامه كالذي يمت بما وقر في صدره فان الله لا ينظر الى الاعمال وانما ينظر الى القلوب وفرق بين المطيع بمحضر الشهادة وبين المطيع بظهر الغيوب ولو اطلع الديوان العزيز على ضمير الخادم في الطاعة لسره وعلم انه الا الاشعث الاغبر الذي لو اقسم على الله لابره في هذا الفصل من الايات والاخبار عدة مواضع وهذا الموضع مختص بالاخبار فلنذكرها دون الايات اما الاول منها فقول النبي صلعم انكم ترون اهل الدرجات العلى في الجنة كما ترون الكوكب في افق السماء واما الخبر الثاني فقوله صلعم ما فضلكم ابو بكر بصلاة ولا صيام ولكن فضلكم بسر وقر في صدره واما الخبر الثالث فقوله صلعم رب اشعث اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره وفيما اوردته من حل المعاني الشعرية وحل ايات القران والاخبار النبوية طريق واضح لمن يقوى على سلوكه والله الموفق للصواب

المقالة الاولى في الصناعة اللفظية

وهي تنقسم قسمين القسم الاول في اللفظة المفردة اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تاليفه الى ثلاثة اشياء الاول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللالي المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم الثاني نظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه باختها المشاكلة لها الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف انواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل شنفا في الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه فهذه ثلاثة اشياء لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها وهي الاصل المعتمد عليه في تاليف الكلام من النظم والنثر والثاني من هذه الثلاثة

المذكورة

المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة وهذا الموضع يضل في سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر فكيف الجهال الذين لم يتحلوا منه بنحلة ومن الذي يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار حتى ينظر الى اسرار ما يستعمله من الالفاظ فيضعها في مواضعها ومن عجيب ذلك انك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة الا انه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع السبك وهذا لا يدركه الا من دق فهمه وجل نظره فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فاستعمل الجوف في الاولى والبطن في الثانية ولم يستعمل الجوف في موضع البطن ولا البطن في موضع الجوف واللفظتان سواء في الدلالة وهما ثلاثيتان على عدد واحد ووزنهما واحد ايضا فانظر الى سبك الالفاظ كيف يفعل ومما يجري هذا المجرى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة وان كانا مختلفين في الوزن ولم يستعمل في القران احدهما في موضع الاخر وعلى هذا ورد قول الاعرج من ابيات الحماسة نحن بنو الموت اذا الموت نزل

لا عار بالموت اذا حم الاجل

الموت احلى عندنا من العسل

وقال ابو الطيب المتنبي

اذا شئت حفت بي على كل سابح رجال كأن الموت في فمها شهد فهاتان

لفظتان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لا يأتي في حسنه واستعماله
وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد لانها احسن منها ومع هذا
لفظة الشهد وردت في بيت ابي الطيب فجاءت احسن من لفظة العسل في بيت
الاعرج وكثيرا ما تجد امثال ذلك في اقوال الشعراء المفلقين وغيرهم من بلغاء الكتاب
ومصقعي الخطباء وتحته دقائق ورموز اذا علمت وقيس عليها اشباهها ونظائرها
كان صاحب الكلام في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار
الالفاظ ووضعها في مواضعها اللائقة بها واعلم ان تفاوت التفاضل يقع في
تركيب الالفاظ اكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب اعسر واشق الا ترى ان
القرآن الكريم من حيث مفرداته قد استعملها العرب ومن بعدهم ومع ذلك
فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب وهل تشك
ايها المتأمل لكتابنا هذا اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين انك
لم تجد ما وجدته لهذه الالفاظ من المزية الظاهرة الا لامر يرجع الى تركيبها وانه
لم يعرض لها هذا الحسن الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة
وكذلك الى آخرها فان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها لو اخذت
من مكانها وافردت من بين اخواتها كانت لابسة من الحسن ما لبسته في موضعها
من الاية ومما يشهد بذلك ويؤيده انك ترى اللفظة تروقك في كلام ثم تراها
في كلام آخر فتكرهها وهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة ولا عرف اسرار الالفاظ
في تركيبها وانفرادها وساضرب لك مثالا يشهد بصحة ما ذكرته وهو انه قد جاءت

لفظة

لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر
ركيكة ضعيفة فاثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين اما الاية فهي قوله تعالى
فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي صلعم فيستحيي منكم
والله لا يستحيي من الحق واما بيت الشعر فهو قول ابي الطيب المتنبي وهو •

تلذ له المروءة وهي تؤذي •

ومن يعشق يلذ له الغرام •

وهذا البيت من ابيات المعاني الشريفة الا ان لفظة تؤذي قد جاءت فيه وفي الاية
من القرآن فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الاية فانصف
ايها المتأمل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته وهذا موضع غامض
يحتاج الى فضل فكرة وامعان نظر وما تعرض للتنبيه عليه احد قبلي وهذه اللفظة التي
هي تؤذي اذا جاءت في الكلام فينبغي ان تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة
به كقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة الا ترى
انه قال تلذ له المروءة وهي تؤذي ثم قال ومن يعشق يلذ له الغرام فجاء بكلام مستأنف
وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي صلعم واضيف اليها كاف الخطاب
فازال ما بها من الضعف والركة وذاك انه اشتكى النبي صلعم فجاءه جبرئيل عم ورقاه
وقال بسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك فانظر الى هذا السر في استعمال اللفظة الواحدة
فانه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد اصلحها وحسنها ومن ها هنا تزاد الهاء في بعض
المواضع كقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه اني ظننت
اني ملاق حسابيه ثم قال تعالى ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه فان الاصل

في هذه الالفاظ كتابي وحسابي ومالي وسلطاني فلما اضيفت الهاء اليها وتسمى
هاء السكت اضافت اليها حسنا زائدا على حسنها واكسبتها لطافة ورشاقة وكذلك ورد
في القرآن قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فلفظة لي ايضا
مثل تؤذي وقد جاءت في الاية مندرجة متعلقة بما بعدها واذا جاءت منقطعة
لا تجيء لائقة كقول ابي الطيب المتنبي وهو •

تمشي الاماني صرعى دون مبلغه •

فما يقول لشيء ليت ذلك لي •

وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع فادخل فيه ما ليس منه كقول ابي الطيب المتنبي

ما العبد الا ايام والليا لي •

مان تقول ماله وما لي •

فان لفظة لي ها هنا قد وردت بعد ما وقبلها ما النافية قال ومالي فجاء الكلام على
نسق واحد ولو جاءت لفظة لي ها هنا كما جاءت في البيت الاول لكانت منقطعة
عن النظير والشبيه فكان يعلوها الضعف والركة وبين ورودها ها هنا وورودها
في البيت الاول فرق يحكم فيه الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظة اخرى قد وردت
في آية من القرآن وفي بيت من شعر الفرزدق فجاءت في القرآن حسنة وفي البيت
الشعري غير حسنة وتلك اللفظة هي لفظة القمل اما الاية فقوله تعالى وارسلنا
عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات واما البيت
الشعري فقول الفرزدق من عزه احتجرت كليب عنده • زربا كانهم لديه القمل •
وانما حسنت هذه اللفظة في الاية دون هذا البيت من الشعر لانها جاءت في الاية

مندرجة

مندرجة في ضمن الكلام ولم ينقطع الكلام عندها واذا نظرنا الى حكمة اسرار الفصاحة
في القرآن غصنا منه في بحر عميق لا قرار له فمن ذلك هذه الاية المشار اليها فانها
قد تضمنت خمسة الفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واحسن من
هذه الخمسة هي الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسة بجملتها قدم
منها لفظتان الطوفان والجراد والدم واخرت لفظة الدم آخرا وجعلت لفظتا القمل
والضفادع في الوسط ليطرق السمع اولا الحسن من الالفاظ الخمسة وينتهي اليه
آخرا ثم ان لفظة الدم احسن من لفظتي الطوفان والجراد واخف في الاستعمال ومن
اجل ذلك جيء بها آخرا ومراعاة مثل هذه الاسرار والدقائق في استعمال الالفاظ
ليس من القدرة البشرية وقد ذكر من تقدمني من علماء البيان للالفاظ المفردة
خصائص وهيئات تتصف بها واختلفوا في ذلك فاستحسن احدهم شيئا وخالفه فيه
آخر وكذلك استقبح الآخر شيئا وخولف فيه ولو حققوا النظر ووقفوا على السر في اتصاف
بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالقبح لما كان بينهم خلاف في شيء منها وقد اشرت
الى ذلك في الفصل الثامن من مقدمة كتابي هذا الذي يشتمل على ذكر الفصاحة
وفي الوقوف عليه والالمام به غنى عن غيره لكن لا بد ان نذكرها هنا تفصيلا لما
اجملناه هناك لانا ذكرنا في ذلك الفصل ان الالفاظ داخلة في حيز الاصوات لانها
مركبة من مخارج الحروف فما استلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونبا عنه فهو
القبيح واذا ثبت ذلك فلا حاجة الى ما ذكر من تلك الخصائص والهيئات التي
اوردها علماء البيان في كتبهم لانه اذا كان اللفظ لذيذا في السمع كان حسنا واذا كان
حسنا دخلت تلك الخصائص والهيئات في ضمن حسنه وقد رايت جماعة من الجهال

اذا قيل لاحدهم ان هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة انكر ذلك وقال بل كل الالفاظ حسن
والواضع لم يضع الا حسنا ومن يبلغ جهله الى غاية لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العسلوج
وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفنط وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل وبين لفظة الاسد
ولفظة الفدوكس فلا ينبغي ان يخاطب بخطاب ولا يجاب بجواب بل يترك وشانه كما قيل
اتركوا الجاهل بجهله ولو القى الجعر في رحله وما مثاله في هذا المقام الا كمن يسوي بين صورة
زنجية سوداء مظلمة السواد شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة كانها كلوة وشعر
قطط كانه زبيبة وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد اسيل وطرف
كحيل ومبسم كانما نظم من اقاح وطرة كانها ليل على صباح فاذا كان بانسان من سقم النظر
ان يسوي بين هذه الالفاظ وهذه فلا يبعد ان يكون به من سقم الفكر ان يسوي بين
هذه الالفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع في هذا المقام فان هذا حاسة وهذه حاسة
وقياس حاسة على حاسة مناسب فان عاند معاند في هذا وقال اغراض الناس
مختلفة في اختيار ما يختارونه من هذه الاشياء وقد يعشق الانسان صورة الزنجية
التي ذممتها ويفضلها على صورة الرومية التي وصفتها قلت في الجواب نحن لا نحكم
على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال بل نحكم على الكثير الغالب وكذلك اذا راينا
من يحب اكل الفحم مثلا واكل الجص والتراب ويختار ذلك على ملاذ الاطعمة فهل نستجيد
هذه الشهوة او نحكم عليه بانه مريض وقد فسدت معدته وهو محتاج الى علاج
ومداواة ومن له ادنى بصيرة يعلم ان للالفاظ في الاذن نغمة لذيذة كنغم الاوتار وصوتا
منكرا كصوت حمار وان لها في الفم ايضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل
وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم ولا يسبقنك ايها المتامل الى قول

القائل

القائل الذي غلب عليه غلظ الطبع وفجاجة الذهن بان العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا
وكذا فهذا دليل على انه حسن بل ينبغي ان تعلم ان الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا
هو الذي كان عند العرب مستحسنا والذي نستقبحه هو الذي عندهم مستقبحا والاستعمال
ليس بدليل على الحسن فانا نحن نستعمل الان من الكلام ما ليس بحسن وانما نستعمله لضرورة
فليس استعمال الحسن بممكن في كل الاحوال وهذا طريق تضل بغير العارف مسالكه ومن
لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبهما من الكلفة في صوغ الالفاظ واختيارها
فانه معذور في ان يقول ما قال ٥

لا يعرف الشوق الا من يكابده ٥

ولا الصبابة الا من يعانيها ٥

ومع هذا فان قول القائل بان العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا وهذا
دليل على انه حسن قول فاسد لا يصدر الا عن جاهل فان استحسان الالفاظ
واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه ليس شيء للتقليد فيه مجال
وانما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبحه
وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة والبلاغة واما الذي يقلد العرب
فيه من الالفاظ وانما هو الاستشهاد باشعارها على ما ينقل من لغتها او الاخذ
باقوالها في الاوضاع النحوية من رفع الفاعل ونصب المفعول به وجر المضاف وجزم
الشرط او اشباه ذلك وما عداه فلا وحسن الالفاظ وقبحها ليس مضافا الى زيد
دون عمرو ولا الى عمرو دون زيد لانه وصف ذوقي لا يتغير بالاضافة الا ترى
ان لفظة المزنة حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهلم جرا لا يختلف

احد في حسنها كذلك لفظة البعاق فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم فاذا
استعملها العرب لا يكون استعمالهم اياها مخرجا لها عن القبح ولا يلتفت اذا الى استعمالهم
اياها بل يعاب مستعملها ويغلطه الكبير حيث استعملها وقد ذكر ابن سنان الخفاجي
ما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف وقسمها الى عدة اقسام كتباعد مخارج الحروف
وان تكون الكلمة جارية على العرف العربي غير شاذة وان تكون مصغرة في موضع يعبر به
عن شيء لطيف وخفي وما يجري مجراه وان لا تكون مبتذلة بين العامة وغير ذلك من
الاوصاف وفي الذي ذكره ما لا حاجة اليه اما تباعد المخارج فان معظم اللغة العربية
دائر عليه لان الواضع قسمها في وضعه ثلاثة اقسام ثلاثيا ورباعيا وخماسيا
فالثلاثي من الالفاظ هو الاكثر ولا يوجد فيه ما يكره استعماله الا الشاذ النادر واما
الرباعي فانه وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة عددا واستعمالا واما الخماسي
فانه الاقل ولا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر وعلى هذا التقدير فان
اكثر اللغة مستعمل غير مكروه ولا تقتضي حكمة هذه اللغة الشريفة التي هي سيدة
اللغات الا ذلك ولهذا اسقط الواضع حروفا كثيرة في تاليف بعضها مع بعض
استثقالا واستكراها فلم تؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين وكذلك
لم تؤلف بين الجيم والقاف ولا بين اللام والراء ولا بين الزاي والسين وكل هذا
دليل على عنايته بتاليف المتباعد المخارج دون المتقارب ومن العجب انه كان
عمل بمثل هذا الاصل الكلي في تحسين اللغة وقد عني بامور اخرى جزئية كمماثلته
بين حركات الفعل في الوجود وبين حركات المصدر في النطق كالغليان والغثيان
والنقدان والنزوان وغير ذلك مما جرى مجراه فان حروفه جميعها متحركات وليس منها

حرف

حرف ساكن وهي مماثلة لحركات الفعل في الوجود ومن نظر في حكمة وضع هذه اللغة الى
هذه الدقائق التي هي كالاطراف والحواشي فكيف كان يخل بالاصل المعول عليه في تاليف
الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هي متباعدة او متقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر
ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ولا الكاتب ينشئ كتابا الا في مدة طويلة تمضي عليها الايام والليالي
ذوات عدد كثير ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فان حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام
بحسن ما يحسن من الالفاظ وقبح ما يقبح وسانا اضرب لك في هذا مثالا فاقول اذا سئلت
عن لفظة من الالفاظ وقيل لك ما تقول في هذه اللفظة احسنة هي ام قبيحة فاني لا اراك
عند ذلك تفتي بحسنها او قبحها على الفور ولو كنت لا تفتي بذلك حتى تقول للسائل اصبر
علي الى ان اعتبر مخارج حروفها ثم افتيك بعد ذلك بما فيها من حسن او قبح لصح لابن سنان
ما ذهب اليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطا في اختيار الالفاظ وانما شذ عنه
الاصل في ذلك وهو ان الحسن من الالفاظ يكون متباعد المخارج فحسن الالفاظ اذن
ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع الى حاسة السمع
فاذا استحسنت لفظا او استقبحته وجد ما يستحسنه متباعد المخارج وما يستقبحه
متقارب المخارج وما يستقبح متقارب المخارج فاستحسانها واستقباحها انما هو قبل
اعتبار المخارج لا بعده على ان هذه القاعدة قد شذ عنها شواذ كثيرة لانه قد يجيء من
المتقارب المخارج ما هو حسن رائق الا ترى ان الجيم والشين والياء مخارج متقاربة وهي
من وسط اللسان بينه وبين الحنك وتسمى ثلاثتها الشجرية واذا تركب منها شيء من
الالفاظ جاء حسنا رائقا فانه قيل جيش كانت لفظة محمودة وقدمت الشين على الجيم
فقيل شجي كانت لفظة واقرب مخرجا من ذلك الباء والميم والفاء وكلها من الشفة

بعضها الى بعض على انه لو اراد الناظم والناثر ان يعتبر المخارج للحروف صح

والعين من حروف الحلق واللام في وسط اللسان وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظة
مكروهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة وفيها
لكنة غريبة وهو انا اذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت علم وعند ذلك تكون حسنة
لا مزيد على حسنها وما ندري كيف صار ذلك القبح حسنا لانه لم يتغير من مخارجها شي وذلك
ان اللام لم تزل وسطا والميم والعين يكتنفانها من جانبيها ولو كان مخارج الحروف معتبرا
في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في ملع وعلم فان قيل ان اخراج الحروف من الحلق الى الشفة
ايسر من ادخالها من الشفة الى الحلق فان ذلك انحدار وهذا صعود والانحدار اسهل
الجواب عن ذلك اني اقول لو استمر لك هذا لصح ما ذهبت اليه لكنا نرى من الالفاظ ما
اذا عكسنا حروفه من الشفة الى الحلق او من وسط اللسان ومن اخره الى الحلق لا يتغير كقولنا
غلب فان العين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان والباء من الشفة واذا عكسنا ذلك
صار بلغ وكلاهما حسن مليح وكذلك تقول حلم من الحلم وهو الاناة واذا عكسنا هذه الكلمة
صارت ملح على وزن فعل بفتح الفاء وضم العين وكلاهما ايضا حسن مليح وكذلك فهر ورقع وعرف
ورفع وحلف وفلج وقلم وملق وكلم وملك ولو شئت وردت من ذلك شيا كثيرا تضيق
عنه هذه الاوراق ولو كان ما ذكرته مطردا لكنا اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها
قبحا وليس الامر كذلك واما ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربي فليس ذلك
مما يوجب لها حسنا ولا قبحا وانما يصح من معرفة مستعملها بما يستعمل من الالفاظ فكيف
يعد ذلك من جملة الاوصاف الحسنة واما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شي لطيف او خفي
او ما جرى مجراه فهذا مما لا حاجة الى ذكره فان المعنى يسوق اليه وليت شعري ما التصغير من الاشيا
الغامضة التي تفتقر الى التنبيه عليها فانها مدونة في كتب النحو وما من كتاب نحو الا والتصغير باب

من

باب من ابوابه ومع هذا فان صاحب هذه الصناعة مخير في ذلك ان شاء ان يورده
بلفظ التصغير وان شاء بمعناه كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية
من خلقه خفيت عنه بنو اسد

فهل كان يمكن هذا الشاعر ان يصغر من هؤلاء القوم ويحقر من شانهم بالفاظ التصغير
ويجي هكذا كما جا في بيته هذا فالوصية به اذن ملغاة لا حاجة اليها واما الاوصاف
الباقية التي ذكرت فهي التي ينبغي ان ينبه عليها فمنها ان لا تكون الكلمة وحشية
وقد خفي الوحشي على جماعة من المنتمين الى صناعة النظم والنثر وظنوه المستقبح من الالفاظ
وليس كذلك بل الوحشي ينقسم قسمين احدهما غريب حسن والاخر غريب قبيح وذلك
انه منسوب الى اسم الوحش الذي يسكن القفار وليس بانيس وكذلك الالفاظ التي
لم تكن مانوسة الاستعمال وليس من شرط الوحشي ان يكون مستقبحا بل ان يكون نافرا
لا يالفه الانس فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا وعلى هذا فان احد قسمي الوحشي
وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات واما القسم الاخر من الوحشي
الذي هو قبيح فان الناس في استقباحه سوا ولا يختلف فيه عربي باد ولا قروي
واحسن الالفاظ ما كان مالوفا متداولا ولا لانه لم يكن مالوفا متداولا ولا لانه لم يكن مالوفا
متداولا الا لمكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة فان ارباب
الخطابة والشعر نظروا الى الالفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا الى الاحسن منها فاستعملوه
وتركوا ما سواه وهو ايضا يتفاوت في درجات حسنه فالالفاظ اذن تنقسم الى ثلثة
اقسام قسمان حسنان وقسم قبيح فالقسمان الحسنان احدهما ما تداول استعماله الاول

والاخر من الزمن القديم والى زماننا هذا ولا يطلق عليه انه وحشي والاخر ما تداول
استعماله الاول دون الاخر ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن واهله وهذا هو الذي
لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشي وقد تضمن
القران الكريم منه كلمات معدودة هي التي يطلق عليها غريب القران وكذلك تضمن الحديث
النبوي منه شيا وهو الذي يطلق عليه غريب الحديث وحضر عندي في بعض الايام
رجل متفلسف فجرى ذكر القران الكريم فاخذت في وصفه وذكر ما اشتمل
عليه من الفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل واي فصاحة هناك
وهو يقول تلك اذن قسمة ضيزى فهل في لفظة ضيزى من الحسن ما يوصف فقلت
له اعلم ان لاستعمال الالفاظ اسرارا لم تقف عليها انت ولا مثل ابن سينا والفارابي
ولا من اضلهم مثل ارسطاطاليس وافلاطون وهذه اللفظة التي انكرتها في القران
وهي لفظة ضيزى فانها في موضعها لا يسد غيرها مسدها الا ترى ان السورة كلها
التي هي سورة النجم مسجوعة على حرف اليا فقال تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما
غوى وكذلك الى اخر السورة فلما ذكر الاصنام وقسمة الاولاد وما كان يزعمه
الكفار قال الكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى فجات اللفظة على الحرف
المسجوع الذي جات السورة جميعها عليه وغيرها لا يسد مسدها في مكانها
واذا نزلنا معك ايها المعاند على ما تريد قلنا ان غير هذه اللفظة احسن منها
ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملايمة لاخواتها ولا مناسبة لانها تكون خارجة عن حرف
السورة وساتبين ذلك فاقول اذا جينا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا قسمة
جائرة او ظالمة ولا شك ان جائرة او ظالمة احسن من ضيزى الا انا اذا نظمنا

الكلام

الكلام فقلنا الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الاول
وصار الكلام كالشي المعوز الذي يحتاج الى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة
بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل ما اوردته عليه ربا لسانه في فمه افحاما ولم يكن له عنده
في ذلك شي سوى العناد الذي مستنده تقليد لبعض الزنادقة الذين يكفرون
تشهيا ويقولون ما يقولونه جهلا واذا حوققوا ظهر عجزهم ونقصهم وحيث انتهى القول
الى ههنا فاني ارجع الى ما كنت بصدد ذكره فاقول واما القبيح من الالفاظ الذي
يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشي الغليظ وسياتي ذكره واذا نظرنا
الى كتاب الله الذي هو افصح الكلام وجدناه سهلا سلسا وما تضمنه من الكلمات الغريبة
يسير جدا هذا وقد انزل في زمن العرب العربا والفاظها من اسهل الالفاظ واقربها
استعمالا وكفى به قدوة في هذا الباب قال النبي صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التورية
ولا في الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني يريد بذلك فاتحة الكتاب فاذا نظرنا
الى ما اشتملت عليه من الالفاظ وجدناها سهلة قريبة الماخذ يفهمها كل احد حتى
صبيان المكاتب وعوام السوقة وان لم يفهموا ما تحتها من اسرار الفصاحة والبلاغة
فان احسن الكلام ما فهم الخاصة فضله وفهم العامة معناه ولهذا فلتكن الالفاظ
المستعملة في سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدي بالفاظ القران يكتفي بها
عن غيرها من جميع الالفاظ المنثورة والمنظومة واما ما ورد من اللفظ الوحشي في الاخبار
النبوية فمن جملة ذلك حديث طهفة بن ابي زهير النهدي وذاك انه لما قدمت
وفود العرب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام طهفة بن ابي زهير فقال اتيناك
يا رسول الله من غوري تهامة على اكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب

وتستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستحيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطا
قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدي
ومات الودي برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة
السلام وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال ما تبض
ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل
ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال
والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله
الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة
ولا تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلاة وكتب معه كتابا الى بني نهد من محمد رسول الله
الى بني نهد السلام على من امن بالله ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة
ولكم العارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم ولا يحبس دركم ولا يؤكل اكلكم ما لم تضمروا الاماق وتاكلوا الرباق من اقر بما في
هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة وحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتضي استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد فيه الا
جوابا لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على انه قد كان في زمنه
متداولا بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا يسيرا لانه اعلم
بالفصيح والافصح وهذا الكلام هو الذي نعده نحن في زماننا وحشيا لعدم الاستعمال
ولا تظن ان الوحشي من الالفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وانما هو

الذي

الذي يثقل استعماله فتارة يخلق سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك
وذلك في اللفظ عيبان احدهما انه غريب الاستعمال والاخر انه ثقيل على السمع كريه
على الذوق واذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي
يسمى الوحشي الغليظ ويسمى ايضا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة اخرى ولا
يستعمله الا اجهل الناس ممن لم يخطر باله شيء من معرفة هذا الفن اصلا فان قيل
فما هذا النوع من الالفاظ قلت قد بينت لك انه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك
النطق به وساضرب لك في ذلك مثالا فمنه ما ورد لتابط شرا كقوله في كتاب الحماسة

يظل بموماة ويمسي بغيرها
جحيشا ويعروري ظهور المهالك

فان لفظة جحيش من الالفاظ المنكرة القبيحة ويا لله العجب اليس انها بمعنى فريد
وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل
شيء من وزنه فتابط شرا ملوم من وجهين في هذا الموضع احدهما انه استعمل
القبيح والاخر انه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها ومما هو اقبح
منها ما ورد لابي تمام وهو

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت
عشواء تاليه غبسا دهاريسا

فلفظة اطلخم من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في انها غريبة وانها
غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة دهاريس وعلى هذا ما ورد قوله
من ابيات يصف فرسه من جلها حباك به جبين لا اروع ولا جلبين

نعم متاع الدنيا

فلفظة جفخت وحشية غليظة واغلظ منها قول ابي الطيب المتنبي وهو

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم
شيم على الحسب الاغر دلائل

فان لفظة جفخت مرة الطعم واذا مرت على السمع اقشعر منها وابو الطيب في استعمالها
كاستعمال تابط شرا لفظة جحيش فان تابط شرا كانت له مندوحة عن استعمال تلك
اللفظة كما اشرنا اليه فيما تقدم وكذلك ابو الطيب في استعمال هذه اللفظة التي هي جفخت
فان معناها فخرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان اي فخر ولو استعمل عوضا من جفخت
فخرت لاستقام وزن البيت وحظي في استعماله بالاحسن وما اعلم كيف يذهب هذا
وامثاله على هؤلاء الفحول من الشعراء وهذا الذي ليس له ما يدانيه في قبحه ذكرا هنا
وهذه الامثلة دليل على ما اردناه فالعربي اذن لا يلام على استعمال الغريب الحسن
من الالفاظ لكن يلام على استعمال الغريب القبيح واما الحضري فانه يلام على استعمال
القسمين معا وهو في احدهما اشد ملامة من الاخر على ان هذا الموضع يحتاج الى
قيد اخر وذلك شيء استخرجته انا دون غيري فاني وجدت الغريب الحسن يسوغ
استعماله في الشعر ولا يسوغ استعماله في الخطب ولا في الكتابات وهذا ينكره من
يسمعه حتى ينتهي الى ما اوردته من الامثلة ولربما انكره بعد ذلك اما عنادا
واما جهلا لعدم الذوق السليم عنده فمن ذلك قول الفرزدق

ولولا حياء زدت راسك شجة
اذا سبرت ظلت جوانبها تغلي
شرنبثة شمطاء من يرَ ما بها تشيبه ولو بين الخماسي الطفل

فقوله

فقوله شرنبثة من الالفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر وهي ههنا غير
مستكرهة الا انها لو وردت في كلام منثور من كتاب او خطبة لعيب مستعملها
وكذلك قد وردت لفظة مشمخر فان بشرا قد استعملها في ابياته التي يصف فيها
لقاءه الاسد

واطلقت المهند عن يميني
فقد له من الاضلاع عشرا
فخر مضرجا بدم كاني
هدمت به بناء مشمخرا

وعلى هذا ورد قول البحتري في قصيدته التي يصف فيها ايوان كسرى فقال

مشمخر تعلو له شرفات
رفعت في رؤوس رضوى وقدس

فان لفظة مشمخر لا يحسن استعمالها في الخطب والكتابات ولا باس بها ههنا
في الشعر وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب بن نباتة كقوله في خطبة يذكر فيها
اهوال يوم القيامة فقال اقمطر وبالها واشمخر نكالها فما طابت ولا ساغت ومن هذا
الاسلوب لفظة الكنهور في وصف السحاب كقول ابي الطيب المتنبي

يا ليت باكية شجاني دمعها
نظرت اليك كما نظرت فتعذرا
وترى الفضيلة لا ترد فضيلة الشمس تشرق والسحاب كنهورا

فلفظة الكنهور لا تعاب نظما وتعاب نثرا وكذلك تجري الامور في لفظة العرمس
وهي اسم الناقة الشديدة فان هذه اللفظة يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب

مستعملها كقول ابي الطيب المتنبي

ومهمه جبته على قدمي

تعجز عنه العرامس الذلل

فانه جمع هذه اللفظة ولا باس بها ولو استعملت في الكلام المنثور من الكتابات
والخطب لما ساغت ولا طابت وقد جاءت موحدة في شعر ابي تمام كقوله

هي العرمس الوجناء وابن ملمة

وجاش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد قوله ايضا يا موضع الشدنية الوجناء فان الشدنية لا تعاب شعرا و
لو وردت في كتاب او خطبة وهكذا يجري الحكم في امثال هذه الالفاظ المشار اليها وعلى هذا
فاعلم ان كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور من الالفاظ يسوغ استعماله في الكلام المنظوم
وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنثور وذلك
شيء استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستي هذا الفن ولان الذوق الذي عندي
دلني عليه فمن شاء ان يقلدني فيه والا فليدمن النظر حتى يطلع على ما اطلعت عليه
والاذهان في مثل هذا المقام تتفاوت وقد رايت جماعة ممن يدعي هذه الصناعة يعتقدون
ان الكلام الفصيح هو الذي يعز فهمه ويبعد متناوله واذا راوا كلاما وحشيا
غامض الالفاظ يعجبون به ويصفونه بالفصاحة وهو بالضد من ذلك لان الفصاحة
هي الظهور والبيان لا الغموض والخفاء وسابين لك ما تعتمد عليه في هذا الموضع فاقول
الالفاظ تنقسم في الاستعمال الى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه
فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف واشباه

ذلك واما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر ايام البعاد وفي استجلاب المودات
وملاينات الاستعطاف واشباه ذلك ولست اعني بالجزل ان يكون متينا على عنجهية في الفم
ولذاذة في السمع وكذلك لست اعني بالرقيق ان يكون ركيكا سفسفا وانما هو اللطيف
الرقيق الحاشية الناعم الملمس كما قال ابو تمام وهو

ناعمات الاطراف لو انها تلبس اغنت عن الملاء الرقاق

وسأضرب لك مثالا للجزل من الالفاظ والرقيق فاول ما انظر اليه قوارع القران عند ذكر الحساب
والعذاب والميزان والصراط وذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى
شيئا من ذلك وحشي الالفاظ ولا متوعرا ثم انظر الى ذكر الرحمة والرافة والمغفرة والملاطفات في خطاب
الانبياء وخطاب التائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيئا
من ذلك ضعيف الالفاظ ولا سفسافا فالاول وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما
يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا
بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فتامل

هذه الايات المتضمنة ذكر الحشر على تفاصيل احواله وذكر النار والجنة وانظر هل فيها
لفظة الا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة وكذلك ورد قوله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون واما مثال الثاني
وهو الرقيق من الالفاظ فقوله في مخاطبة النبي صلى الله عليه واله وسلم والضحى والليل اذا
سجى ما ودعك ربك وما قلى الى اخر السورة وكذلك قوله تعالى في ترغيب المسألة واذا
سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني وهكذا ترى سبيل
القران الكريم في كلا هذين الحالين من الجزالة والرقة وكذلك كلام العرب الاول من الزمن
القديم ما ورد عنها نثرا ويكفي مثلا كلام قبيصة بن نعيم لما قدم على امرئ القيس
في اشياخ بني اسد يسالونه العفو عن دم ابيه فقال له انك في المحل والقدر من المعرفة
بتصرف الدهر وما تحدثه ايامه وتنقل به احواله بحيث لا تحتاج الى تذكير من واعظ
ولا تبصير من مجرب ولك من سودد منصبك وشرف اعراقك وكرم اصلك في العرب
محتد يحتمل ما حمل عليه من اقالة العثرة ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت
اليك فوجدت عندك من فضيلة الراي وبصيرة الفهم وكرم الصفح ما يطول رغباتها
ويستغرق طلباتها وقد كان الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزارا
واليمن ولم تخصص بذلك كندة دوننا للشرف البارع كان لحجر ولو كان يفدى هالك
بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا بها على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع
اخره على اوله ولا يلحق اقصاه ادناه فاحمد الحالات في ذلك ان تعرف الواجب عليك في احدى
خلال ثلاث اما ان اخترت من بني اسد اشرفها بيتا واعلاها في بناء المكرمات صوتا فقدناه

اليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك باقي قصرته فنقول رجل امتحن بهالك
عزيز فلم تستل سخيمته الا تمكينه من الانتقام او فداء بما يروح على بني اسد من نعمها فهي الوف
تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب الى اجفانها لم يردها تسليط الاحن
على البراء واما ان وادعتنا الى ان تضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر فوق
الرايات قال فبكى ساعة ثم رفع راسه فقال لقد علمت العرب انه لا كفء لحجر في دم واني
لن اعتاض به جملا ولا ناقة فاكتسب به سبة الابد وفت العضد واما النظرة فقد
اوجبتها الاجنة في بطون امهاتها ولن اكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة
من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

اذا جالت الحرب في مازق

تصافح فيه المنايا النفوسا

اتقيمون ام تنصرفون قالوا بل ننصرف باسوأ الاختيار وابلى الاجترار بمكروه واذية
وحرب وبلية ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل

لعلك ان تستوخم الورد ان غدت

كتائبنا في مازق الحرب تمطر

فقال امرؤ القيس لا والله ولكن استعذبه فرويدا ينفرج لك دجاها عن فرسان
كندة وكتائب حمير ولقد كان ذكر غير هذا بي اولى اذ كنت نازلا بربعي ولكنك
قلت فاجبت فقال قبيصة ما نتوقع فوق قدر العاقبة والاعتاب فقال امرؤ القيس
هو ذاك فلينظر الى هذا الكلام من الرجلين قبيصة وامرئ القيس حتى يدع الذين
تعمقهم في استعمال الوحشي من الالفاظ فان هذا الكلام قد كان في الزمن

القديم قبل الاسلام بما شاء الله وكذلك هو كلام كل فصيح من العرب مشهور وما عداه فليس تبتني وهذا المشار اليه هيهنا هو من جزل كلامهم وهو على ما تراه من السلاسة والعذوبة
واذا تصفحت اشعارهم ايضا وجدت الوحشي من الالفاظ قليلا بالنسبة الى السلسل
في الفم والسمع الا ترى الى هذه الابيات الواردة للسموال بن عاديا وهي ٥

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه ٥
فكل رداء يرتديه جميل ٥
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل ٥
تعيرنا انا قليل عديدنا ٥
فقلت لها ان الكرام قليل ٥
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل ٥
يقرب حب الموت اجالنا لنا ٥
وتكرهه اجالهم فتطول ٥
وما مات منا سيد حتف انفه ولا طل منا حيث كان قتيل ٥
علونا الى خير الظهور وحطنا ٥
لوقت الى خير البطون نزول ٥
فنحن كماء المزن ما في نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل ٥
اذا سيد منا خلا قام سيد ٥
قؤول لما قال الكرام فعول ٥
وايامنا مشهورة في عدونا لها غرر مشهورة وحجول ٥

واسيافنا في كل غرب ومشرق ٥
بها من قراع الدارعين فلول ٥
معودة ان لا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قبيل ٥

واذا نظرنا الى ما تضمنته من الجزالة خلناها زبرا من الحديد وهي مع ذلك سهلة مستعذبة غير فظة ولا غليظة وكذلك قد ورد للعرب في جانب الرقة من الاشعار ما يكاد يذوب لرقته
كقول عروة بن اذينة ٥

ان التي زعمت فوادك ملها ٥
خلقت هواك كما خلقت هوى لها ٥
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فادقها واجلها ٥
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي ٥
ما كان اكثرها لنا واقلها ٥
وانعدت لها وساوس سلوة شفع الضمير الى الفواد فسلها ٥

وكذلك ورد قول الاخر ٥

اقول لصاحبي والعيس تهوي ٥
بنا بين المنيفة فالضمار ٥
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار ٥
الا يا حبذا نفحات نجد وريا روضه غب القطار ٥
واهلك اذ يحل الحي نجدا ٥
وانت على زمانك غير زار ٥

شهور ينقضين وما شعرنا ٥
بانصاف لهن ولا سرار ٥
فاما ليلهن فخير ليل واطيب ما يكون من النهار ٥

ومما ترقص الاسماع له ويرف على صفحات القلوب قول يزيد الطثرية في محبوبته بني جرم ٥

بنفسي من لو مر برد بنانه على ٥
كبدي كانت شفاء انامله ٥
ومن هابني في كل شيء وهبته فلا هو يعطيني ولا انا سائله ٥

واذا كان هذا قول ساكن في الفلاة لا يرى الا شيحا او قيصومة ولا ياكل الا ضبا او يربوعا
فما بال قوم سكنوا الحضر ووجدوا رقة العيش يتعاطون وحشي الالفاظ وشظف العبارات
ولا يخلد الى ذلك الا اما جاهل باسرار الفصاحة واما عاجز عن سلوك طريقها فان كل احد
ممن شدا شيئا من علم الادب يمكنه ان ياتي بالوحشي من الكلام وذلك انه يلتقطه من كتب
اللغة او يتلقفه من اربابها واما الفصيح المتصف بصفة الملاحة فانه لا يقدر عليه ولو قدر
عليه لما علم اين يضع يده في تاليفه وسبكه وان مارى في ذلك ممار فلينظر الى اشعار
علماء الادب ممن كان مشارا اليه حتى يعلم صحة ما ذكرته هذا ابن دريد قد قيل انه اشعر
علماء الادب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منحطا مع ان
اولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الادب معشار ما علمه هذا العباس بن الاحنف قد كان
من اوائل الشعراء المحدثين وشعره كنسيم على عذبات اغصان وكلؤلؤات طل
على اوراق ريحان وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج الى استخراجها من كتاب من كتب
اللغة فمن ذلك قوله واني ليرضيني قليل نوالكم ٥ وان كنت لا ارضى لكم بقليل ٥

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم ٥
من الود الا عدتم بجميل ٥

وهكذا ورد قوله في فوز التي كان يشبب بها في شعره ٥

يا فوز يا منية عباس قلبي يفدي قلبك القاسي ٥
اسات اذ احسنت ظني بكم ٥
والحزم سوء الظن بالناس ٥
يقلقني شوقي فاتيكم والقلب مملوء من الياس ٥

وهل اعذب من هذه الابيات واعلق بالخاطر واسرى في السمع ولمثلها تخف رواجح
الاوزان وعلى مثلها تسهر رقدات الاجفان وعن مثلها تتاخر السوابق عند الرهان
ولم اجرها بلساني يوما من الايام الا ذكرت قول ابي الطيب المتنبي ٥

اذا شاء ان يلهو بلحية احمق ٥
اراه غباري ثم قال له الحق ٥

ومن الذي يستطيع ان يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة قريبة بعيدة وقد كان
ابو العتاهية ايضا في غرة الدولة العباسية وشعراء العرب اذ ذاك موجودون
كثيرا وكانت مدائحه في المهدي بن المنصور واذا تاملت شعره وجدته كالماء الجاري
رقة الفاظ ولطافة سبك وليس بركيك ولا واه وكذلك ابو نواس ولهذا قدم على
شعراء عصره وناهيك بعصره وما جمعه من فحول الشعراء ويكفي منهم مسلم بن الوليد
الذي كان فارس الشعر وله الاسلوب الغريب العجيب غير انه كان تعجبه في اكثر الفاظه
ويحكى ان ابا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد وهو وجماعة من الشعراء فاستسقى

ماء ظمآن شرب قال عذب الماء وطاب ثم قال اجيزوه فما هذا ولكن الشعراء يترددون
في اجازته واذا هم بابي العتاهية مجتازا فقال ما شأنكم مجتمعين فقالوا هو كيت وكيت
وقد قال ابو نواس عذب الماء وطاب فقال ابو العتاهية حبذا الماء شرابا فعجبوا من قوله
على الفور من غير تلبث وكل شعر ابي العتاهية كذلك سهل الالفاظ وما اورد منه ههنا
شيئا يستدل به على سلاسة طبعه فمن رقيق خاطره من ذلك قصيدته التي يمدح
فيها المهدي ويشبب بجاريته عتبة وهي

الا ما لسيدتي ما لها تدل فاحمل ادلالها

الا ان جارية للامام قد

اسكن الحسن سربالها

لقد اتعب الله قلبي بها واتعب في اللوم عذالها

كأن بعيني في حيث ما

سلكت من الارض تمثالها

فلما وصل الى المديح قال من جملته

اتته الخلافة منقادة

اليه تجرر اذيالها

فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها

ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله اعمالها

ويحكى ان بشارا كان شاهدا عند انشاد ابي العتاهية هذه الابيات فلما سمع

المديح

المديح قال انظروا الى امير المؤمنين هل طار عن اعواده يريد هل زال عن سريره طربا بهذا المديح
ولعمري ان الامر كما قال بشار وخير القول ما اسكر السامع حتى يتقلقل عن حالته سواء كان
في مديح او غيره وقد اشرت الى ذلك فيما ياتي من هذا الكتاب عند ذكر الاستعارة فليؤخذ
من هناك واعلم ان هذه الابيات المشار اليها ههنا من رقيق الشعر غزلا ومديحا
او غيره وقد اذعن لمديحها الشعراء من اهل ذلك العصر ومع هذا فانك تراها من السلاسة
واللطافة على ما اقصى الغايات وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع فتراه يطمعك
ثم اذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغي ان يكون من خاض
في كتابة او شعر فان خير الكلام ما دخل الاذن بغير اذن واما البداوة والعنجهية
في الالفاظ فتلك امة قد خلت ومع انها قد خلت وكانت في زمن العرب العاربة
فانها قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الان وقد غلب على الناس
رقة الحضر وبعد هذا فاعلم ان الالفاظ تجري من السمع مجرى الاشخاص من البصر
فالالفاظ الجزلة تتخيل في السمع كاشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة
تتخيل كاشخاص ذوي دماثة ولين اخلاق ولطافة مزاج ولهذا ترى الفاظ ابي تمام
كانها رجال قد ركبوا خيولهم واستلاموا سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى الفاظ
البحتري كانها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين باصناف الحلي
واذا امعنت نظرك فيما ذكرته ههنا وجدتني قد سلكت بك على الطريق وضربت لك
مثالا مناسبا واعلم انه يجب على الناظم والناثر ان يجتنبا ما يقبح به جمال
الكلام في بعض الحروف كالثاء والخاء والذال والشين والصاد والطاء والظاء
والغين فان في الحروف الباقية مندوحة من استعمال ما لا يحسن من هذه الاحرف

المشار اليها والناظم في ذلك اشد ملامة لانه يتعرض لان ينظم قصيدة ذات ابيات متعددة
فياتي في اكثرها بالبشع الكريه الذي يمجه السمع لعدم استعماله كما فعل ابو تمام في قصيدته
الثائية التي مطلعها قف بالطلول الدارسات علاثا وكما فعل ابو الطيب المتنبي
في قصيدته الخائية التي مطلعها مبيتي من دمشق على فراش وكما فعل ابن هانئ
المغربي في قصيدته الشينية التي مطلعها والناظم لا يعاب اذا لم ينظم هذه الاحرف

سرى وجناح الليل اقتم
افتح

في شعره بل يعاب اذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة واما الناثر فانه اقرب حالا من الناظم
لان غاية ما ياتي به سجعتان او ثلاث او اربع على حرف من هذه الاحرف وما يعدم منه لك
ما يروق اذا كان بهذه العدة اليسيرة فان كلفت ايها الشاعر ان تنظم شيئا على هذه الحروف
فقل هذه الحروف هي مقاتل الفصاحة وعذري واضح في تركها فان واضع اللغة لم يضع عليها
الفاظا تعذب في الفم ولا تلذ في السمع والذي هو بهذه الصفة منها فانما هو قليل جدا
ولا يتسع منه الا مقاطيع ابيات من الشعر واما القصائد المقصدة فلا اتساع منه فيها ان
صيغت جاء اكثرها بشعا كريها على ان هذه الحروف متفاوتة في كراهة الاستعمال اذ
كراهة اربعة احرف وهي الخاء والصاد والظاء والغين واما الثاء والذال والشين
والطاء فان الامر فيهن اقرب حالا وهذا موضع ينبغي لصاحب هذه الصناعة ان يمعن نظره
فيه ومما اشرنا اليه كفاية المتعلم فليعرفه وليقف عنده ومن اوصاف الكلمة ان لا تكون
مبتذلة بين العامة وذلك ينقسم قسمين الاول ما كان من الالفاظ دالا على معنى
وضع له في اصل اللغة فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى اخر وهو ضربان الاول
كقول ابي الطيب وهو

اذاق الغواني حسنه ما اذقنني وعف فجازاهن عني بالصرم

فان

فان لفظة الصرم في وضع اللغة هو القطع يقال صرمه اذا قطعه فغيرتها العامة وجعلتها
دالة على المحل المخصوص دون غيره فابدلوا السين صادا ومن اجل ذلك استكره استعمال
هذه اللفظة وما جرى مجراها لكن المكروه منها ما يستعمل على صيغة الاسمية كما جاءت
في هذا البيت واما اذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا صرمه وصرمته ويصرمه فانها
لا تكون كريهة لان استعمال العامة لا يدخل في ذلك وهذا الضرب المشار اليه لا يعاب
البدوي على استعماله كما يعاب المتحضر لان البدوي لم تتغير الالفاظ في زمنه ولا
تصرفت العامة فيها كما تصرفت في زمن المتحضر من الشعراء ومن اجل ذلك عيب استعمال
لفظة الصرم وما جرى مجراها على الشاعر المتحضر ولم تعب على الشاعر المتبدي الا ترى
الى قول ابي صخر الهذلي

قد كان صرم في الممات لنا

فعجلت قبل الموت بالصرم

فان هذا لا يعاب على صخر كما عيب على المتنبي قوله في البيت المقدم ذكره وقد صنف
الشيخ ابو منصور بن احمد البغدادي المعروف بابن الجواليقي كتابا في هذا الفن وسمه
باصلاح ما تغلط فيه العامة فمنه ما هذا سبيله وهو الذي ينكر استعماله لكيا هيئته
ولانه مما لم ينقل عن العرب فهذان عيبان واما الضرب الثاني وهو ان يكون ما وضع
في اصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالا على غيره الا انه ليس بمستقبح ولا مستكره
وذلك كتسميتهم الانسان ظريفا اذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة او اللباس
او ما هذا سبيله والظرف في اصل اللغة مختص بالنطق فقط وقد قيل في صفات خلق
الانسان ما اذكره ههنا وهو الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والجمال في الانف

الحلاوة في العينين الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل
كمال الحسن في الشعر فالظرف انما يتعلق بالنطق خاصة فغيرته العامة عن بابه وممن غلط
فيهذا الموضع ابو نواس حيث قال

اختصم الجود والجمال فيك فصارا الى جدال ٥
فقال هذا يمينه لي للعرف والبذل والنوال ٥
وقال هذاك وجهه لي للظرف والحسن والكمال ٥
فافترقا فيك عن تراض ٥
كلاهما صادق المقال ٥

وكذا غلط ابو تمام فقال

لك هضبة الحلم التي لو وازنت اجا اذا لغدت وكان خفيفا ٥
وحلاوة الشيم التي لو مازجت ٥
خلق الزمان العدم عاد ظريفا ٥

فابو نواس غلط فيها في انه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق وابو تمام
غلط في انه وصف الخلق بالظرف وهو من صفات النطق ايضا الا ان هذا غلط لا يوجب
في هذه اللفظة قبحا لكنه جهل بمعرفة اصلها في وضع اللغة القسم الثاني اما ابتذلته
العامة وهو الذي لم يغيره عن وضعه وانما انكر استعماله لانه مبتذل بينهم لا لانه مستقبح
ولا لانه مخالف لما وضع له وفي هذا القسم نظر عندي لانه ان كان عبارة عما يكثر
تداولها العامة والخاصة فما جاء منه قول ابي الطيب المتنبي هو
ويلومه سيفيه رهبته فتح الحصا فيها صليل الفالق ٥

منه

فان لفظة القالق مبتذلة بين العامة جدا وكذلك قوله ٥

ومن الناس من يجوز عليهم ٥
شعراء كانها الخاز باز ٥

وهذا البيت من مضحكات الاشعار وهو من جملة البرسام الذي ذكره في شعره حيث
قال ان بعضا من القريض هذاء ٥
ليس شيئا وبعضه احكام ٥
منه ما تجلب البراعة والفهم ومنه ما يجلب البرسام ٥

ومثل هذه الالفاظ اذا وردت في الكلام وضعت من قدره ولو كان معناه شريفا
وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد لا يخلو منه شعر شاعر لكن منهم المقل
ومنهم المكثر حتى ان العرب العاربة قد استعملت ذلك لكنه في اشعارها اقل
فمن ذلك قول النابغة الذبياني في قصيدته التي اولها امن ال مية رائح او مغتدي
فقال او دمية في مرمر مرفوعة ٥
بنيت باجر يشاد بقرمد ٥

فلفظة الاجر مبتذلة جدا واذا شئت ان تعلم شيئا من سر الفصاحة التي تضمنها القرآن
الكريم فانه لما جيء فيه بذكر الاجر لم يذكره بلفظه ولا بلفظ القرمد ايضا ولا بلفظ
الطوب الذي هو لغة اهل مصر فان هذه الالفاظ مبتذلة لكن ذكر في القرآن على وجه
اخر وهو قوله تعالى وقال فرعون يا ايها الملاء ما علمت لكم من اله غيري فاوقد
لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا فعبر عن الاجر بالوقود على الطين ومن هذا
القسم المبتذل قول الفرزدق في قصيدته التي اولها عزفت باعشاش وما كدت

تعزف فقال واصبح مبيض الضريب كانه ٥
على سروات النبت قطن مندف ٥

فقوله مندف من الالفاظ العامية ومن هذا القسم قول البحتري ٥
وجوه حساد مسودة ام صبغت بعدك بالزاج ٥

فلفظة الزاج من اشد الفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل ابو نواس هذا النوع في شعره
كثيرا كقوله ٥ يا من جفاني وملا ٥
نسيت اهلا وسهلا ٥
ومات مرحب لما رايت مالي قلا ٥
اني اظنك فيما فعلت ٥
تحكي القرنبا ٥

وكقوله دائم الجلد مبترف في الناس زغا وشغراها ٥
ما زلت اجري كلكلي فوقه حتى دعا من تحته قاقا ٥

وكقوله

ولحية يا العذل تحسب انني ٥
بالجهل اترك صحبة الشطار ٥

وقد استعمل لفظ الشاطر والشاطرة والشطار والشطارة كثيرا وهي من الالفاظ التي
ابتذلتها العامة حتى سمت من ابتذالها وهذه الامثلة تمنع الوقف عليها من استعمال
اشباهها وامثالها ومن اوصاف الكلمة الا تكون مشتركة بين معنيين احدهما
يكره ذكره فاذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت واذا كانت مهملة بغير

قرينة

قرينة تميز معناها عن القبيح فاما اذا جاءت ومعها قرينة فانها لا تكون معيبة
كقوله تعالى والذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك
هم المفلحون الا ترى ان لفظ التعزير مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام او على الضرب
الذي هو دون الحد وذلك نوع من الهوان وهما معنيان ضدان فحيث وردت
في هذه الاية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها فخصصت معناها بالحسن
ومنزهة عن القبح ولو وردت مهملة بغير قرينة واريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم
ما اشتملت عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلانا فعزرته لسبق الى
الوهم انه ضربه واهانه ولو قال لقيت فلانا فاكرمته فعزرته لزال ذلك اللبس وعلم
انه قد جاء من الكلام ما معه قرينة اوجبت قبحه ولو لم يجئ معه لما استقبح كقول
الشريف الرضي اعزز علي بان اراك وقد خلا ٥
عن جانبيك مقاعد العواد ٥

وقد ذكر ابن سنان الخفاجي هذا البيت في كتابه فقال ان ايراد هذه اللفظة
فيهذا الموضع صحيح الا انه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر لا سيما وقد اضافه الى
من يحتمل اضافته اليه وهم العواد ولو انفرد لكان الامر فيه سهلا فاما الاضافة الى
من ذكره فيها قبح لا خفاء به وهذا حكاية كلامه وهو مرضي واقع موقعه ولنذكر
نحن ما عندنا في ذلك فنقول قد جاءت هذه اللفظة المعيبة في الشعر وفي القرآن
الكريم فجاءت حسنة مرضية وهي قوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال وكذلك قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا

رشدا الا ترى انها في هاتين الآيتين غير مضافة الى من تقبح اضافته اليه كما جاءت
في الشعر لقول الشاعر بدلا من مقاعد العز او الزيارة او ما جرى مجراه لذهب ذلك
القبح وزالت تلك الهجنة ولهذا جاءت هذه اللفظة في الآيتين على ما تراه من الحسن
وجاءت على ما تراه من القبح في قول الشريف الرضي وعلى هذا ورد قول تابط شرا

اقول للحيان وقد صفرت لهم ٥

وطابي ويومي ضيق الجحر معور ٥

فانه اضاف الجحر الى اليوم فازال عنه هجنة الاشتباه لان الجحر يطلق على كل نقب
كنقب الحية واليربوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد مهملا بغير قرينة تخصصه
سبق الى الوهم ما يقبح ذكره لاشتهاره به دون غيره ومن ههنا ورد قول النبي صلعم المؤمن
لا يلسع من جحر مرتين وحيث قال يلسع زال اللبس لان اللسع لا يكون الا للحية او غيرها
من ذوات السموم واما ما ورد مهملا بغير قرينة فقول ابي تمام ٥

اعطيتني دية القتيل وليس لي ٥

عقل ولا حق عليك قد يم ٥

فقوله ليس لي عقل يظن انه من عقل الشيء اذا علمه ولو قال ليس لي عليك عقل لزال
اللبس فيجب اذن على صاحب هذه الصناعة ان يراعي في كلامه مثل هذا الموضع وهو
من جملة الالفاظ المشتركة التي يحتاج في ايرادها الى قرينة تخصصها ضرورة ومن اوصاف
الكلمة ان تكون مؤلفة من اقل الاوزان تركيبا وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه ومثله
بقول ابي الطيب المتنبي ان الكرام بلا كرام منهم

مثل القلوب بلا سويداواتها ٥

وقد

وقال ان لفظة سويداواتها طويلة فلهذا قبحت وليس الامر كما ذكره فان قبح هذه اللفظة
لم يكن بسبب طولها وانما هو لانها في نفسها قبيحة وقد كانت وهي مفردة حسنة فلما
جمعت قبحت لا بسبب الطول والدليل على ذلك انه قد ورد في القرآن الكريم الفاظ طوال
وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى فسيكفيكهم الله فان هذه اللفظة تسعة احرف وكقوله
تعالى ليستخلفنهم في الارض فان هذه اللفظة عشرة احرف وكلتاهما حسنة رائقة ولو
كان الطول مما يوجب قبحا لقبحت هاتان اللفظتان وليس كذلك الا ترى انه لو اسقط
من لفظة سويداواتها الهاء والالف اللتين هما عوض عن الاضافة لبقيت ثمانية احرف وهي
اطول منها بحرفين ومع هذا فانها حسنة رائقة والاصل في هذا الباب ما اذكره وهو
ان الاصول من الالفاظ لا تحسن الا في الثلاثي وفي بعض الرباعي كقولنا عذب وعسجد
فان هاتين اللفظتين احداهما ثلاثية والاخرى رباعية واما الخماسي من الاصول فانه
قبيح ولا يكاد يوجد منه شيء حسن كقولنا جحمرش وصهصلق وما جرى مجراهما وكان ينبغي على
ما ذكره ابن سنان ان تكون هاتان اللفظتان حسنتين واللفظتان الواردتان في القرآن
قبيحتين لان تلك تسعة احرف وعشرة وهاتين خمسة خمسة ونرى الامر بالضد مما ذكره
وهذا لا يعتبر فيه طول ولا قصر وانما يعتبر نظم تاليف الحروف بعضها مع بعض وقد
تقدم الكلام على ذلك ولهذا لا يوجد في القرآن من الخماسي الاصول شيء الا ما كان من اسم
نبي عرب اسمه ولم يكن في الاصل عربيا نحو ابراهيم واسمعيل وما يدخل في هذا الباب
تجنب الالفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها سواء كانت طويلة او قصيرة
ومثال ذلك قول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي هي من جملة السبع الطوال

فقال ٥ غدائره مستشزرات الى العلى ٥ تضل المدارى في مثنى ومرسل

فلفظة مستشزرات مما يقبح استعمالها لانها تثقل على اللسان ويشق النطق بها
فان لم تكن طويلة لانا لو قلنا مستنكرات او مستنفرات على وزن مستشزرات لما كان
بهاتين اللفظتين من ثقل وكراهة ولربما اعترض بعض الجهال من هذا الموضع و
قال ان كراهة هذه اللفظة انما هو لطولها وليس الامر كذلك فانا لو حذفنا الالف
والتاء وقلنا مستشزر لكان ثقيلا ايضا وسببه ان الشين قبلها تاء وبعدها
زاي فثقل النطق بها والا فلو جعلنا عوضا من الزاي راء ومن الراء فاء فقلنا
مستشرف لزال ذلك الثقل ولقد رأيت بعض الناس وانا اعيب على امرئ القيس
هذه اللفظة المشار اليها فاكثر ذلك لوقوفه مع شبهة التقليد في ان امرأ القيس اشعر
الشعراء فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرئ
القيس من استقباح ما له من القبيح ومثال ذلك كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك
والبعر ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ولا تكون لذاذة ذلك
الطيب حامية للخبيث من الاستكراه فاسكت الرجل عند ذلك وحضر عندي
في بعض الايام رجل من اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصرية وكان لليهود في هذا الرجل
اعتقاد لمكان علمه في دينهم وغيره وكان لعمري كذلك فجرى ذكر اللغات وان اللغة
العربية هي سيدة اللغات وانها اشرفهن مكانا واحسنهن وضعا فقال ذلك الرجل
كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا فنفت القبيح من اللغات قبلها واخذت الحسن
ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف
فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني كوميلا على وزن فوعيلا فجاء واضع اللغة
العربية وحذف منه الثقل المستبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل في

كذا

كذا وكذا وذكر اشياء كثيرة ولقد صدق في الذي ذكره وهو كلام عالم به ومن اوصاف
الكلمة ان تكون مبنية من حركات خفيفة ليخف النطق بها وهذا الوصف يترتب على
ما قبله من تاليف الكلمة ولهذا اذا توالت حركتان خفيفتان في كلمة واحدة استثقلت ومن
اجل ذلك استثقلت الضمة على الواو والكسرة على الياء لان الضمة من جنس الواو والكسرة
من جنس الياء فيكون عند ذلك حركتان ثقيلتان ولنمثل لك مثالا تهتدي به في
هذا الموضع وهو انا نقول اذا اتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة احرف وهي جزع فاذا جعلنا
الجيم مفتوحة فقلنا الجزع او مكسورة فقلنا الجزع كان ذلك احسن من ان لو جعلنا الجيم مضمومة
فقلنا الجزع وكذلك اذا والينا حركتنا الفتح فقلنا الجزع كان ذلك احسن من موالاة حركة
الضم عند قولنا الجزع ومن المعلوم ان هذه اللفظة لم تكن الا خلاف حركاتها مغيرا
لمخارج حروفها حتى ينسب ذلك الى اختلاف تاليف المخارج بل وجدناها تارة يكتسي
حسنا وتارة يسلب ذلك الحسن عنها فعلمنا ان ذلك حادث عن اختلاف تاليف حركاتها
واعلم انه قد توالت حركة الضم في بعض الالفاظ ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقل
كقوله تعالى ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر وكقوله تعالى ان المجرمين في ضلال
وسعر وكقوله وكل شيء فعلوه في الزبر فحركة الضم في هذه الالفاظ متوالية وليس بها
من ثقل ولا كراهة ولذلك ورد قول ابي تمام ٥

نفس يحشرجه نفس ودمع ليس يحتبس ٥

ومغان للكرى دثر عطل من عهده درس ٥

اشهرت ما لست كاتمه ناطقات بالهوى خرس ٥

فانظر كيف جاءت هذه الالفاظ الاربعة مضمومة كلها وهي مع ذلك حسنة لا ثقل

بعا ولا ينبو السمع عنها وهذا لا ينقض ما اشرنا اليه لان الغالب ان يكون توالي الحركات الخمس
مستثقلا فاذا اشتد عن ذلك شيئ يسير لا ينقض الاصل المقيس عليه **والقسم الثاني فيما**
في الالفاظ المركبة قد قدمنا القول في شرح احوال اللفظة المفردة وما يختص بها واما اذا
صارت مركبة فان لتركيبها حكما اخر وذلك انه يحدث عنه من فوايد التاليفات والامتزاجات
ما يخيل للسامع ان هذه الالفاظ ليست تلك التي كانت مفردة ومثال ذلك كمن اخذ
لالي ليست من ذوات القيم العالية فالفها واحسن الوضع في تاليفها فخيل للناظر
بحسن التاليف واتقان صنعته انها ليست تلك التي كانت منثورة مبددة وفي عكس
ذلك من ياخذ لالي من ذوات القيم العالية فيفسد تاليفها فانه يضع من حسنها
وكذلك يجري حكم الالفاظ العالية مع فساد التاليف وهذا موضع شريف ينبغي الالتفات
اليه والعناية به **واعلم** ان صناعة تاليف الالفاظ ينقسم الى ثمانية اقسام انواع
هي السجع ويختص بالكلام المنثور والتصريع ويختص بالكلام المنظوم وهو داخل في باب
السجع لانه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور والتجنيس وهو يعم القسمين
جميعا والترصيع وهو يعم القسمين ايضا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين ايضا و
الموازنة تختص بالكلام المنثور واختلاف صيغ الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا **النوع**
الاول في السجع وحده ان يقال هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنثور على حرف
واحد وقد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعة ولا ارى لذلك وجها
سوى عجزهم ان ياتوا به والا فلو كان مذموما لما ورد في القران الكريم فانه قد اتى
منه بالكثير حتى انه ليأتي بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما
فلم يخل منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين واعد

لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا وكقوله تعالى في سورة طه طه
ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى
الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وكذلك قوله
في سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا
فيها من كل زوج بهيج وكقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا
فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا وامثال ذلك كثيرة وقد ورد على هذا الاسلوب من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم شيء كثير فمن ذلك ما رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا لنستحيي من الله يا رسول الله قال ليس ذلك
الاستحياء من الله ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى
ومن اراد الاخرة ترك زينة الحياة الدنيا ومن ذلك ما رواه عبد الله بن سلام قال
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبله وقيل رسول الله
فجئت في الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه علمت انه ليس بوجه كذاب فكان
اول شيء تكلم به ان قال ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا بالليل
والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم
منكرا عليه وقد كلمه بكلام مسجوع اسجعا كسجع الكهان ولولا ان السجع مكروه
لما انكره النبي صلعم فالجواب عن ذلك انا نقول لو كره النبي صلعم السجع مطلقا لقال اسجعا
ثم سكت وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لما قال اسجعا كسجع الكهان صار المعنى

معلقا على امر اخر وهو انه انكار الفعل لما كان على هذا الوجه فعلم انه ذم من السجع ما
كان مثل سجع الكهان لا غير وانه لم يذم السجع على الاطلاق ومحال انه يذمه مطلقا
وقد ورد في القران الكريم وهو صلى الله عليه وسلم قد نطق به في كثير من كلامه
حتى انه غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها باخواتها من اجل السجع فقال لابن ابنته
عليهما السلام اعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما اراد ملمة لان
الاصل فيها من الم فهو ملم وكذلك قوله صلعم ارجعن مازورات غير ماجورات وانما
اراد موزورات من الوزر فقال مازورات لمكان ماجورات طلبا للتوازن والسجع وهذا مما يدلك
على فضيلة السجع على ان هذا الحديث النبوي الذي يتضمن انكار سجع الكهان عندي
فيه نظر فان الوهم يسبق الى انكاره فيقال فما سجع الكهان الذي يتعلق الانكار به والنهي
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك ان النهي لم يكن عن السجع نفسه وانما
النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع الا ترى انه لما امر رسول الله صلعم في الجنين بغرة
عبد او امة قال الرجل ادي من لا اكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال
رسول الله صلعم اسجعا كسجع الكهان اي تبع سجعا كسجع الكهان وكذلك كانت الكهنة
كلهم فانهم كانوا اذا سئلوا عن امر اجابوا بالكلام مسجوعا كما فعل الكاهن في قصة هند
بنت عتبة فانه قال لما امتحن قبل السؤال عن قصتها ثمرة في كمرة فقيل له اريد
ابين من هذا فقال حبة بر في احليل مهر والحكاية مشهورة فلهذا اختصرناها هاهنا وكذلك
قول سطيح فانه قال عبد المسيح جاء الى سطيح وهو موف على الضريح لرؤيا الموبذان وارتجاس
الايوان واتم الكلام الى اخره مسجوعا والحكاية مشهورة ايضا فلهذا اختصرناها فالسجع اذن
ليس بمنهي عنه وانما النهي عن الحكم المتبوع بقول الكاهن فقال رسول الله اسجعا

كسجع الكهان اي احكما كحكم الكهان والا فالسجع الذي اتى به ذلك الرجل لا باس به
لانه قال ادي من لا شرب ولا اكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل وهذا كلام
حسن من حيث السجع وليس بمنكور لنفسه وانما المنكور هو الحكم الذي تضمنه في امتناع
الكاهن ان يدي الجنين بغرة عبد او امة **واعلم** ان الاصل في السجع هو الاعتدال
في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب في جميع الاشياء والنفس تميل اليه بالطبع
ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على
حرف واحد فقط اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل اديب من الادباء سجاعا
وما من احد منهم ولو شدا شيئا يسيرا من الادب الا ويمكنه ان يؤلف الفاظا مسجوعة
وياتي بها في كلامه بل ينبغي ان تكون الالفاظ المسجوعة حلوة حارة طنانة رنانة لا
غثة ولا باردة واعني بقولي غثة باردة ان صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من
غير نظر الى مفردات الالفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها وما يشترط
له من الحسن فهو في الذي ياتي به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش اثوابا من الكرسف
او ينظم عقدا من الخزف الملون وهذا مقام تزل عنده الاقدام لا يستطيعه الا الواحد
من ارباب هذا الفن بعد الواحد ومن اجل ذلك كان اربابه قليلا فاذا صفا الكلام
المسجوع من الغثاثة والبرد فان وراء ذلك مطلوبا اخر وهو ان تكون اللفظة فيه تابعة
للمعنى لا ان يكون المعنى فيه تابعا للفظ فانه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه
ويكون مثاله كغمد من ذهب على نصل من خشب وكذلك يجري الحكم في
الانواع الباقية اللاتي ذكرتها من التجنيس والترصيع وغيرهما وسابين لك في
هذا مثالا اتبعه فاقول اذا صورت في نفسك معنى من المعاني ثم اردت

في ذلك اللفظ او نقصان منه ولا يكون محتاجا الى الزيادة ولا الى النقصان وانما
تفعل ذلك لان المعنى الذي قصدته تحتاج الى لفظ يدل عليه واذا دلت عليه بذلك
اللفظ لا يكون مسجوعا الا ان تضيف اليه شيئا اخر او تنقص منه فاذا فعلت ذلك
فانه هو الذي يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف واما اذا كان
محمولا على الطبع غير متكلف فانه يجيء في غاية الحسن وهو اعلى درجات الكلام فاذا
تهيا للكاتب ان ياتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فانه يكون قد ملك
رقاب الكلام يستعبد كرايمها ويستولد عقايمها وفي مثل ذلك فليتنافس
دعن مقامه فليتقاعس ولصاحبه اولى بقول ابي الطيب المتنبي

انت الوحيد اذا ركبت طريقة
ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

فان قيل فاذا كان السجع اعلى درجات الكلام كما ذهبت اليه فكان ينبغي
ان ياتي القران كله مسجوعا وليس الامر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع قلت
في الجواب ان اكثر القران مسجوع حتى ان السورة لتاتي جميعها مسجوعة وما منع
ان ياتي القران كله مسجوعا الا انه سلك به مسلك الايجاز والاختصار والسجع
لا يؤتى في كل موضع من الكلام على حد الايجاز والاختصار فترك استعمال السجع
القران لهذا السبب وها هنا وجه اخر وهو اقوى من الاول وذلك انه قد ثبت
ان المسجوع من الكلام افضل من غير المسجوع وانما تضمن القران غير المسجوع لان
ورود غير المسجوع معجزا ابلغ في باب الاعجاز من دون المسجوع ومن اجل ذلك تضمن
القران الضربين جميعا واعلم ان للسجع سرا هو خلاصته المطلوبة فان عري

الكلام

فان عري الكلام المسجوع منه فلا يعتد به اصلا وهذا شيء لم ينبه عليه احد غيري
وسابينه هيهنا واقول فيه قولا هو ابين مما تقدم وامثل فيه مثالا الا ان هذه
امنت الطاعن والعايب وقيل في كلام له ليبلغ الشاهد الغايب والذي اقوله
في ذلك هو ان يكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى
غير المعنى الذي اشتملت عليه اختها فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل
بعينه لان التطويل انما هو الدلالة على المعنى بالفاظ يمكن الدلالة عليها بدونها
واذا وردت سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية في الدلالة عليه
وجل كلام الناس المسجوع جار عليه واذا تاملت كتابة المفلقين ممن تقدم كالصابي
وابن العميد وابن عباد وفلان وفلان فانك ترى اكثر المسجوع منه كذلك والاقل
منه على ما اشرت اليه اولا ولقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية
على غرام الناس بهما واكبابهم عليهما فوجدت الاكثر من السجع فيهما على الاسلوب
الذي انكرته فالكلام المسجوع اذن يحتاج الى اربع شرايط الاول اختيار
مفردات الالفاظ على الوجه الذي اشرت اليه فيما تقدم الثاني اختيار
التركيب على الوجه الذي اشرت اليه فيما تقدم الثالث ان يكون اللفظ في الكلام
المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ الرابع ان يكون كل واحدة من
الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه اختها فهذه
اربع شرايط لا بد منها وساورد هيهنا من كلامي امثلة يحتذى حذوها
فاني لما سلكت هذه الطريق واتيت بكلامي مسجوعا توخيت ان يكون كل سجعة
منه مختصة بمعنى غير المعنى الذي تضمنته اختها ولم اخل بذلك في مكاتباتي

كلها واذا تاملتها علمت صحة ما ذكرته فمن ذلك ما كتبته في صدر كتاب عن بعض
الملوك الاكابر الى دار الخلافة هو الخادم واقف موقف راج هايب لازم لكاده هذا
وقار حاضر عن شخص غايب موجه وجهه الى ذلك الجناب الذي تقسم فيه ارزاق العباد
ويتادب به الزمان تادب ذوي الاستعباد وتستمد الملوك من مجده شرف الجدود
كما تستغني بنسبها اليه عن شرف الاجداد ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة
قصره واحظاها من النظر اليه ببرد العيش الذي عمرها محسوب من عمره وهذا القول
بقوله وكل ماجد فيه حاسد وبتامليه راكع وساجد والديوان العزيز محمود الالا
وهو موطن الرغبات الذي الاغراب اليه كيد الاعراب وما يتنافس في القرب من
ابوابه الكريمة الا ذو الهمم الكريمة وقد ودت الكواكب باسرها ان يكون له منادمة فضلا
من ان ما لي خدمته ومن ذلك ما كتبته من كتاب يتضمن العناية ببعض الناس
وهو الكريم من اوجب لسائله حقا وجعل كواذب اماله صدقا وكان خرق العطايا
منه خلقا ولم يرين ذمه وبين رحمه فرقا وكل ذلك موجود فيكرم مولانا
اجزاه الله من فضله على وتيرة وجعل همه على هام كل نفس قديرة واوطاه من كل مجد
سريرا كما بواه منكل تعليه سريرة ولا زالت يده بالمكارم جديرة ومن الايام مجيرة و
ولفضل ابرها من البحار والسحايب مغيرة ولا برحت تستولد عقايم المعالي وتستجد
انسها حتى يشهد الناس منها في كل يوم عقيقة او وكيرة   ومن صفات
كرمه انه يملك الاموال ما لا تجدها عند السؤال ذخاير فهي تفنى اربهم بالانفاق
وذكرها على مرور الايام باق ومن اربح منه صفقة وقد باع صامتا بناطق هو وما
معترض لحوادث السرقات بما لا تصل اليه يد سارق ومثله من عرف الدنيا

فرغب

فرغب عن اقتنايها وجد في ابتنا المحامد بهدم بنايها وعلم ان ما لها ليس عنده الا
به الا احجارا وان غناه منها الا يزيد الا افتقارا لما لا يعدو تجدمه ولا تستخدمه
وام ترصعه تسبيحا ولا تعظمه ومن ذلك ما كتبته في جواب يتضمن اباق غلام وهو
اول كتاب ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت واما الاشارة الكريمة في
الغلام الابق عن الخدمة فقد نفر المهر عن عليقه ويطير الفراش الى حريقه وغير بعيد
ان يبوء منجعه او يكبو به مطمعه وقد يجد من رجوعه ما ذمه من ذهابه
وعلم ان الغنيمة كل الغنيمة في بابه فما كل شجرة تحلو لذايقها ولا كل دار يرحب
بطارقها ومن ابق عن مولاه مغاضبا وجانب محل احسانه الذي لم يزل
له مجانبا فانه يجد من مفارقة معاهد الاحسان ما يجده من مفارقة معاهد
الاوطان وهل اضل سعيا ممن دفع في صدر العافية وعدا بالعين الاسقام
والقى الثروة من يده ومضى في طلب الاعدام ومع هذا فان الخادم يشكره على ذنب
الاباق الذي قدم على اجترامه وليس ذلك الا لانه صار سببا لافتتاح باب
المكاتبة الذي لم يكن يطمع في افتتاحه ولا اخر الدعنه الا السعي في اعادته الى
الخدمة التي تقلب في اثنائها وهي ابر من امه التي تقلب في احشائها ومن فضلها
انها بلقاه من حلها بوسيلة الشافع ومن كرمها بالوجه الضاحك والفضل الواسع
فانظر ايها المتامل الى هذه الاسجاع جميعها واعطها حق النظر حتى تعلم ان كل واحدة
تختص بمعنى ليس في اختها التي تليها وكذلك فليكن السجع والا فلا وساورد هيهنا
من كلام الصابي ما تراه فمن ذلك تحميد في كتاب الحمد لله الذي لا تدركه الاعين
بالحاظها ولا تحده الالسن بالفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا يهرمه الدهور

بكرورها ثم انتهى الى الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم يزل للكفر اثرا الا
طمسه ومحاه ولا رسما الا ازاله وعفاه ولا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور
وكذلك لا فرق بين محا الاثر وعفا الرسم ومن كلامه ايضا في كتاب وهو وقد علمت
ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام وتعاقب الاعوام تعتل طورا و
تصح اطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث ان اصلها راسخ لا يتزعزع و
بنيانها ثابت لا يتضعضع وهذه الاسجاع كلها متساوية المعاني فان الاعتلال
والالتياث والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء وكذلك ورد
له من جملة كتاب كتبه عن عز الدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصله من الامير
عبد الكريم بن المطيع لله فقال وصلني كتابه مفتتحا من الاعتزاء الى
امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين بما اعراقه الزكية مجوزة لاستمراره واواصره
العلية مسوغة لاستقراره له ولكل نجيب اخذ من نسبه وضارب بسهم في
مضماره اذ كان ذلك جاريا على ان الاصول المعهودة فيه والاسباب العاقدة
له من اجماع المؤمنين كافة فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم في الارض واتساعهم
في طولها والعرض فلا بد من اتفاق اشراف كل قطر وافاضله واعيان كل صقع واماثله
وهذا الكلام كله متماثل المعاني في اسجاعه فان امارة المؤمنين والتقلد لامور
المسلمين سواء في المعنى وكذلك الاعراق والاواصر والتجويز والتسويغ والاشراف
والافاضل والاعيان والاماثل والقطر والصقع كل ذلك سواء وعلى هذا
جاء كلامه في كتاب اخر فقال يسافر رايه وهو دان ويسير تدبيره وهو ثاو لم
يبرح وكلا هذين سواء ايضا وما احسن هذا المعنى لو قال يسافر رايه وهو دان

لم

لم يبرح وتحمى الجراح فيعدوه وسيفه في الغمد لم يجرح فانه لو قال مثل هذا اسلم من هجنة
التكرار وامثال ذلك في كلام الصابي كثير وعلى منواله نسج الصاحب ابن عباد فمن
ذلك ما ذكره في وصف منهزمين فقال طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم
نحورهم وكلا المعنيين سواء وكذلك قوله في هذا الكتاب يصف مجال الحرب فقال
مكان ضنك على الفارس والراجل ضيق على الرامح والنابل ومن كلامه في كتاب
وهو لا يتوجه همته الى اعظم مرغوب الا طاع ودان ولا تمتد عزيمته الى افخم مطلوب
الا كان واستكان وكل هذا الذي ذكره شيء واحد وله من كتاب وهو وصل كتابه
جامعا من الفوائد اشدها للشكر استحقاقا واتمها للحمد استغراقا وتعرفت من
احسان الله فيما وفره من سلامته وهياه من كرامته انفس موهوب ومطلوب
واحمد مرغوب ومخطوب وهذا كله متماثل المعاني متشابه الالفاظ وفيما اوردته
ها هنا مقنع فانعم نظرك ايها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت
يدك عليه حتى تعلم كيف تاتي بالمعاني في الالفاظ المسجوعة والله الموفق للصواب
فان قيل انك اشترطت ان يكون كل واحدة من الفقرتين في الكلام المسجوع دالة
على معنى غير المعنى الذي دلت عليه اختها وانما اشترطت هذه الشريطة فرارا من
ان يكون المعنيان شيئا واحدا ونرى قد ورد في القران المجيد لفظتان بمعنى واحد
في اخر احدى الفقرتين المسجوعتين كقوله جل وعلا واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبي قلت في الجواب ليس
هذا كالذي اشترطته انما من اختصاص كل فقرة بمعنى غير المعنى الذي اختصت
به اختها وانما هذا هو ايراد لفظتين في اخر احدى الفقرتين بمعنى واحد وهذا

لا باس به لمكان السجع الا ترى ان اكثر هذه السورة التي هي سورة مريم عليها السلام
مسجوع على حرف الياء وهذا لا يجوز لصاحب السجع ان ياتي به وهو بخلاف ما ذكرناه الا
ترى ان النبي صلعم قد غير اللفظة عن وضعها طلبا للسجع فقال مازورات غير ماجورات وانما
هو موزورات وقال العين اللامة وانما هو الملمة الا انه ليس في ذلك زيادة معنى بل
يفهم من لفظة مازورات انها قائمة مقام موزورات وكذلك يفهم من لفظة لامة
انها بمعنى الملمة فالسجع قد اجيز معه تغيير وضع اللفظة واجيز معه ان تورد لفظتان
بمعنى واحد في اخر احدى الفقرتين ومع هذا فلم يجز في استعماله ان تورد فقرتان بمعنى واحد
لانه تطويل محض لا فائدة فيه وبين الذي ذكرته انت وبين ما ذكرته انا فرق ظاهر والذي
قدمته من الامثلة المسجوعة للصابي وللصاحب ابن عباد ربما كانت يسيرة اتهم
فيها بالتعصب ويقال اني التقطتها التقاطا من جملة رسائلهم وقد خرجت من عهدة
هذه التهمة وذاك اني وجدت للصابي تقليدا بنقابة الاشراف العلويين ببغداد
وكتبت انا تقليدا بنقابة الاشراف العلويين بالموصل وقد اوردت التقليدين ههنا
ليتامل الناظر في كتابي هذا ويحكم بينهما ان كان عارفا او يسال عنهما العارف فان كان مقلدا
وقد اوردت تقليد الصابي اولا لانه المتقدم زمانا وفضلا وهو هذا ما عهد امير المؤمنين
الى محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي حين وصلته الانساب وتاكدت له الاسباب
فظهرت دلايل عقله ولبابه ووضحت مخايل فضله ونجابته وعقد له بهاء الدولة وضياء
الملة ابو نصر بن عضد الدولة وتاج الملة مولى امير المؤمنين من المحل المكين ووصفه
من الحلم الرزين واشاد به فيه من رفع المنزلة وتقديم المرتبة والتاهيل للاثر الاعلى
والمحل للاعباء الثقال وحيث رغبه فيه سابقة الحسين ابيه في الخدمة والنصيحة والموا

المحمودة

المحمودة والمقامات المشهودة التي طابت بها اخباره وحسنت فيها اثاره وكان محمد
مختلفا بخلايقه وذاهبا في طرايقه علما وديانة وورعا وصيانة وعفة وامانة وتشهما
وصرامة بالحظ الجزيل من الفضل الجميل والادب الجزل والتوجه في الاهل والايفاء
بالمناقب على لداته واترابه والابرار على قرانه واضرابه فقلده ما كان داخلا في اعمال
ابيه من نقابة نقباء الطالبيين اجمعين بمدينة السلام وساير الاعمال والامصار شرقا
وغربا وبعدا وقربا واختصه بذلك حذيا بضبعه وانافة بقدره وقضاء لحق
رحمه وترفيها لابيه واسعافا له بايثاره فيه الى امير المؤمنين واستخلافه عليه من
من التطرق للمظالم وتيسير الحجيج في المراسم والله يعقب امير المؤمنين فيما امر ودبر ويحسن
له العاقبة فيما قضى وامضى وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب
امره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسنا الصالحين وعصمة عباد الله اجمعين وان
يعتقدها سرا وجهرا ويعتمدها قولا وفعلا وياخذ بها ويعطي ويذر بها ويتوخى
وياتي ويذر ويورد ويصدر فانها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع
يوم الحساب والمسلك المفضي الى دار الثواب وقد حض الله اولياءه عليها وهداهم في
محكم كتابه اليها فقال عز من قائل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وامره بتلاوة كتاب الله مواظبا وتصفحه مداوما وملازما والرجوع الى احكامه فيما احل
وحرم ونقض وابرم واثاب وعاقب وباعد وقارب فقد صحح الله برهانه وحجته
واوضح منهاجه ومحجته وجعله نجما في الظلمات طالعا ونورا في المشكلات ساطعا فما
اخذ به نجى وسلم ومن عدل عنه هوى وندم وقال الله تعالى وانه لكتاب عزيز
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وامره بتنزيه نفسه

عما تدعو اليه الشهوات وتطلع عليه النفس ان يضبطها ضبط الحليم ويكفها كف الحليم
ويجعل عقله سلطانا عليها وتمييزه امرا ناهيا لها عن ادنى الصبوة ولا هفوة ولا يطلق
منها عنانا عند ثورة ولا هزة فانها امارة بالسوء منصبة الى الغي من رخصها تجني
ومن اتبعها هوى في المآثم سيما عند تحرك وطره واربه واهتياج غيظه ولا يبيع ان
نقضها بالتسكين ويعركها عرك الاديم ويقودها الى مصالحها بالخزائم ويعقمها من معاقرة
المآثم والمحارم كما يقرب ليلها وتادمها ويحل برياضتها وتقويمها والمرتطي في مرتطم
اذا طمحت وجمحها اذا جمحت ولا تلبث ان توردة حيث لا يصدر وتلجيه الى انه يعتد
وتقيمه مقام النادم الواجم وتنكب به سبيل الرشد السالم واحق من تحلى بالمحاسن
وتصدى لاكتساب المحامد من ضرب بمثل سهمه في نسب امير المومنين الشريف منصبه
المنيف واجتمع معه في ذوائب العترة الطاهرة واستظل باوراق الدوحة الفاخرة فذلك
الذي تتضاعف لديه المآثر وما ان اثرها والمثالب ان اسف اليها ولا سيما من كان يتصدى
لسياسة ومرشحا للتقليد على اهله انه ليس يفي الصلاح لمن ولي عليه من لا يفي
باصلاح ما بين جنبيه ومن اعظم المحجة عليه ان يامر ولا ياتمر ويزجر ولا يزدجر
قال الله تعالى ذكره اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون وامره ان يتصفح احوال من ولي عليهم من استقر بمذاهبهم والبحث
عن بواطنهم ودخائلهم وان يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم
منزلته ويوفيه حقه ورتبته وينتهي في اكرام جماعتهم الى الحدود التي توجبها انسابهم
واقدارهم وتقتضيها مواقعهم واخطارهم فان ذلك يلزمه للنسبين احدهما يخصه
وهو النسب الذي بينه وبينهم والاخر يعمه والمسلمين جميعا وهو قول الله عز وجل

قل

قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى والمودة لهم الاعظام لاكابرهم والاستمال لاصاغرهم
واجب متضاعف الوجوب عليه لمثل ما ذكرناه ومن كان منهم في دون تلك الطبقة
من احداث لم يحنكوا او حدثان لم يتخرجوا ويجرين الى ما يزري بانسابهم وينقص من احسابهم
عذلهم ووقفهم ونهاهم ووعظهم فان ترعوا واقلعوا فذلك المراد بهم والقصد فيهم وان
اصروا وتمادوا نالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فان نفع والا تجاوز الى ما يبلغ
ويوجع من غير تطريق لاعراضهم ولا امتهان لاحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الاهانة
والادالة لا الاذالة واذا وجبت عليهم الحقوق وتعلقت بهم دعاوى الخصوم فادهم الى الانصاف
مما يقع ويجب الخروج الى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس ومتى لزمتهم الحدود اقامها عليهم
بحسب ما امر الله بها بعد ان تثبت الجرائم وتصح وتتبين وتتضح وتتجرد من الشك وتتجلى
من الظن والتهمة فان الذي يستحب في حدود الله عز وجل ان تدرأ عن عباده نقصانا مع
اليقين والصحة وان تمضي عليهم مع اقامة الدليل والبينة قال الله تعالى ومن يتعد
حدود الله فاولئك هم الظالمون وامره بمحاطة هذا النسب الاطهر والشرف الافخر عن
ان يتعيه الادعياء او يدخل فيه الدخلاء ومن انتمى اليه كاذبا وانتحله باطلا ولم يوجد
له ثبت في الشجرة ولا مصداق عند النسابين الخبرة اوقع به كذبه وقصره وشهره
بما يكشف عنه غبته ولبسه ويتزع بها غيره ممن تسول له مثل ذلك نفسه وان يحصن
الفروج عن مناكحة من ليس كفوا لها فيشرفها وفخرها حتى لا يطمع في المراة الحسيبة
النسيبة الا من كان مثلا لها مساويا ونظيرا موازيا فقد قال الله تعالى انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وامره بمراعاة متبتلي هذه
ومتهجديهم وصلحائهم ومجاوريهم واراملهم وايتامهم ويتعادل اقساطهم

فيما يتصل اليهم من وجوه اموالهم وان يزوج الايامى ويربي اليتامى ويلزمهم المكاتب
فيتلقنوا القران ويعرفوا فضائل الاسلام والايمان ويتادبوا بالاداب اللايقة بذي
الاحساب فان شرف الاعراق يحتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرف حسبه وسخف
ادبه انه كان لم يكتسب الفخر الحاصل بفضل سعي ولا طلب ولا اجتهاد بل بصنع الله
له ومن به فالمنة عليه ويجب لذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه
العطية والاعتداد بما فيها من المزية واعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب والترفع
عن الرذائل والمثالب وامره باحمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما امره امير
المومنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم والاخذ للمظلوم من الظالم وان يجلس
للمتراضين اليه جلوسا عاما ويتامل كلامهم تاملا تاما فما كان منها متعلقا بالحاكم
رده اليه ليحمل الخصوم عليه وما كان من طريقة الغشم والظلم والتغلب والغصب قبض
عنه اليد المبطلة وبسط فيه اليد المستحقة ويتحرى في قضاياه ان تكون موافقة
للعدل ومجانبة للجور فان عادل الحكام وصاحب المظالم واحدة وهي اقامة الحق
ونصرته واباسه وانما تختلف سبيلاهما في النظر اذا كان الحاكم يعمل بما ثبت
عنده وظهر وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر وليس له مع ذلك ان يرد الحكم
حكومة ولا يحل له قضية ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه
والله يهديه ويبصره ويسدده ويرشده وامره ان يسير حجيج بيت الله عز وجل
الى مقصدهم ويحميهم في بدايتهم وعودتهم ويرتبهم في مسيرهم ومسالكهم ويرعاهم
في ليلهم ونهارهم حتى لا ينالهم شدة ولا تصل اليهم معرة وان يحلهم في المنازل
ويوردهم في المناهل ويناوب بينهم في النهل والعلل ويكفيهم من الارتواء والاكتفاء

محمدا

محمدا في الصيانة لهم ومعذرا في الذب عنهم ومتلوما عن متاخرهم ومتخلفهم
ومنهضا لضعيفهم ومعينا لمهيضهم فانهم حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر رسوله
عليه الصلوة والسلام قد هجروا الاهل والاوطان وفارقوا الجيرة والاخوان
وتجشموا المغارم الثقال وتعسفوا السهول والجبال يلبون دعا الله ويطيعون
امره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على المسلم ان يحرسهم متبرعا ويحوطهم
متطوعا فكيف من تولى ذلك وضمنه وتقلده ولقنه قال الله تعالى ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وامره ان يراعي امور المساجد
بمدينة السلام واطرافها واقطارها واكنافها وان يجري موال وقوفها ويستقصي
جميع حقوقها وان يلم شعثها ويستحللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله
لا يزيل رسما جرى فيها ولا ينقض عادة كانت لها وان يكتب اسم امير المومنين
على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده فان عمارتها جرت على يديه وصلاحها اداه اول
امير المومنين فيه ذلك تنويها باسمه واشارة لذكره وان يولي ذلك من قبله من
حسنت امانته وطهرت عفته وصيانته فقد قال الله عز وجل وعز من قائل
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش
الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وامره ان يستخلف على ما يجري
استخلافه عليه من هذه الاعمال في الامصار الدانية والنائية والبلاد القريبة
والبعيدة من يثق به من صلحاء الرجال ذوي الوفاء والاستقلال وان يعهد اليهم
مثل الذي عهد اليه ويعهد اليهم مثل الذي عهد اليه ويعهد عليهم مثل ما عهد
عليه ويتقصى في ذلك اثارهم ويتعرف اخبارهم فمن وجده مذموما صرفه ولم يمهله

واعتام منه من ترجى الامامة عنده ويكون الثقة معهودة منه وان يختار الكتابة
ويجتنب التصرف فيما قرب منه ويبعد عنه من يريبه ولا يشينه ويصح له
ولا يغشه ويجله ولا يهجنه من الطبقة المعروفة بالظلف المتصونة عن النطف
ويجعل لهم من الارزاق الكافية والاجرة الواعية ما يصدهم عن المكاسب الدنية
والماكل الوخيمة فليس يجب عليهم الحجة الا ... مع اعطاء الحاجة قال الله تعالى وان
ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى وامره
ان يكتب لمن تقوم بينة عنده وتنكشف له حجته الى اصحاب ... ون بالشد
على يده وايصال حقه اليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد الظالمة عنه
اذ هم منه ودون للتصرف بين امره ونهيه والوقوف عند رسمه وحده هذا
عهد امير المؤمنين اليك وحجته لك وعليك قد بان منه سبيلك واوضح
دليلك وهداك لرشدك وجعلك على بينة من امرك فاعمل به ولا تتخ الفروانته
اليه ولا تتجاوزه وان عرض لك عارض يعوقك الوفاء به ويشتبه عليك الخروج منه
انهيته الى امير المؤمنين مبادرا وكنت لما امرك به صابرا ان شاء الله تعالى

وانما التقليد الذي نشاته انا فقد

اوردته بعد هذا التقليد الذي نشاته انا فقد اوردته بعد هذا التقليد
وهو اما بعد فان كل كلام لا يبدا فيه بحمد الله فهو اجزم وكل كتاب
لا يرقم باسمه فليس بمعلم وعلى هذا فان حمده ينزل من الكلام منزلة الاعضاء
من الاجسام واسمه ينزل من الكتاب منزلة الطهر من الثياب وقد جمعنا في كتابنا
هذا بين التسمية والتحميد وجعلنا احدهما سببا للمزيد ثم ردفناهما بالصلاة

وعشنا

على سيدنا محمد الذي ايده بالقران المجيد وجعل شهادته قبل كل شهيد وعلى اله
وصحبه الذين هدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ومما يقترن بهذه
الصلاة في ثوابها ويجري في اعقابها النظر في امر الاسر النبوية التي وصل وداها
بودها وجعلها احد الثقلين المخلفين من بعده وقد تقدم الان زمانها وتشعبت اغصانها
ودنى ما لها في الرقاب من عهدة الامانة ولو لم يوضع فيها وضعها الله ورسوله من
المكانة واولى الناس بها من اضمر ولاها حقا واحب ان يرد معها الحوض حين تقبل
لواردة سحقا وكان بين تحت يده منها بارا رفيقا ونحن نرجو ان نفوز بفضيلة
هذه الحسنة وان سبق اليها سبق المتقرب في الجمعة ببدنة ومن اهم امورها
ان يختار لها زعيم يرأف بها رأفة الوالد بولده ويقوم بها قيام الراس بجسده
حتى يالف اصولها كلها في مغرسها ولا يحكم عليها من ليس من انفسها وقد اخترنا
لها من وقفنا في اختياره واخذنا فيه ببيان الراي وحزمه لا بشبهة الهوى
واغتراره ولو لم يكن من القوم الذين ولوها لكان استحقاقه لها بينا و
التعويل عليه متعينا فكيف وقدمه فيها قديم البلاد وارثه اباها
عن سعادة الجد ودو وسودد الاجداد وهو انت ايها السيد الاجل الشريف
الحسيب النسيب فلان الدين فلان بن فلان الحسيني ولو شئنا لاسندنا
هذا النسب كابرا عن كابر وقصدنا هاهنا اعدا اول عن اول قبل اخر
وصلنا هذا الفرع بشجرته الطيبة وهذا القطر بسحابته الصيبة واشرف الانساب
اصدقه ما كان الدهر به شهيدا واجده ما كان قديما واخلقه ما كان جديدا
وما قول الروح الامين مدحه فراكرم ما قول الشعراء مدحه قصيدا ولا فضل

للمعتزي الى هذا النسب حتى يلحق النبوة وحينئذ يقال ما اقرب الشبه على قدم
عهده وهذا ماء الورد بعد ذهاب ورده وانت ذلك الرجل الذي تردد الشرف
في مناسبه تردد القمر في منازله وزهي المجد بمناقبه زهو الروض في خمايله الا وحسك
يغنيك عن قول من وما وبلا مويك وحدك قلبا وغما والحسب ما حفظت واخره
اوايله واصبحت الايام والليالي لا واقرت به الاعداء فارتهنت فضايله وهذه
هي الماثر التي اذا نظمت غارت الشعرى من الشعر واذا نثرت وجدت في محكم الذكر
وانت صاحبها وابن صاحبها ومن لم يتقاعس باعدها اما عن قاربها او لو جاءت
ربا سيها مصافحا ومشيب بها الصرا متواضعا لدل عليك وضعها وعرف منك
عرفها وقد قلدناك امر هذه الاسرة الطاهرة التي هي اثرتك وامرناك عليها وامرنها
امرتك فتولها تولي من خفض لها جناحه وافاض عليها سماحه وانضى فيها عدده ورواحه
حتى يقال انك الراعي الذي نبا ولا ثلته فاراح حسرها وجبر كسيرها وارتاد لها خصبا
وادر بها رفها الاغنا وازكى فيكلاتها عينا وقلبا ومن حقها عليك ان تنظر الى ذات
شمالها وذات يمينها وتستصلح احوالها في دنياها ودينها فاول ذلك ان تعلمها كتاب الله
الذي في تعلمها نهج الصواب وفي تلاوته مضاعفة حسنات الثواب وقد مثل قارئه
بالبيت العامر وتاركه بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بحوز التنزيل وتولى الله
حفظه من التغيير والتبديل فافتتح بالسبع المثاني التي لم ينزل مثلها في التوراة ولا في
الانجيل وهو الموصوف بانه النور المستضاء به في غيابة الظلماء والحبل الممدود من
الارض الى السماء والبحر الذي لا يستخرج لؤلؤه ومرجانه الا الراسخون من العلماء وكذلك
فخذ تعليم هذه الاسرة بتعليم الفضايل التي تتفاوت بها القيم وسيما رياضة الاداب

وتهذيب الشيم ولا تتركها فوضى لا يسلم احدها بنعمة القدر المنيف ولا يرجع الى حسب
تليد ولا الى سعي طريف ويكون غاية ما عنده من الفضيلة ان يقال فلان الشريف
وسى حفظ رسول الله فيها ان يوفي فضل مكانها ويخالف بين شانها وشان غيرها من
المسلمين وبين شانها عند مجالس الولاة في اسراع ظلامه ولا في اقامة حد
يسلب معه رداء الكرامة وانت تتولى ذلك منها فما وجب عليها من حق
تحدها باقضائه وامض فيها حكم الله الذي امر بامضائه وليكن ذلك على وجه
الرفق الذي يسلس القياد ويتوطأ له المهاد وان امكنك ان تدرأ شيئا من هذه الظلامات
التي توجه اليها فافعل وقد اتم الله فضلها بمنع كرائمها الا من كف لا دراه في عنصر
ولا اغتصاضه في مجره وهو الذي ان فاته شرف النبوة في مغرسه لم يفته شرف
النباهة في معشره واذا ابتذلت لا فذالك فرق بين المناكح المحظورة وبين الاسلاف
المسلوقة فاحفظ لاسرتك هذه المنزلة واجعلها في كتاب الوصايا التي وصيت بها
مكان البسملة وكما امرناك بالنظر في صون اقدارها فكذلك نامرك في سيادة درهمها
ودينارها وقد علمت ان لها اوقافا وفيها قوم قطوا باجرها واسمها وستخط ان انت
بالعدل فيقسمها فاجر على كل منها رزقه واعط كل ذي حق حقه وفي الناس طايفة
ادعياء يرمون الحاق الراس بالذنب والنبع بالغرب ويلحقون بالغربان وابنا
لغراب كل ذلك رغبة فيسحت يا كلونه لا في نسب يوصلونه فنقب عن حال
هؤلاء تنقيبا واجعل النسب نسيبا والغريب غريبا حتى يخلص السلالة من
طرائقها وتبقى الشجرة قائمة على اعراقها ومن علمت كذبه فاجره بالم الازدهار
واعلمه بانه قد تبوا مقعده من النار واشهره في الناس حتى يتمنى ويتعوذ عن بدك

الاستبشار وههنا وصية هي اعم من هذه الوصية امرا واعظم اجرا واجدر
بان تكون هي الاولى وتكون هذه الاخرى وهي الاخذ على السنة السفهاء من الخوض
فيما شجر بينهم من النبي صلعم واصحابه واظهار العصبية التي تخرج الحق عن نصابه
وترجعه على اعقابه وليس مستندها الا امعا لا دوي الجهل وربما انتهى بهم
والفتنة اشد من القتل هو كل هولاء عرفا قاطعا وبغضا قاطعا ولكن هذا لك شاغا
لما كان اقدم شارعا فاولئك السادات هم النجوم الذين بايهم كان الاقتدا كان
الاهتدا وقصارى المجتهد في هذا الزمان ان يعتلق منهم سببا وياخذ عنهم دينا ولا
ولا يبلغ مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق مثل احد ذهبا ونحن نعلم انك ولله
على سنن اقتصادك وان هذه الوصية هي محض اعتقادك والمنصف في هذا المقا
من يقدم بنظرها ووفى ابا بكر وعمر حقهما وان كان من يفضل عليا فكل قد ذكره رسول
الله صلعم بفضله فهولاء من صحابته وهذا من اهله ونعوذ بالله من الاهواء الرافعة
والاقوال التي ليست سائغة ولاتجرا الا بالحق وهو الحجة البالغة وقد جعلنا لك
فيما اعطاء دارا تنفق به على لوازم النفقات وتخرج ما فضل في وجوه عرضك
التي هي محبوبة من الصدقات فاتت من عادتهم ما يفتقر الى تحمل اثقالهم والا فاسير
من حالهم على احوالهم وهذا بر يكون منا اصله ومنك فرعه وثواب يكون لك قصد
ولنا شرعه وصاحب الاحسان ومن سن سبيل الاحسان ولم يرض ان نرباك مكانا
حتى مددناك فيه بالامكان فاعط من مالنا وتعلم من سنة اقتصادنا ولك
ولسائر ذلك ثوب جمال كلما لبس ازداد جدة وغرر ذكر كلما مضت عليه مدد الايام
طال مدة ولا ملك في الدنيا لمن لم يجعل ملكه ثناء حسنا وتشتري المحامد بما له

فجعله

فجعله له بما ومن عرف قدر الثناء جد في تحصيله ولو انفق الكثير فقليله فكم من
دولة اعدمت منه فدرست اثارها معالمها ولو كانت منه مثريه لما ذهب
مع بقاء مكارمها واذ ذكرنا هذا لحكمة بما يكون قلادة لصاحب هذا التقليد
وهو ان يجرد العناية وجاهته حتى يلبس بعدما بذلك التجريد ويحوي ذلك
ان يعلم الناس ما له في الدولة من منزلة الكرامة ويعرفوا انه فيها ارجح الاعز محتاج
الى وضع العامة ونحن نامر فو آبنا ولاتنا واصحابنا ان يوفوحق ابوته الشريفة
وفضيلته التي ردها فاضحت وهي لها ربقة وان يعطوه ما شاء من اعلاء
شانه وعضوا افضل يد وقول لسانه ان شاء الله تعالى وقد وجدت للصابي
ايضا تقليدا انشاه لفخر الدولة ابي الحسن بن ركن الدولة ابي علي بن بابويه عن
الخليفة الطائع لله رحمه الله وهو مثبت على صورته وكان عرض على تقليد كتب
للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب من الخليفة المستضيء بالله رحمه الله
في سنة احدى وسبعين وخمسماية فوجدت فيه كلاما نازلا بالمرة وسالني
بعض الاخوان بمدينة دمشق ان اعارضه فعارضته بتقليد فجمعناه وهو
مثبت ايضا هاهنا وكلا التقليدين باسم ملك كبير وفيهما نظهر ما يظهر من فصاحة
وبلاغة فاما التقليد الذي انشاه الصابي فهو هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم
الطائع لله امير المومنين الى فخر الدولة ابي الحسن بن ركن الدولة ابي علي مولى امير المومنين
حين عرف غناءه وبلاءه واستنصح دينه ويقينه ورعى قديمه وحديثه و
استنجب عوده ونجاره وانتمى عز الدولة ابو منصور بن معز الدولة ابي الحسين مولى
امير المومنين اقتداء به فيكل مذهب ذهب فيه من الخدمة وغرض رمى اليه

من النصيحة دخولا في زمرة الاولياء المنصورة وخروجا عن جماعة الاعداء المدحورة
وتصرفا على موجبات البيعة التي هي لعز الدولة ابي منصور منوطة وعلى سائر ما يتلوه
وببيعة ماخوذة مشروطة ولاه الصلاة واعمال الحرب والمعاون والاحداث والخراج
والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض
والعطايا والنفقة في الاولياء واسواق الرقيق والعيار في دور الضرب والطرز
والحسبة بكورة همدان واستراباذ والدينور وقرماسين والايغارين وعال الاذربيجان
ولوان والسحابين وموقان وانقامسه باستقبال استدامتها والاستمرار به بالتمكن منها
والتحسن لغطها وجودها والتكب لامحاشيها وتنفيرها والتعمد لما مكن له الحطوة والزلفى
وحرمن عليه الاثرة والقرب بما يظهره ويضمره من الوفاء لصحيح الولاء الصحيح والغيب الامن
والصدر السليم والقاطعة لكل من قطع العصمة وفارق الجماعة والموصلة لكل من
حمى البيضة واخلص النية والكون تحت ظل امير المومنين وذمته ومع عز الدولة
الى منصور وفي حوزته والله جل اسمه يعرف لامير المومنين حسن القضية فيما ابرم
ونقض وسداد الراي فيما رفع وخفض ويجعل عزايمه مقرونة بالسلامة محروسة
عن موارد الندامة وحسب امير المومنين ونعم الوكيل امره بتقوى الله التي هي العصمة
المتينة والجنة الحصينة والطود الارفع والمعاذ الامنع والجانب الاعز والملجأ
الاحرز وان يستشعرها سرا وجهرا ويستعملها قولا وفعلا ويتخذها ذخرا نافعا
لنوائب القدر وكهفا حاميا من حوادث الغير فانها اوصل الوسائل واقرب الذرائع
واعودها على العبد بمصالحه وادعاها الى كل مناجحه واولاها بالاستمرار على
هدايته والنجاة من غوايته والسلامة في دنياه حين توبق موبقاتها وتردي مرديات

وفي اخرته حين تروع رايعاتها وتخيف مخيفاتها وان يتادب باداب الله
في التواضع والاخبات والسكينة والوقار وصدق اللهجة اذا نطق وغض الطرف
اذا رمق وكظم الغيظ اذا احفظ وضبط اللسان اذا اغضب وكف اليد عن
المآثم وصون النفس عن المحارم وان يذكر الموت الذي هو نازل به والموقف
الذي هو صائر اليه ويعلم انه مسول عما اكتسب مجزي عما ارتكب ويحتقب
ويتزود من هذا الممر لذاك المقر ويستكثر من اعمال الخير لينفعه ومن مساعي
البر ليسعده وياتمر للصالحات قبل ان يامر بها ويزدجر عن السيئات قبل ان
يزجر عنها ويبتدي باصلاح نفسه قبل اصلاح رعيته فلا يعظهم على ما ياتي
ضده ولا ينهاهم عما يقترف مثله ويجعل ربه رقيبا عليه في خلواته ومرايه
مانعا له من شهواته فان احق من قمع سلطان الشهوة واولى من اضرع
حد الحمية من ملك ازمة الامور واقتدر على سياسة الجمهور وكان
مطاعا فيما يرى متبعا فيما يشاء يلي على الناس ولا يلون عليه ويقتص منهم
ولا يقتصون منه فاذا اطلع الله تعالى منه على نقاء جيبه وطهارة ذيله
وصحة سريرته واستقامة سيرته اعانه على حفظ ما استحفظ وانهضه بثقل
ما حمل وجعل له مخلصا من الشبهة ومخرجا من الحيرة فقد قال الله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال عز من قائل يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقال
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى اي كثيرة حضنا بها على اكرم الخلق وا
الطرق فالسعيد من نصبها اذا ناظره والشقي من نبذها وراء ظهره واستهى

منها من يعتب عليها وهو صارف عنها واهاب عليها وهو بعيد منها وله ولا
يقول الله تعم ذكره اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
افلا تعقلون وامره ان يتخذ كتاب الله اماما متبعا وطريقا مهيعا ويكثر من تلا
وته اذا خلا بفكره ويملاء بتاملها اذا ما صدره فيذهب معه فيما اباح وحظر
ويقتدي به اذا نهى وامر ويستبين ببيانه اذا استغلقت دونه العضلات
ويستضيء بمصابيحه اذا اظلم عليه في المشكلات فانه عروة الاسلام الوثقى ومحجته
الوسطى ودليله المقنع وبرهانه المرشد الكاشف لظلم الخطوب والشافي من مرض
القلوب والهادي لمن ضل والمنار لمن زل فمن نجا به فقد فاز وسلم ومن لها عنه
فقد خاب وندم قال الله تعم وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد وامره ان يحافظ على الصلوات ويدخل في حقائق
الاوقات قائما على حدودها متبعا الرسوم جامعا فيها بين نيته ولفظه متوقيا
لطائح سهوه ولحظه منقطعا اليها عن كل قاطع لها متشاغلا عنها بها عن كل
شاغل متمثلا في ركوعها وسجودها مستوفيا عددها مفروضها ومسنونها قائما
عليها ذهنه صارفا اليها همه عالما بانه واقف بين يدي خالق الصدور ومحييه
ومميته ومعاقبه ومثيبه عالما بانه واقف لا يستتر دونه خائنة الاعين وما
تخفي الصدور فاذا قضاها على هذه السبيل منذ تكبيرة التحريم والختام الى التسليم
استعاد بدعاء يرتفع بارتفاعها ويستمع باستماعها لا يتعدى فيه مسائل
الابرار ورغبات الاخيار من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام
واستدعاء بمصالح الدين والدنيا وعوائد الاخرة والاولى فقد قال الله

ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وامره بالسعي في ايام الجمعة الى المساجد الجامعة
وفي الاعياد الى المصليات الضاحية بعد التقدم في فرشها وكسوتها وجميع
للمؤذنين والقوام والمكبرين واستدعاء الناس اليها وحضهم عليها اخذين
للاهبة منظفين في البزة مؤدين لفريضة الطهارة بالغين في ذلك اقصى
الاستطاعة معتقدين خيفة الله وخشيته مدرعين تقواه ومراقبته ما
مكثرين من دعائه وسؤاله مصلين على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى
اله بقلوب على اليقين موقوفة وهمم على الدين مصروفة والسن بالتسبيح
والتقديس فصيحة وامال في المغفرة والرحمة فسيحة فان هذه المصليات
والمتعبدات بيوت الله التي فضلها ومناسكه التي شرفها وفيها يتلى القران
ومنها ترتفع الاعمال وبها يعوذ العائذون ويلوذ اللائذون ويتعبد
المتعبدون ويتهجد المتهجدون وحقيق على المسلمين اجمعين من وال ومولى
عليه ان يعمروها ويعمروها ويواصلوها ولا يهجروها وان يقيم الدعوة
على منابرها لامير المؤمنين ثم لنفسه على الرسم الجاري فيها قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا
البيع وقال عز من قائل في عمارة المساجد انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
واقام الصلاة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين ٥ وامره ان يرعى احوال من يليه من طبقات خدام امير المؤمنين
ومواليه ويطلق لهم الارزاق في اوقات الوجوب والاستحقاق وان يحسن
في معاملتهم ويجمل في استخدامهم ويتصرف في سياستهم بين رفق من غير

سعف وخشونة من غير عنف مثيبا المحسنهم ما زاد بالانابة في حسن الاثر ويسلم
معها من دعاوي الاشر ومتغمدا لمسيئهم ما كان التغمد ناجعا وفيه راجعا فان تكرر
ولا انه تتابعت عثراته تناوله من عقوبته بما يكون له مصلحا ولغيره واعظا
وان يختص اكابرهم واماثلهم واهل الراي والخطر منهم بالمشاورة في الملم والامر الطارئ
على بعض المتم مستخلصا بجامل صدورهم بالبسط والادناء ومستخذا
بصائرهم بالاكرام والاحتفاء فان في مشاورة هذه الطبقة استدلالا
على مواقع الصواب وتحرزا من غلط الاستبداد واخذا بمجامع الحزم وامنا
من مفارقة الاستقامة وقد حض الله عز وجل على الشورى فقوله لرسوله
وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وامره
بان يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباطات المرابطين وتقسيم
لها قسما وافرا من عنايته ويصرف اليها طرفا بل شطرا من رعايته ويختار
لها اهل الجلد والشدة وذوي الباس والنجدة ممن عجمته الخطوب وحنكته
الحروب والكسب دربة بحجج المتنازلين وتجربة لمكايد المقارعين وان يستظهر
بكثف عددهم وانتخاب خيلهم واستجادة اسلحتهم غير مجمر بعثا اذا بعثه
ولا مستكرهه اذا وجهه بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تعنتهم
وترفههم ولا تؤدهم فان في ذلك من فائدة الاجمام والعدل في الاستخدام
وتنافس رجال النوب فيما عاد عليهم بعز الظفر والنصر وبعد الصيت واحراز
النفع والاجر ما يحق ان يكون الولاة به عاملين وللناس عليه حاملين وان
يكرر على اسماعهم ويثبت في قلوبهم مواعيد الله لمن صبر ورابط وسامح بالنفس

وجاهد من حيث لا يقدمون على تورط غرة ولا يحجمون عن انتهاز فرصة
ولا ينكصون عن تورد معركة ولا يلقون بايديهم الى التهلكة فقد اخذ الله
ذلك على خيرته والمحامين عن دينه وان يزيح العلة فيما يحتاج اليه من راتب
نفقات هذه الثغور وحاداتها وبناء حصونها ومعاقلها واستطراق طرقها
ومسالكها وافاضة الاقوات والعلوفة للمترددين بها والحامين لها
وان يبذل الامان لطالبه ويعرضه على من لم يطلبه ويفي بالعهد اذا عاهد
وبالعقد اذا عاقد غير مخفر ذمة ولا جارح امانة فقد امر الله تعم بالوفاء فقال
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ونهى عن النكث فقال تعم ومن نكث
فانما ينكث على نفسه وامره ان يعرض من في جيوش عمله على جرائدهم وانعام
النظر في حناياتهم وجرائمهم فمن كان اقراره واجبا اقره ومن كان اطلاقه
شائعا اطلقه وان ينظر في الشرطة والاحداث نظر عدل وانصاف ويختار
لها من يخاف الله ويتقيه ولا يحابي ولا يراقب فيه ويتقدم اليهم بقمع
الجهال وردع الضلال وتتبع الاشرار وطلب الدعار مستدلين على اماكنهم
متوغلين الى مكامنهم متولجين عليهم في مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم
منفذين احكام الله تعم فيهم بحسب الذي تبين من امورهم ويصح من
فعلهم في كبيرة ان ارتكبوها وعظيمة ان احتقبوها ومحجة ان افاضوها او
واستهلوها وحرمة ان استباحوها وانتهكوها فمن استحق حدا من حدود
الله تعم المعلومة اقاموه عليه غير مخففين منه واحلوه به غير مقصرين
عنه بعد ان لا يكون عليهم في الذي ياتونه حجة ولا يعترضهم في وجوبه

شبهة فان المستحب في الحدود ان تقام بالبينات وان يدرء بالشبهات واولى
ما توخاه رعاة الرعايا فيها الا يقدموا عليها مع نقصان اليقين ولا يتوقفوا
عنها مع قيام الدليل ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بما يحتاط به على
مثله من الحبس الحصين والتوثق الشديد وكتب الى امير المؤمنين بخبره وشرح
حاله وجنايته وثبوتها باقرار يكون منه او شهادة تقوم عليه وانتظر من
جوابه ما يكون عمله بحسبه فان امير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم ولا معاهد
الا ما احاط به علما واتقنه فهما وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالجها
شك وثقة لا يشوبها ريب ومن الم بصغيرة من الصغار ويسيره من الجرائر
من حيث لم يعرف له مثلها ولم يتقدم منه اختها وعظه وزجره ونهاه و
حذره واستتابه واقاله ما لم يكن عليه في ذلك خصم يطالبه بقصاص منه
وجزاء له فان عاد تناوله من التقويم والتهذيب والتعزير والتاديب بما يرى
ان قد كفى فيما اجترم ووفى بما قدم فقد قال الله تعالى وتقدس ومن يتعد
حدود الله فاولئك هم الظالمون وامره ان يعطل ما في عمله من الحانات
والمواخير ويطهرها من القبايح والمناكير ويمنع من تجمع اهل الخسارة فيها ولف
شملهم بصحبة الشتيت وجمع لحفظ التفرق وما زالت هذه المواطن
الذميمة والمطارح الدنية داعية لمن ياوي اليها ويعتكف عليها الى
ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات
وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها لله عز وجل معصية وفي اخرابها لله
جل وعلا للخير جلب والله يقول لنا معشر المؤمنين كنتم خير امة اخرجت

للناس

للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ويقول لغيرنا
من الامم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا وامره ان يولي الحماية فيهذه الاعمال اهل الكفاية
والغناء من الرجال وان ينتخب اليهم كل من خف ركابه واسرع عند
الصريخ جوابه مرتبا لهم في المسالح وسادا بهم ثغر المسالك وان يوصيهم
بالتيقظ ويزيح عللهم فيعلوفة خيلهم والمقرر من ازوادهم وميرهم
حتى لا يثقل لهم على البلاد وطاة ولا تدعوهم الى تحيفهم وظلمهم حاجة
وان يحوطوا السابلة بادية وعايدة ويبذرقوا القوافل صادرة وواردة ويحر
سوا الطرق ليلا ونهارا ويتقصوها رواحا وغدوا وينصبوا لاهل العيث
الارصاد ويتمكنوا لهم فيكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون الاجتماع
مطفيا لجمرتهم وصادعا لمروتهم والا يخلوا هذه السبل من حماة لها
وسيارة فيها يترددون في جوارها ويتعسفون ضعوا بها حتى يكون
الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن محسومة والغارات مامونة
ومن حصل في ايديهم من لص خاتل وصعلوك خارب ومخيف
لسبيل ومنتهك لحريم امتثل فيه امر امير المؤمنين الموافق لقول الله
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من
الارض لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم وامره ان يضع
الرصد على من يجتاز في عمله من اباق العبيد والاحتياط عليهم وعلى

وعلى من يكون معهم والبحث عن الاماكن التي فارقوها والطرق التي استطرقوها
وردهم الى الذين ابقوا منهم ونفروا عنهم وان يردهم عليهم قهرا ويعيدهم
اليهم صغرا وان ينشد الضالة ما امكن ان تنشد ويحفظها على ربها
ما جاز ان تحفظ ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بادرارها والبانها ما تحتلب
وتحلب وان يعرفوا اللقطة ويتبعوا اثرها ويشيعوا خبرها فاذا حضر صاحبها وعلم
انه مستوجبها سلمت اليه ولم يعترض فيها عليه والله عز وجل يقول ان
الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ورسوله صلعم يقول ضالة المؤمن
حرق النار وامره ان يوصي عماله ويستوصي بالشد على ايدي الحكام وتنفيذ
ما ينفذ عنهم من الاحكام وان يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها والذابين
عنها المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من
ذي عقل ضعيف وحلم سخيف نالوه بما يردعه واحلوا به ما يزعه ومتى
تقاعس متقاعس عن حضور مع خصم يستدعيه وامر يوجبه الحاكم اليه
فيه او التوى ملتو بحق يحصل عليه ودين يستقر في ذمته قادوه الى ذلك
بازمة الصغار وخزايم الاضطرار وان يحبسوا ويطلقوا باقوالهم ويقبضوا
الايدي في الاملاك والفروج وينزعوها بقضاياهم فانهم امناء الله
في فصل ما يفصلون وبت ما يبتون وعن كتابه تعالى وسنة رسوله صلعم
يوردون ويصدرون وقد قال الله تبارك وتعالى يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما

نسوا

نسوا يوم الحساب وان يتوخى بمثل هذه المعاونة عمال الخراج في استيفاء حقوق
ما استعملوا عليه واستنظاف بقاياهم فيه ورياضة من تسوء طاعته من
معامليهم واحضارهم طايعين او كارهين الى بين ايديهم فمن اوامر الله
لعباده التي حق عليهم ان يتخذوها ادبا ويجعلوها الى رضاه سببا قوله
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله
ان الله شديد العقاب وامره ان يجلس للرعية جلوسا عاما وينظر في مظالمها
نظرا تاما ويساوي في الحق بين خاصتها وعامتها ويوازي في المجالس بين
عزيزها وذليلها وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد
الفحص والتامل والبحث والتبين حتى لا يحكم الا بعدل ولا ينطق الا بفصل
ولا يثبت يدا الا فيما وجب تثبيتها فيه ولا يقبضها الا عما وجب قبضها عنه
وان يسهل الاذن لجماعتهم ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من خفض
الكنف ولين المنعطف والاشتمال والعناية والصون والرعاية ما تعادل
فيه اقسامهم وتتوازن منه اقساطهم فلا يصل المكين منهم الى استضامة
ما تاخر عنه ولا ذو السلطان الى هضيمة من حل ذروته وان يدعوهم
الى احسن العادات والخلايق ويحضهم على اجمل المذاهب والطرايق ويجلب
عنهم كله ويمد عليهم ظله ولا يسومهم خسفا ولا يلحق بهم حيفا ولا يكلفهم
شططا ولا يجشمهم مضلعا ولا يثلم لهم معيشة ولا يداخلهم في حرفة ولا ياخذ
بريا بسقيم ولا حاضرا بغايب فان الله تعالى نهى ان تزر وازرة وزر اخرى
وجعل كل نفس بما كسبت رهينة بكسبها بريئة من مكسب غيرها

ويزع عن هذه الرعية ما عسى ان يكون بين عليها من سنة ظالمة وسلك بها
من محجة جائرة ويستقرى آثار الولاة قبله عليها فما ازالوه من خير او نشروا اليها فقر
من ذلك ما طاب وحسن ويزيل ما خبث وقبح فان من غرس الخير يحظى بحلول
ثمره ومن زرع الشر يصلى بمرور ريعه والله تعالى يقول والبلد الطيب يخرج نباته
والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون وامره ان
يصون مال الخراج واثمان الغلات ووجوه الجبايات موفرا ويزيد ذلك تثميرا
بما يستعمله من الانصاف لاهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فانه مال الله الذي
به قوى عباده وحماية بلاده ويذبون عليه عن حماء الحريم ويدفع العظيم ويحمي الدماء
وكذا الاشرار وان يجعل اقساطه اياه بحسب ادراك اصنافه وعند حضور
مواقيته واحيانه غير مستسلف شيئا قبلها ولا مؤخر له عنها وان يخص اهل
الطاعة والسلامة بالترفيه لهم واهل الاستصعاب والامتناع بالتشديد عليهم
لئلا يقع ارهاق لمذعن ولا اهمال لطامع وعلى المتولي لذلك ان يضع كلا من
الامرين موضعه ويوقعه موقعه متجنبا احلال الغلظة من لا يستحقها واعطاء
الفسحة من ليس اهلها والله يقول وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف
يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وامره بان يتخير عماله على الخراج والاعشار والضياع والجهبذة
والصدقات والجوالي من اهل الظلف والنزاهة والضبط والصيانة والجزالة و
الشهامة وان يستظهر مع ذلك عليهم بوصية توعيها اسماعهم وعهود تقلدها
اعناقهم بان لا يضيعوا حقا ولا ياكلوا سحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يقارفوا غشما وان
يقيموا العمارات ويحتاطوا على الغلات ويتحرزوا من ان تتخولها اثم او تعطيل يحسم

عادل

عادل موزين في جميع ذلك للامانة محسن للخيانة وان يأخذ جهابذتهم
باستيفاء وزن المال على تمامه واستجادة نقده على عياره واستعمال الصحة
في قبض ما يقبضون واطلاق ما يطلقون وان يوعز الى سعاة الصدقات
باخذ الفرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب
فيها وان لا يجمعوا منها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها خارجا عنها
ولا يضيفوا اليها من نحل ابل والوله رابع وعقيلة مال فاذا اجتبوها على حقها
واستوفوها على رسمها اخرجها في سبلها وقسمها على اهلها الذين ذكرهم
الله تعالى في كتابه الا المؤلفة قلوبهم الذين سقط سهمهم فان الله تعالى
يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة وفي الرقاب
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله حكيم وان يجبا
جماجم اهل الذمة بان يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم
في الاحوال وذوات ايديهم في الاموال وعلى الطبقة الطبقة فيها والحدود
المعهودة لها والا يأخذوها من النساء ولا من لم يبلغ الحلم من الرجال
ولا من ذي سن عالية ولا ذي عاهة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب
متبتل وان يراعي جباة هولاء العمال مراعاة تسترها وتظهرها ويلاحظهم
ملاحظة يخفيها ويبديها لئلا يزولوا عن الحق الواجب او يعدلوا عن
السنن اللاحب فقد قال الله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وامره
ان يندب لعرض الرجال واعطائهم وحفظ مرتباتهم واوقات اطماعهم من يعرفه
بالثقة فيما يتصرف فيه والامانة فيما تجري على يديه والبعد عن الاسفاف الى الدنية

والاتباع للدناءة وان يحثه على ضبط حلى الرجال وشيات الخيل وتجديد العرض
عند الاستحقاق واتباع الاحتياط في الانفاق فمن صح عرضه ولم يبق في نفسه
شيء منه من شك يعرض له او ريبة تتوجه اطلق اموالهم موفرة وحصلها في ايديهم
غير مثلومة وان يرد على بيت المال ارزاق من سقط بالوفاة والاخلال ناسبا
ذلك الى جهته موردا له على حقيقته وان يطالب الرجال باحضار الخيل المختارة
واللامات والشكك المستكملة على ما يوجبه مبالغ ارزاقهم وبحسب منازلهم ومراتبهم
فان اخل احدهم شيئا من ذلك فاقته به من رزقه واغرمه مثل قيمته فان المقصر
فيه خائن لامير المؤمنين ومخالف لرب العالمين اذ يقول الله سبحانه واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وامره بان يعتمد في اسواق الرقيق ودور الضرب والطراز والحسبة على من تجتمع
فيه الات هذه الولايات من ثقة ودراية وعلم وكفاية ومعرفة ورواية وتجربة
وحنكة وحصافة ومسكة فانها احوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه
وتقاربه وان يتقدم الى ولاة اسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه
ويمضون امره والتحرز من وقوع تخون فيه واهمال له اذ كان ذلك عائدا بتحصين
الفروج وتطهير الانساب وان يبعدوا عنها اهل الريبة ويقرروا اهل العفة ولا
يمضوا بيعا على شبهة ولا عقدا على تهمة والى ولاة العيار بتخليص عين الدرهم
والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والتهذب من اللبس ويجب
الامام المقرر في الدار بمدينة السلام وحراسة السكك من ان تتداولها
الايدي لمزغلة او يتناولها الجهات الظنينة واثبات اسم امير المؤمنين على

ما يضرب

ما يضرب ذهبا وفضة واجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاة الطراز بان
يجروا الاستعمال فجميع الناسج على اتم الصنعة واسلم الطريقة واحكم الصنعة
وافضل الصحة وان تثبتوا اسم امير المؤمنين على طرز الكسى والفرش والاعلام
والبنود والى ولاة الحسبة بتصفح احوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ومجمع
اسواقهم ومعاملاتهم وان يعيروا الموازين والمكاييل ويقرروها على التعديل
والتكميل ومن اطلعوا منه على حيلة وتلبيس وغيلة وتدليس او بخس ما يوفيه
واستفضال فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها وخصوه بوجيعها
واليمها وافهموه سوء عاقبة ذلك عند الحد الذي يردعه لنفسه ومجازاته وفي
نادبه كافة فقد قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون هذا عهد امير المؤمنين اليك
وحجته عليك قد وقفك به على سواء السبيل وارشدك منه الى اوضح
الدليل واوسعك تعليما وتحكيما واقنعك تعريفا وتفهيما ولم يألك جهدا
فيما عصمك وعصم على يديك ولم يدخر ممكنا فيما اصلحك واصلح لك ولا
ترك لك عذرا في غلط تغالطه ولا طريقا الى ورطة تتورطه بالغا بك في الاوامر
والزواجر الى حيث يلزم الائمة ان ينبهوا الناس اليه ويحثوهم عليه مقتفيا
بك على منجيات المسالك صارفا بك عن مرديات المهالك مريدا فيك ما
في دينك ودنياك ويعود بالحظ عليك في اخرتك واولاك فان اعتدلت
وعدلت فقد فزت وغنمت وان تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت
والاولى بك عند امير المؤمنين مع مغرسك الزاكي ومنبتك النامي وعودك

بك محققا والجميلة فيك مصدقا وان تستزيده بالاثر الجميل صح

الانجب وعنصرك الاطيب ان يكون لطفه قربا وثوابا دوما وزلفى عند امير المومنين
وثناء حسنا من المسلمين فاحمد ما اسند امير المومنين اليك من معاذيره واسك
سد على ما اعطى من مواثيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه واماما تقتفيه
واستعن بالله يعنك واستهده يهدك واخلص النية في طاعته يخلص لك
الحظ من معونته ومما اشكل عليك من خطب او اعضل بك من صعب او بهرك
من باهر او بهظك من باهظ فالتجئ الى امير المومنين به منتهيا وكن الى ما يرد عليك
من جوابه منتهيا ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

اما بعد فان امير المومنين يشكر احمد الله الذي يكون لكل خطبة
قيادا ولكل امر مهادا ويستزيده من نعمه التي جعلت التقوى له زادا وحملته
عب الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يال فيه اجتهادا وصغرت لديه
امر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرضت عليه جيادا وحققت فيه قوله
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم
يصلي على من انزلت الملائكة لنصره امدادا واسري به الى السماء حتى ارتقى
سبعا شدادا وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا الكذب فوادا ثم من بعد
على اسرته الطاهرة التي زكت اوراقا وعوادا وورثت النور المبين تلادا
ووصفت بانها احد الثقلين هداية وارشادا وخصوصا عمه العباس
المدعو له بان يحفظ نفسا واولادا وان يبقي كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف
دركا ولا تخشى نفادا واذا استوفى القلم مدا من هذه الحمدلة واسند القول
فيها عن فصاحة المرسلة فانه ياخذ في اثناء هذا التقليد الذي جعله حليفا

لقرطاسه

لقرطاسه واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع من راسه وليس ذلك
الا لاقاصيه في وصف المناقب التي لا يفتقر واصفها الى القول المعاد ولا
يتنوع سلوك اطوادها ومن العجب جود السهل في سلوك الاطواد وتلك
هي مناقبك يا ايها الملك الناصر الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد
المرابط صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب والديوان العزيز يتلو
ها عليك تحدثا بشكرك ويباهي بك اولياءه تنويها بذكرك ويقول انك
الذي تستكفى فتكون للدولة سهمها الصايب وشهابها الثاقب وكنزها
الذي تذهب الكنوز وليس بذاهب وما ضرها وقد حضرت في نصرتها
اذا كان غيرك هو الغايب فاشكر اذا مساعيك التي اهلتك لما اهلتك
وفضلتك على الاولياء بما فضلتك ولئن شوركت في الولاء بعقيدة الايمان
فلم تشارك في عزمك الذي تنتصر للدولة فكان له بسطة الانتصار في
بين من مد بقلبه ومن مد بيده فيدرجات الامداد وما جعل الله
القاعدين كالذي قال لو امرتنا لخضنا البحار الى برك الغماد الكافية
وقد كفاك من المساعي انك كفيت الخلافة امر منازعيها وطمست على الدعوة
الكاذبة التي كانت تدعيها ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقها محفوف
من الباطل بمحرابين وراث ما راه رسول الله صلعم من السوارين اللذين
اولهما كذابين فقصر منهما واحد انا بجري انهارها من تحته ودعا الناس
الى عبادة طاغوته وجبته ولعب بالدين حتى لم يدر يوم جمعته من يوم
احده ولا يوم سبته واعانه على ذلك قوم رمى الله ابصارهم بالعمى

والصمم واتخذوها صنما ولم يكن للضلالة هناك الا عجلا او صنم فنهضت انت في وجه
باطله حتى قعد وجعلت في جيده حبلا من مسد وقلت ليده تبت فاصبح لا يسعى
بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالاخر الذي نجم باليمن ناجمه وسامت
فيه سايمته فوضع بيته موضع الكعبة اليمانية وقال هذا ذو الخلصة الثانية
فاتى معاميك يعترف الاسلام بسقام ايتما تقوم باداء حقه وهاهنا فليصح
القلم للسيف من الحساد ولتقصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الانداد
ولم يحظ بهذه المرتبة الا انه اصبح لك صاحبا وفخرت حتى طال الفخر كاهلا وجانبا
وقضى بولايتك وكان بها قاضيا لما كان حده ماضيا وقد قلدك امير المومنين
البلاد المصرية واليمنية غورا ونجدا وما اشتملت عليه رعية وجندا وما انتهت
اليه اطرافها برا وبحرا وما تستفتحه من مجاورها سالمة وقهرا واضاف اليها
بلاد الشام وما تحتوي عليه من المدن والمراكز المحصنة مستثنيا منها ما هو
بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين محمود رحمه الله وهو حلب واعمالها فقد
مضى ابوه عن اثار في الاسلام ترفع ذكره في الذاكرين ويخلفه فيعقبه في الغابرين
وولده هذا قد هذبته الفطرة في القول والعمل وليست هذه الربوة الا من
ذلك الجبل فليكن له منك جار يدنو منه ودادا كما دنا ارضا ويصبح وهو له
كالبنيان يشد بعضه بعضا والذي قدمناه من الثناء عليك ربما تجاوز
بك درجة الاقتصاد والفضل عن فضله الازدياد ان تنظر الى سعيد نظر الا
وتقول هذه بلاد انا افتتحتها بعد ان ضرب عنها كثير من الاتراب ولكن اعلم
ان الارض لله ولرسوله ثم لخليفته من بعده ولا منة للعبد باسلامه بل المنة

لله

لله بهدايته عبده وكم سلف قبلك ممن لو ازم مارسته لدنيا شاسعة واجاب
ما دعاه لكن ذخره الله لك لتحظى في الاخرة بمعاده وفي الدنيا برقم طرازه فالو لك
عند هذا القول القاء التسليم وقل لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم
وقد قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك في الاسم شعارا وفي الرسم فخارا
وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملابس الاولياء ما ناسب قلوبا وابصارا
ومن جملتها طوق يوضع فيعنقك موضع العهد والميثاق ويشير اليك بان الا
نعام قد طاف بك طافة الاطواق بالاعناق ثم انك خوطبت بالملك وذلك
خطاب يقضي لصدرك بالانشراح ولملكك بالانفساح وتوم معه بمد يدك
الى العليا لا يرتقيها الا بالجناح وهذه الثلاثة المشار اليها هي التي بها يكمل اقسام
الزيادة وهي التي لا مزيد عليها في الاحسان فيقال انها الحسنى وزيادة فاذا صارت
اليك فانصب لها يوما يكون في الايام كريدا الانساب واجعله لها عيدا وقل هذا
عيد الحاضر والتقليد والخطاب هذا ولك عند امير المومنين مكانة تجعلك
لديه حاضرا وانت ناء عن الحضور وتظن ان يكون مشتركا بينك وبين
غيرك والظنة من شيم الغيور وهذه المكانة قد عرفت نفسها وما كنت تعرفها
وما نقول الا انها لك صاحبة وانت بوسمها فاحرسها عليك حراسة
تقضي بتقديمها واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها واعلم انك تقلدت امرا
يفتن به تقي الحلوم ولا ينفك صاحبه من عهده الملوم وكثيرا ما تري حسنا قد
يوم القيمة وهي مقتسمة بايدي الخصوم ولا ينجو من ذلك الا من اخذ اهبة
الحذار واشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم ان الولاية ميزان احدى

كفيه في الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اني احب لك ما احب لنفسي
لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوي نظر من لم يخدع
بحديث الحرص والامال ومثل الدنيا وقد سبقت اليك تجد اخرها اليس
مصيرها الى زوال والسعيد من اذا جاءته قضى بها ارب الارواح لا ارب الجسد
واتخذ منها وهي السم الدواء وقد يتخذ من الادوية السموم وما الاغتباط
بما يحمل على الاسنة الساء والصباح هو كما انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والله عصم امير المؤمنين وولاة الامر
من تبعاتها التي لا يسلم ولا يبوها واحصاها الله عليهم ونسوها وانت
انت من هذا الدعاء حظا على قدر محلك من العناية التي جذبت بضبعك
ومحلك من الولاية التي بسطت من ذرعك فخذ هذا الامر الذي تقلدته
اخذ من لم يتعقبه بالنسيان ولكن في رعايته ممن اذا نامت عيناه كان
قلبه يقظان وملاك ذلك كله في سباغ العدل الذي جعله الله ثالث الحديد
والكتاب واغنى ثوابه وحده عن اعمال الثواب وقدر يوما منه بعبادة ستين
عاما في الحساب ولم يأمر به امر ولا زيد في اجره وخص به من عدله ومن بهره
ثم نجا به يوم القيمة وفي يديه كتاب الامان ويجلس على منبر من نور عن يمين
الرحمن ومع هذا فانه مركب صعب لا يستوي على ظهره الا من امسك بعنان
نفسه قبل امساك عنانه وغلبت لمة ملكه على لمة شيطانه ومن اوكد
فروضه ان يمحو السنن السيئة التي طالت مدد ايامها ومس الرعايا من رجع
ظلاماتها فلم يجعلوا امدا لانحسار ظلامها وتلك السنن التي انشأتها

الظلم

الهمم الحقيرة ولا غنى للايدي الغنية اذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما زيدت
الاموال الحاصلة منها فقد ازادها الله محقا وقد استمرت عليها العوائد حتى
الحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فتموها حقا فلولا ان صاحبها اعظم الناس
جرما لما اغلظ في عقابه ومثلت توبة المرأة العامدية بمتابه وهل اشقى
ممن يكون السواد الاعظم ويصبح وهو مطالب منهم بما يعلم وبما لم يحط به علما
وانت مامور بان تاتي هذه الظلمات فتحي على ابطالها وتمحو اسماها في المحو
باضعاف الماضي لا يبقى لها في العيان صورة منظورة ولا في الالسنة احاديث
مذكورة واذا فعلت ذلك كنت قد ازلت عن الماضي سنة سوء سنها
بدءا وعن الاتي متابعة ظلم وجده نهجا مسلوكا تجري على مداه فبادر الى ما
امرت به مبادرة من لم يضق به ذرعا ونظر الى الحياة الدنيا بعينها فراها
في الاخرة متاعا واحمد الله على ان قيض لك امام هدى يقف بك على
هواك ويأخذ بحجزك عن خطوات الشيطان الذي هو اعدى عداك
وهذه البلاد المنوطة بنظرك تشتمل على اطراف متباعدة وتفتقر في سياستها
الى يد متساعدة ولهذا تكثر بها قضاة الاحكام وولاة السيوف والاقلام
وكل من هؤلاء ينبغي ان تقتص على اثار الاخبار ويسلط عليه شاهد
اعدل من الدرهم والدينار فما اضل الناس شيء كحب المال الذي فتن
من اجله الاديان وهجر بسببه الاولاد والاخوان وكثيرا ما يرى الرجل
الصايم القايم وهو عابد لعبادة الاوثان فاذا استعنت باحد منهم
على شيء من امرك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدء

حاله فان الاحوال تنتقل بتنقل الاجساد واياك ان تخدع بصلاح الظاهر كما خدع
عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد فامر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بان يامروا
بالمعروف مواظبين وينهوا عن المنكر محاسبين ويعلموا ان ذلك حزب الله
الذين جعلهم الغالبين وليبدءوا اولا بانفسهم فيعدلوا بها عن هواها
ويامروها بما يامرون به سواها ولا يكونون كمن هدى الى الطريق وهو
حائد وانتصب لطب المرضى وهو محتاج الى الطبيب وعائد فما نزل بركات السماء
الا على من خاف مقام ربه والزم التقوى اعمال يده ولسانه وقلبه واذا اصلحت
الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم الا بمصابيحهم
ومما يامرون به ان يكونوا لمن تحت ايديهم اخوانا في الاصطحاب وجيرانا في الاقرب
واعوانا في توزيع الحمل الذي يثقل على الرقاب فالمسلم اخو المسلم وان كان عليه
اميرا واولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كبيرا وليست
الولاية لمن يستجد بها كثرة اللفيف ويتولاها العنيف ولكنها لمن يمال على
جوانبه ويوكل من اطايبه ولمن اذا غضب لم ير للغضب عنده اثر واذا
الحف في سؤاله لم يلحق الالحاف بخلق الضجر واذا حضر الخصوم بين يديه عدل
بينهم في قسمته والنظر فذلك الذي يكون صاحبه في اصحاب اليمين والذي يدعى
بالحفيظ العليم والقوي الامين ومن سعادة المرء ان يكون ولاته متادبين
باداب وجارين على نهج صوابه واذا تطايرت الكتب يوم القيمة كانوا حسنات
مثبتة في كتابه وبعد هذه الوصية فان ها هنا وصية هي للحسنات
كام الولود ولطالما اغنت عن صاحبها اغنا الجنود وتيقظت لنصره والعين

دو

تعود وهي التي تسبغ بها الالاء ولا تخطاها البلاء ولامير المؤمنين بها عناية تقتضيها
الرحمة الموضوعة بقلبه والرغبة في المغفرة لما تقدم وتاخر من ذنبه وتلك هي
الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمزية افضالها وجعلها سببا الى التعريض
عنها بعشر امثالها وهو يامرك ان تتفقد احوال الفقراء الذين قدرت عليهم
مادة الارزاق والبسهم التعفف ثوب الغنى وهم في ضيق من الاملاق
فاولئك اولياء الله الذين مستهم الضراء فصبروا وكثرت الدنيا في يد غيرهم
فما نظروا اليها اذ نظروا وينبغي ان تقيم لهم من امرهم مرفقا وتضرب بينهم من دنيا
وما اطلنا لك القول في هذه الوصية الا اعلاما لك بانها من المهم الذي
يستقبل ولا يستدبر ويستكثر منه ولا يستكثر وهذا يعد من جهاد النفس
في بذل المال ويتلوه جهاد العدو الكافر في مواقف القتال وامير المؤمنين
يعرفك من ثوابه ما تجعل السيف ومن صفاته انه العمل المحبو بفضل الكرامة
الذي ينمي اجره بعد صاحبه الى يوم القيمة وبه يمحص طاعة الخالق على المخلوق
وكل الاعمال عاطلة لا حلوق لها وهو المختص دونها بزينة الحلوق ولو لا
فضله ما كان محسوبا بشطر الايمان ولما جعل الله الجنة لثمنا وليس لغيره
من الاثمان وقد علمت ان العدو هو جارك الادنى والذي يبلغه وتبلغه
عينا واذنا ولا يكون للاسلام نعم الجار حتى يكون له باس الجار ولا عذر لك
في ترك جهادك بنفسك اذا قامت لغيرك الاعذار وامير المؤمنين لا يرضى
منك بان تلقاه مكافحا وتطرق ارضه ممسيا او مصابحا بل يريد ان تقصد
البلاد التي في يده قصد المستنقذ لا قصد المغير وان تحكم فيها بحكم الله الذي

في ملازمته اخا وتسمو له
بنفسك ان كان احد بنفسه
سخا بحرص

قضاء على لسانه سعد في بني قريظة والنضير وعلى الخصوص البيت المقدس
فانه بلاد الاسلام القديم واخو البيت الحرام في شرف التعظيم والذي توجهت اليه
الوجوه من قبل بالسجود والتسليم وقد اصبح وهو يشكو طول المدة في اسر قبضته
واصبحت كلمة التوحيد وهي تشكو طول الوحشة في غربتها عنه وعونته فانهض
نهضة توغل في فرجه وتبدل صعب قياده بسمحه وان كان لدعام حديثه
تابعه لعام صحه وهذه الاستزادة انما تكون بعد سداد ما في اليد من ثغر
كان جهلا لحميت موارده او مستهدما فرضت قواعده ومن اهمها ما كان
حاضر البحر فانه عورة مكشوفة وخطة مخوفة والعدو قريب منه على بعده
وكثيرا ما ياتيه فجاءة حتى يسبق برقه برعده فينبغي ان يرتب بهذا الثغر
رابطة يكثر شجعانها ويقل اقرانها ويكون قتالها ليكون كلمة الله هي العليا
لا لان يرى مكانها وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال اسوار ويعلم
اهله ان بناء السيف امنع من بناء الاحجار ومع هذا لا بد لها من اسطول يكثر عدده
ويقوي مدده فانه العدة التي يستعين بها على كشف الغماء والاستكثار
من سبايا العبيد والاماء وجيشه اخو الجيش السليماني فذاك يسري على
متن الريح وهذا على متن الماء ومن صفات خيله انها جمعت بين العوم
والطيار وتساوت اقدامها على اختلاف مدة الاحار فاذا اشرعت
قيل جبال متلفعة تقطع من الغيوم واذا نظر الى اشكالها قيل اهلة غير انها
يهتدى في مسيرها بالنجوم ومثل هذه الخيل ينبغي ان يغالى في جيادها
ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها امير يلقى البحر بمثله من سعة صدره وسيله

واذا

طرقه سلوك من لم يقاسه بجهلها ولكن قبلها بخبره وكذلك فليكن من افنت الايام
تجاربه وهذا هو الرجل الذي يراس على القوم فلا تجد فترة من الرياسة وان كان
في الساقة فهي الساقة او كان في الحراسة فهي الحراسة ولقد افلحت عصابة عصبت
من ورائه وانصت بالنصر من رايته كما انصت بالنجح من رايه واعلم انه قد خلت
من الجهاد بركته يقدح فيعمله وهو تمامه الذي ياتي في آخره كما ان صدق النية
ياتي في اوله وذلك هو قسم الغنائم فان الايدي قد تناولته الاجحاف وخلطت
حرامها فيه بحلالها فلم ترجع بالكفاف والله قد جعل الظلم في تعدي حدوده
المحدودة وجعل الاستيثار بالمغنم من اشراط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به ان
يكون زماننا هذا شر زمان وساسته شر ناس ولم يحفظنا على اشراط دينه
ثم نهلك اهمال مضيع ولا اهمال ناس والذي يامرك به ان تجري هذا الامر
على المنصوص من حكمه وتبرئ ذمتك مما يكون غيرك الفائز بفوائده وانت
المطالب باثمه وفي ارزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم
عن هذه الاكلة التي يكون غدا نكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما
فتامل ما سطرناه لك من هذه الاساطير التي هي غرائب مبرمات بل آيات
محكمات وتحبب الى الله والى امير المؤمنين باقتفاء كتابها واثرك منها مجد
يبقى في عقبك اذا عصبت لبيوت في اعقابها وهذا التقليد ينطق عليك
بانه لم يال في الوصايا التي اوصاها فانه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ثم انه قد ختم بدعوات دعا بها امير المؤمنين عند ختامه وسئل بها خيرة
الله التي تنزل من كل امر عزله نظامه ثم قال اللهم اني اشهدك على من

على من قد ربه شهادة يكون عليه رقيبه وله حسيبه فاني لم آمره الا باوامر الحق التي
منها موعظة وذكرى ولمن تبعه هدى ورحمة وبشرى واذا اخذ بها فلح بحجته يوم
يسئل عن الحج ولم يختلج دون رسول الله على الحوض في جملة من يختلج وقيل له لا حرج
عليك ولا اثم اذ اخلصت نجوت من ورطات الاثم والحرج والسلام وهذا الذي
ذكرته من كلامي وكلام الصابي في هذه التقاليد الاربعة لم اقصد به الوضع من
الرجل وانما ذكرت ما ذكرته لبيان موضع السجع الذي يثبت على المحك ولا شك ان
هذا الوصف المشار اليه في فقر الاسجاع لم يكن مقصودا في الزمن القديم اما لانه كان
عسرا ولم ينتبه لكلف ما ضع من الصابي وعلم الكتابة قد رفعه وهو امام هذا الفن
والواحد فيه ولقد اعتبرت مكاتباته فوجدته قد اجاد في السلطانيات كل الاجادة
واحسن كل الاحسان لو لم يكن سوى كتابه الذي كتبه عن عز الدولة بختيار بن بويه
الى سبكتكين عند خروجه عليه ومجاهرته له بالعصيان لاستحق به فضيلة التقدم
كيف وله من السلطانيات ما اتى فيه بكل عجيبة لكنه في الاخوانيات مقصر وكذلك
في كتب التعازي وعندي فيه راي لم يره احد غيري ولي فيه قول لم يقله احد
سوى ذلك ان تعقل الرجل في كتابته زائد على فصاحته وبلاغته وسابق ذلك
فاول ما ينظر الناظر في هذين التقليدين اللذين اوردتهما له فانه يرى وصايا وشروطا
واستدراكات واوامر ما بين اصل وفرع وكلي وجزئي وكثير وقليل ولا يرى ذلك
في كلام غيره من الكتاب الا انه عبر عن تلك الوصايا والاوامر والشروط والاستدراكات
بعبارة في بعضها ما فيه من الضعف والركة وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هجنة
وزيادة المنطق على العلم خدعة ومع هذا فاني اقر للرجل بالتقدم واشهد له بالفضل

واذ فرغ

واذ فرغت مما اردت تحقيقه في هذا الموضع فاني ارجع الى ما كنت بصدد ذكره من
السجع وقد تقدم من ذلك ما تقدم وبقي ما انا ذاكره ههنا وهو ان السجع ينقسم على
ثلثة اقسام **الاول** ان يكون الفصلان متساويين ولا يزيد احدهما على الاخر كقوله
فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وكقوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا
فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا الا ترى كيف جاءت هذه الفصول
متساوية الاجزاء حتى كانها افرغت في قالب واحد وامثال ذلك في القران الكريم
كثيرة وهو اشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه **الثاني** ان يكون الفصل
الثاني اطول من الاول لا طولا يخرج عن الاعتدال خروجا كثيرا فانه يقبح عند ذلك
ويستكره ويعد عيبا فمما جاء من ذلك بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا الا ترى ان الفصل الاول ثماني كلمات
والفصل الثاني والثالث تسع تسع ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا وامثال هذا في القران كثير ويستثنى من هذا القسم ما كان السجع على ثلاث فقر
فان الفقرتين الاوليين يحسبان في عدة واحدة ثم ياتي الثالثة فينبغي ان يكون
طويلة طولا يزيد عليهما فاذا كانت الاولى والثانية اربع لفظات يكون الثالثة
عشر لفظات او احدى عشرة مثال ذلك ما ذكرته في وصف صديق وهو
الصديق من يعتض عنك مخالف ولم يعاملك معاملة الحالف واذا بلغه
اذنه وشاية اقام عليها حد السارق والقاذف والاولى والثانية ههنا

اربع لفظات لان الاولى لم يعتص عنك مخالف والثانية لم يعاملك معاملة الخالف وجاءت الثالثة عشر لفظات وهكذا ينبغي ان يكون ما يستعمل من هذا القبيل فان زادت الاولى والثانية عن هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه الا انه لا ينبغي ان نجعله قياسا مطردا في السجعات الثلاث اين وقعت من الكلام بل نعلم ان الجواز يعم الجانبين من التساوي في السجعات الثلث ومن زيادة السجعة الثالثة الا ترى انه قد ورد ثلاث سجعات متساويات في القران الكريم كقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات او ستا لما كان معيبا **الثالث** ان يكون الفصل الاخر اقصر من الاول وهو عندي عيب فاحش وسبب ذلك ان السجع يكون قد استوفى امده من الفصل الاول بحكم طوله ثم يجي الفصل الثاني قصيرا عن الاول فيكون كالشي المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها واذا انتهينا الى ههنا وبينا اقسام السجع وكيفيته وشروطه فنقول فيه قولا كليا وهو ان السجع على اختلاف اقسامه ضربان احدهما يسمى السجع القصير وهو ان يكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من الفاظ قليلة وكلما قلت الالفاظ كان احسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع وهذا الضرب اوعر السجع مذهبا وابعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع الا نادرا والضرب الاخر يسمى السجع الطويل وهو ضد الاول فانه اسهل متناولا وانما كان القصير من السجع اوعر مسلكا من الطويل منه لان المعنى اذا صيغ بالفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه لقصر تلك الالفاظ وضيق المجال في استجلابه واما الطويل فان الالفاظ تطول فيه ويستجلب السجع من حيث وليس كما يقال وكان ذلك

سهلا وكل واحد من هذين الضربين متفاوت درجاته في عدة الفاظه اما السجع القصير فاحسنه ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا وقوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ومنه ما يكون مؤلفا من ثلاثة الفاظ واربعة وخمسة وكذلك الى العشرة وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل فمما جاء منه قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر واما السجع الطويل فان درجاته تتفاوت في الطول فمنه ما يقرب من السجع القصير وهو ان يكون تاليفه من احدى عشرة الى اثنتي عشرة لفظة واكثره خمس عشرة لفظة كقوله تعالى واذا اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور فالاولى احدى عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ومن السجع الطويل ما يكون تاليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ومن السجع الطويل ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط واعلم ان التصريع في الشعر بمنزلة السجع

في الفصلين من الكلام المنثور وفائدته في الشعر انه قبل كمال البيت الاول من القصيدة تعلم قافيتها وشبه البيت المصرع بباب له مصراعان متشاكلان وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة في افانين الكلام فاما اذا كثر التصريع في القصيدة فلست اراه مختارا لان هذه الاصناف من التصريع والترصيع والتجنيس وغيرها انما يحسن منها في الكلام ما قل وجرى مجرى الغرة في الوجه او كان كالطراز في الثوب فاما اذا تواتر وكثر فانه لا يكون مرضيا لما فيه من امارات الكلفة وهو عندي ينقسم الى سبع مراتب وذلك شي لم يذكره على هذا الوجه احد غيري فالمرتبة الاولى وهو اعلى التصريع درجة ان يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه غير محتاج الى صاحبه الذي يليه ويسمى التصريع الكامل وذلك مثل قول امرئ القيس

افاطم مهلا بعض هذا التدلل ۝ وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي ۝

فان كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج الى ما يليه وعليه ورد قول المتنبي

اذا كان مدح فالنسيب المقدم ۝ اكل فصيح قال شعرا متيم ۝

المرتبة الثانية ان يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذي يليه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ۝ بسقط اللوى بين الدخول فحومل ۝

فالمصراع الاول غير محتاج الى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطا به وكذلك ورد قول ابي تمام الم يان ان تروى الظباء الحوائم وان ينظم الشمل المبدد

ناظم وعليه ورد قول المتنبي

الراي قبل شجاعة الشجعان ۝ هو اول وهي المحل الثاني ۝

المرتبة الثالثة ان يكون الشاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع صاحبه ويسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن الحجاج البغدادي

من شروط الصبوح في المهرجان ۝ خفة الشرب مع خلو المكان ۝

فان هذا البيت يجعل مصراعه الاول ثانيا ومصراعه الثاني اولا وهذه المرتبة كالثانية في الجودة المرتبة الرابعة ان يكون المصراع الاول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثاني ويسمى التصريع الناقص وليس بمرضي ولا حسن فمما ورد منه قول المتنبي

مغاني الشعب طيبا في المغاني ۝ بمنزلة الربيع من الزمان ۝

فان المصراع الاول لا يستقل بنفسه في فهم معناه دون ان يذكر المصراع الثاني المرتبة الخامسة ان يكون التصريع في البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية ويسمى التصريع المكرر وهو ينقسم قسمين احدهما اقرب حالا من الاخر فالاول ان يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها وهو انزل الدرجتين كقول عبيد بن الابرص

فكل ذي غيبة يؤوب ۝ وغائب الموت لا يؤوب ۝

القسم الاخر ان يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها كقول ابي تمام

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا ۝ فاصبح للهندية البيض مرتعا ۝

المرتبة السادسة ان يكون المصراع الاول معلقا على صفة ياتي ذكرها في اول المصراع الثاني ويسمى التصريع المعلق فمما ورد منه قول امرئ القيس

الا ايها الليل الطويل الا انجلي ۝ بصبح وما الاصباح منك بامثل ۝

فان المصراع الاول معلق على قوله يصبح وهذا معيب جدا وعليه ورد قول المتنبي ٥

تدعلم البين منا البين اجفانا تدمى والف في ذا القلب احزانا ٥

فان المصراع الاول معلق على قوله تدمى والمرتبة الشاعرة ان يكون التصريع واضحا كقول ذلك قول ابي نواس ٥

اقلني قد ندمت على الذنوب وبالاقرار عذت من الجحود ٥

فصرّع بحرف الباء في وسط البيت ثم قفاه بحرف الدال وهذا لا يكاد يستعمل الا نادرا

النوع الثاني في التجنيس

اعلم ان التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام وقد تصرف العلماء من ارباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لاسيما المحدثون منهم وقد صنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه ابوابا متعددة واختلفوا في ذلك وادخلوا بعض تلك الابواب في بعض فمنهم عبد الله بن المعتز وابو علي الحاتمي والقاضي ابو الحسن الجرجاني وقدامة بن جعفر الكاتب وغيرهم وانما سمي هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف الفاظه يكون تركيبها من جنس واحد وحقيقته ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وعلى هذا فانه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء الا انه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسا وتلك تسمية بالمشابهة لا لانها دالة على حقيقة المسمى بعينه وعلى هذا فاني نظرت في التجنيس وما يشتبه به فاجريت مجراه فوجدته ينقسم الى سبعة اقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لان لفظه واحدة لا تختلف وستة اقسام مشبهة به فاما القسم الاول فهو ان يتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وليس في القرآن

الكريم سوى هذه الاية فاعرفها ويروى في الاخبار النبوية ان الصحابة تنازعوا جرير بن عبد الله البجلي زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا بين جرير والجرير اي دعوا له زمامه ومما جاء في الشعر قول ابي تمام ٥

فاصبحت غرر الاسلام مشرقة بالنصر تضحك عن ايامك الغرر ٥

فالغرر الاولى استعارة من غرة الوجه والغرر الثانية فانها ماخوذة من غرة الشيء الكريم فاللفظ اذن واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله ٥

من القوم جعد ابيض الوجه والندى وليس بنان يجتدى منه بالجعد ٥

فالجعد السيد والبنان الجعد ضد السبط فاحدهما يوصف به السخي والاخر يوصف به البخيل وكذلك قوله ٥

بكل فتى ضرب يعرض للقنا محيا محلى حلية الطعن والضرب ٥

فالضرب الرجل الخفيف والضرب بالسيف في الحرب معروف وكذلك قوله

هذا ٥ عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلسالها الحصب ٥

فالثغور جمع ثغر وهو واحد الاسنان وهو ايضا البلد الذي على تخوم العدو ومن ذلك في هذه القصيدة ٥

كم احرزت قضب الهندي مصلتة تهتز من قضب تهتز في كثب ٥

بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت احق بالبيض ابدانا من الحجب ٥

فالقضب السيوف والقضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذي لا يتعلق به احد وكذلك قوله

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا صدور العوالي في صدور الكتائب فلفظ

القدور في هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله ٥

عامي وعام العيس بين وديقة مسجورة وتنوفة صيخود ٥

حتى اغادر كل يوم بالفلا للطير عيدا من بنات العيد ٥

فالعيد فحل من فحول الابل والعيد اليوم المعروف من الايام وقد اكثر ابو تمام من التجنيس في شعره فمنه ما اغرب فيه فاحسن كالذي ذكرته ومنه ما اتى به كريها مستثقلا كقوله ٥

ويوم ارشق والهيجاء قد رشقت من المنية رشقا وابلا قصفا ٥

وكقوله ٥

يا مضعنا خالد الا لك الشكل ان خلد حقا عليك فخلد ٥

وكقوله

واهل موقان اذ ماقوا فلا وزر انجاهم منك في الهيجاء ولا سند ٥

وكقوله

جهلا بني مالك لا تجهلن الى حق الارا اخو ذلول ابنة الرقم ٥

ثم قال فيها

من الرديئة اللاي اذ علت ثم و الصغار الانف ذا الشمم ٥

وكقوله

قرت بقران عين الدين واشترت بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

ولم من الغث البارد المتكلف شيء كثير لا حاجة الى استقصائه بل قد اوردنا منه قليلا ليستدل به على امثاله ومن الحسن في هذا الباب قول ابي نواس وهو

عباس عباس اذا احتدم الوغا والفضل فضل والربيع ربيع ٥

وكذلك قوله لابي العباس ان كنت مذنبا فانت احق الناس بالاخذ بالفضل

فلا تجحدوني ود عشرين حجة ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل ٥

وعلى هذا النهج ورد قول البحتري وهو ٥

اذا العين راحت وهي عين على الهوى فليس بسر ما تسر الاضالع ٥

فالعين الجاسوس والعين معروفة وكذلك ورد قول احد بعضهم ٥

وهي سواقي دمعها فوق الغضا ساق يجاوب فوق ساقها ساقا ٥

فالساق ساق الشجرة والساق القمري من الطير وعلى هذا الاسلوب جاء قول بعض المتاخرين وهو الشاعر المعروف بالغزي في قصيدة قصد التجنيس في كثير من ابياتها فمن ذلك ما ورد في مطلعها وهو

اوزار يا طيف ذات الخال احيانا ونحن في حفر الاجداث احيانا ٥

ثم قال في اثنائها

تقول انت امرؤ جاف مغافلة فقلت لا هومت اجفان اجفانا ٥

وكذلك قال في اخرها ٥

لم يبق غيرك انسان يلاذ به فلا برحت لعين الدهر انسانا ٥

ورايت الغانمي قد ذكر في كتابه بابا وسماه رد الاعجاز على الصدور خارجا عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة اقسامه كالذي نحن بصدد ذكره ها هنا فمما اورده الغانمي من الامثلة في ذلك قول بعضهم

ونشري بجميل الصنع ذكرا طيب النشر ٥

ونفري بسيوف الهند من اشرف في الثغر ه
ونجري فيشر الحمد على شاكلة البحر ه

وكذلك قول بعضهم في الشيب ه

يا بياضا اذرى دموعي حتى عاد منها سواد عيني بياضا ه

وكذلك قول البحتري

واغر في الزمن البهيم محجل قد رحت منه على اغر محجل ه
كالهيكل المبني الا انه في الحسن جاء كصورة في هيكل ه

وليس لاخذ على الغانمي فيذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على ان ينصب نفسه لايراد علم البيان وتفصيل ابوابه ويكون احد الابواب التي ذكرها داخلا في الامر فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه وهو اشهر من فلق الصباح وربما جهل بعض الناس فادخل في التجنيس ما ليس منه نظرا الى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى فمن ذلك قول ابي تمام

اظن الدمع في خدي سيبقى رسوما من بكائي في الرسوم ه

فهذا ليس من التجنيس في شيء اذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معا وهذا مما ينبغي ان ينبه عليه ليعرف عليه ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو الترديد اي ان اللفظة الواحدة رددت فيه وحيث نبهت عليه هيهنا فلا احتاج الى ان اعقد له بابا فرده بالذكر فيه واما الاقسام الستة المشبهة بالتجنيس فالقسم الاول منها ان يكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فمما جاء من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم

كما احسنت خلقي حسن خلقي الا ترى ان هاتين اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لان تركيب الخلق والخلق من ثلثة احرف هي الخاء واللام والقاف الا انهما قد اختلفا في الوزن اذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء ومن هذا القسم قول بعضهم لاتنال غرر المعالي الا بركوب الغرر واهتبال الغرر وقال البحتري

وفر الحان المغور يرجوا امانا اي ساعة ما امان ه
يهاب الالتفات وقد تهيا لمخطر طرفه طرف السنان ه

وكذلك قول الاخر ه

قد بت بين حشاشة وذماء ما بين حر هوى وحر هواء ه

القسم الثاني من المشبه بالتجنيس وهو ان يكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس فمما جاء منه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان هاتين اللفظتين على وزن واحد الا ان تركيبهما مختلف في حرف واحد وكذلك قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكذلك قوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وعلى نحو هذا ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير وقال بعضهم لا تنال المكارم الا بالمكاره وقال ابو تمام يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب وقال البحتري ه

من كل ساجي الطرف اغيد اجيد ومهفهف الكشحين احوى احور ه

وكذلك قوله ه

شواجر ارماح تقطع بينهم شواجن ارحام ملوم قطوعها ه

القسم الثالث من المشبه بالتجنيس وهو ان يكون الالفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد كقوله والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق وكقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ه

ودخل ثعلب صاحب كتاب الفصيح على احمد بن حنبل رحمه الله وعنده جماعة فجلس الى جانبه ثم اقبل عليه وقال اخاف ان اكون ضيقت عليك على انه لا يضيق مجلس بمتحابين ولا تسع الدنيا باسرها متباغضين فقال له احمد الصديق لا يحاسب والعدو لا يحتسب له وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجنيس في كلام احمد رحمه الله في قوله يحاسب ويحتسب له وقد جاءني شيء من ذلك عليه خفة الطبع لا ثقل التطبع فمنه ما ذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة يتضمن ذكر الجهاد فقلت وخيل الله قد اشتاقت ان يقال لها اركبي وسيوفه قد تطلعت ان يقال لها اضربي ومواطن الجهاد قد بعد عهدها باستسقاء شآبيب النحور وانبات الربيع الذاب والقنوير وما ذاك الا ان العدو اذا طلب قمص ثوب ذلالة وتنقل من صحبة نصاله واعتصم بمعاقله التي لا فرق بينها وبين عقاله ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم فقلت وقد جعل الله حرمه ملقى الجفان وملتقى الاجفان ه

لمن جنى عليه زمانه وجار لمن بعد عليه جيرانه ه

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ديوان الخلافة وهو ولقد استبان الخادم من بركة طاعته ما يعني عنه غيره عماله ووجد من اثره في صلاح دنياه وما استدامه على صلاح اخراه فهو الكب المنجي والعمل المرجي لا المرجي والمعنى المستفاد بهداية الصراط المستقيم وتاويل قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب

اليم ومن ذلك ما ذكرته في ابيات كتاب الى بعض الاخوان وذلك وصف بعض المغنين نحو من حسن شيمه وفواضل احسانه بين هند وهند ومن من معبد وليها يتغيبه بين ام معبد وابي عبيدة ومن ذلك ما ذكرته في مطلع كتاب الى بعض الاخوان فقلت الكتب وان عدوها قوم عرضا من الاعراض وتقالوها حتى لو اهي سواد في بياض فانها عند الاخوان وجها وسيما ومحلا كريما وهي خاتم القلوب اذا فارقت حميم حميما ومن احسنها الكتاب سيدنا ثم مضيت على هذا النهج الى اخر الكتاب ومن هذا القسم قول ابي تمام

ايام تدمى عينه تلك الدماء فيها وتقر لبة الاحجار ه
بيض فهن اذا رمقن سوافر صور وهن اذا رمقن صوار ه

وكذلك قوله

بدر اطاعت فيك بادرة النوى خطا وشمس اولعت بشماس ه

وكذلك قوله

كانوا النبوة والهدى فتقطعت اصناقهم في تلك المضار ه

وكذلك قوله

ان الرماح اذا غرس بمشهد فجنى العوالي في ذراه معالي ه

وكذلك قوله

اذا احسن الاقوام ان يتطاولوا بلا نعمة احسنت ان تتطولا ه

وكذلك قوله

اي ربع يكذب الدهر عنه وهو ملقى على طريق الليالي
بين ما حبت عليه حول فهو نضو الاحوال والاحوال
شد ما استزلك عن دمعك الاظعان حتى استهل صوب الغزال
اي حسن في الذاهبين تولى وجمال على ظهور الجمال
ودلال مخيم في ذرى الخيم وهجر مقصر في الحجال

فالبيت الثاني والخامس هما المقصودان بالتمثيل هيهنا والابيات الباقي جاءت تبعا
ومما جاء من ذلك قول علي بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت بناءه بذات جفون او بذات جفان

وكذلك قول محمد بن وهيب الحميري

فمحت صروف الدهر باسا ونائلا فمالك موتور وسيفك واتر

هذا من المليح النادر ومن هذا القسم قول البحتري

جدير بان تنشق عن ضوء وجهه ضبابة نقع تحتها الموت ناقع

وكذلك قوله

نسيم الروض في ريح شمال وصوب المزن في راح شمول

ومن اعرابي رجلا فقال

كان اذا مال الحق ذا سيل تسترت يحسد على الفضل ويزهد في الافضال

القسم الرابع من المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس وذلك ضربان احدهما عكس الالفاظ
والاخر عكس الحروف فالاول كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات
وكقول الاخر شيم الاحرار احرار الشيم ومن هذا النوع ما ورد شعرا قول الاضبط بن

قريع من شعراء الجاهلية

قد يجمع المال غير اكله ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه

وكذلك ورد قول ابي الطيب المتنبي

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وكذلك قول الشريف الرضي من ابيات يذم فيها الزمان فقال

اسف بمن يطير الى المعالي وطار بمن يسف الى الدنايا

وكذلك قول الاخر

ان الليالي للانام مناهل تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن من الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

واحسن من هذا كله والطف قول ابن الرقاق الاندلسي

غيرتنا يد الزمان فقد شبت والتحا
فاستحال الضحى دجا واستحال الدجى ضحى

وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة بن جعفر
الكاتب التبديل وذلك اسم مناسب لمسماه لان مؤلف الكتاب ياتي بما كان
مقدما في جزء كلامه الاول مؤخرا في الثاني وبما كان مؤخرا في الاول مقدما
في الثاني ومثله قدامه بقول بعضهم اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك
ومن هذا القسم قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وكذلك ورد
قول النبي صلعم جار الدار احق بدار الجار وكتب علي بن ابي طالب عليه السلام الى

عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال اما بعد فان الانسان يسره درك ما لم يكن
ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا
ولا تكن ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الامل فكان قد والسلام وروي عن
ابي تمام انه لما قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدته المشهورة
التي مطلعها هن عوادي يوسف وصواحبه
انكر عليه ابو سعيد الضرير وابو العميثل هذا الابتداء وقالا له لم لا تقول من الشعر ما يفهم
فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو من التجنيس المشار اليه
وقد جاءني شيء منه كقولي في فصل من كتاب يتضمن فتحا وهو فكم كان في افتراع عذرة
الحصن من افتراع عذرة حصان وكم جرح به من سنان لحظ استرق لحظ سنان وكذلك
قولي في صدر كتاب الى ديوان الخلافة وهو الخادم يبلغ خدمته الى ذلك الجناب
الذي تحطه الشفاه قبلا وتوسعه العفاة املا وترى الخول به ملوكا والملوك
خولا وطاعته هي محك الاعمال التي يشير اليها بقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وكذلك ورد قولي ايضا وهو فصل من تقليد وزير فقلت وقد صدق الله
لهجة المثني عليك ان يقول انك الرجل الذي تضرب به الامثال ولا تضرب
له الامثال والمهذب الذي لا يقال معه الرجال واذا وازنت حلمه فقد خطبت
منك ثبيرها وسدت ثغرها واصبحت وانت صدر اهلها وقلب الصدور
فهي مزدانة منك بالفضل المبين معانة بالقوي الامين واما الضرب الثاني
من هذا القسم وهو عكس الحروف فكقول بعضهم

اهديت شيئا يقل لولا احدوثة الفال والتبرك

كرسي نفالتفيه لما رايت مقلوبه يسرك

وكذلك قول الاخر كيف السرور باقبال واخره اذا تاملته مقلوب اقبال واجود من هذا كله
قول الاخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا من فوق خد مثل قول العقرب

واذا قلب لفظ العقرب صار برقعا وهذا الضرب نادر الاستعمال لانه قل ما يقع كلمة تقلب
حروفها فيجيء معناها صوابا القسم الخامس من المشبه بالتجنيس ويسمى المجنب وذلك
ان يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين احداهما كالتبع للاخرى والجنيبة لها كقول بعضهم

ابا العباس لا تحسب باني لشيء من حلى الاشعار عار
فلي طبع كسلسال معين زلال من ذرى الاحجار جار

وهذا القسم فيه عندي نظر لانه بلزوم ما لا يلزم اولى منه بالتجنيس لانا نرى ان
التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهاهنا لم يتفق الا جزء واحد من اللفظ
واهمل عنه واما اللزوم في الكلام المنثور فهو تساوي الحروف التي قبل الفواصل السجع
وهذا هو كذلك لان العين والراء تساويا في البيت الاول فقوله الاشعار وعار
بالجيم والراء في البيت الثاني فقوله الاحجار جار القسم السادس من المشبه
بالتجنيس وهو ما تساوى وزنه وتركيبه غير ان حروفه تتقدم وتتاخر وذلك
قول ابي تمام

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

فالصفائح والصحائف مما تقدمت حروفه وتاخرت وقد ورد في الكلام المنثور كقوله صلعم
في فضيلة تلاوة القران الكريم فقال يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما

كنت تريد في الدنيا فانّ منزلك عند اخرابه تقرا بها فهو ليس اقرا واقرب من التجنيس
المشار اليه في هذا القسم **النوع الثالث في الترصيع** وهو ماخوذ من ترصيع
العقد وذلك ان يكون في احد جانبي العقد من اللآلي مثل ما في الجانب الاخر وكذلك
جعل هذا في الالفاظ المنثورة من الاسجاع وهو ان يكون كل لفظة من الفاظ الفصل
الاول مساوية لكل لفظة من الالفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية وهذا
لا يوجد في كتاب الله تعالى لما عليه من زيادة التكلف فاما قول من ذهب الى ان
في كتاب الله منه شيا ومثله بقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
فليس الامر كما وقع له فانّ لفظة لفي قد وردت في الفقرتين معا وهذا يخالف
شرط الترصيع الذي شرطناه لكنه قريب منه واما الشعر فاني لست اقول انه لا
يبنى على هذه الشريطة ولم اجده في اشعار العرب لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف
الكلفة واذا جيء به في الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون اذا جيء به في الكلام
المنثور فما اني عثرت عليه في شعر المحدثين ولكنه قليل جدا فمن ذلك قول بعضهم

فمكارم اوليتها متبرعا وجرائم القيتها متورعا

فمكارم بازاء جرائم واوليتها بازاء القيتها ومتبرعا بازاء متورعا وقد اجاز بعضهم
ان يكون احد الفاظ الفصل مخالفا لما يقابله من الفصل الثاني وهذا ليس بشيء
لمخالفته حقيقة الترصيع فمما جاء من هذا النوع منثورا قول الحريري في مقاماته
فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فانه جعل الفاظ
الفصل الاول مساوية لالفاظ الفصل الثاني وزنا وقافية فجعل يطبع بازاء يقرع
والاسجاع بازاء الاسماع وجواهر بازاء زواجر ولفظه بازاء وعظه ومما جاء من هذا

النوع

النوع ما ذكرته في جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو وقد اعدت الجواب ولم استعر
له نظما ملفقا ولا اجلبت ليه حسنا متقابلا اخرجته على رسله وعنيت
بصقال حسنه عن صقله فجاء كما تراه غير ممشوط ولا محطوط فهو يرفل في
اثواب بذلته وقد حوى الجمال بحليته والحسن بما وسمته فطرة التصوير لا
ما حسنته فكرة التزوير والترصيع فيقول وسمته فطرة التصوير وحسنته فكرة
التزوير وكذلك ورد قولي في فصل من الكلام يتضمن ضعيف الاولاد فقلت
من قوي اولاده عز بكد حساده فهذه الالفاظ متكافئة في ترصيعها فقوي
بازاء عز واود بازاء كمد واولاده بازاء حساده وكذلك قول بعضهم في
الامثال المولدة التي لم ترد عن العرب وهو من اطاع غضبه اضاع ادبه فاطاع
بازاء اضاع وغضبه بازاء ادبه وقد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي
انشاها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله فمن ذلك قوله في اول
خطبة الحمد لله عاقد ازمة الامور بعزائم امره وحاصد ائمة الغرور بقواصم
مكره وموفق عبيده لمغانم ذكره ومحقق مواعيده بلوازم شكره فالالفاظ التي
جاءت في الفصلين الاولين متساوية وزنا وقافية والالفاظ التي جاءت في
الفصلين الاخرين فيها تخالف في الوزن فانّ مواعيد تخالف وزن عبيده ولا تخالف
قافيتها التي هي الدال ومن ذلك قوله ايضا من جملة خطبة اولئك الذين اقلوا
فحملوا ورحلوا فاقاموا وبادهم الموت كما علمتم وانتم الطامعون في البقاء بعدهم
فيما زعمتم كلا والله ما اخصوا لتقروا ولا انقضوا لتسروا ولابد ان تمروا حيث
مروا فلا تغتروا بخدع الدنيا ولا تغتروا وهذا الكلام فيه ايضا ما في الذي قبله

من صحة الوزن والقافية وصحة القافية دون الوزن وكذلك قوله ايضا في خطبة
اخرى ايها الناس اسيموا القلوب في رياض الحكم واديموا النحيب على ابيضاض اللمم واطيلوا
الاعتبار بانتقاض النعم واجيلوا الافكار في انقراض الامم واما ما ورد في الشعر على مخالفة
بعض الالفاظ ايضا فكقول ذي الرمة

كحلاء في برج صفراء في دعج كانها فضة قد مسها ذهب

فصدر هذا مرصع وذيله وعجزه خال من الترصيع وعذر الشاعر في ذلك واضح لانه
مقيد بالوقوف مع الوزن والقافية الا ترى ان ذا الرمة بنى قصيدته هذه على
حرف الباء ولو رصع هذا البيت الترصيع الحقيقي لكان يلزمه بالقافية على حرفين
احدهما الباء وكان تقسيم البيت بنصفين ويماثل بين الفاظهما اي هذا النصف
وذلك مما يعسر وقوعه في الشعر وارباب هذه الصناعة يدعون الترصيع موجودا
في القسم الاول دون الثاني ومما جاء من هذا القسم فقول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار

وكذلك قول الاخر

سود ذوائبها بيض ترائبها محض ضرائبها صيغت من الكرم

النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم

وهو من اشق الصناعة مذهبا وابعدها مسلكا وذلك لان مؤلفه يلتزم ما لا
يلزمه فانّ اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو السجع الذي هو تساوي اخر
اخر الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو ان
يكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو في الشعر ان يتساوى الحروف

التي

التي قبل روي الابيات الشعرية وقد جمع ابو العلاء عبد الله بن سليمان في ذلك
كتابا وسماه كتاب اللزوم فاتى فيه بالجيد الذي يحمد والرديء الذي يذم وسنذكر
في كتابي هذا في هذا الموضع امثلة من المنثور والمنظوم يهتدى بها فمن ذلك
ما ذكرته في جملة كتاب فيفصل يتضمن ذم جبان فقلت اذا نزل به خطب ملكه
الفرق واذا صال في امر لم يدر بين الا اذا ادركه الغرق ومن ذلك ما ذكرته في عهد
كتاب الى بعض الاخوان فقلت الخادم من يهدي من دعائه وثنائه ما يلك
احدهما سماء والاخر ارضا ويصوب احدهما نفسا والاخر عرضا ويجمعا فيهما
انهما توامان غير ان هذا مستنبح من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان
فاللزوم هاهنا في الراء والضاد وكذلك ورد قولي في جملة كتاب الى ديوان الخلافة
فقلت وقد علم من شيمة الديوان العزيز انه يسر بامتداد الايدي الى بابه
واذا عتب احدها في المسألة نهاه عن اغبابه حتى لا تخلو منه الكريمة من الطاف
ولا ايديه الكريمة من الاسعاف فاللزوم ههنا في لفظتي بابه واغبابه ومن ذلك
ما كتبته في جملة كتاب الى ديوان الخلافة ايضا وهو مما شدد به عضد الخادم
من الانعام فانه قوة لليد التي خولته ولا تقوى تصعد السحب الا بكثرة عنها
الذي نزلته وغير خاف ان عبيد الدولة لها كالعمد من اطرافها ومركز الدائرة من
اطرافها ولا تؤيد السيف الا بقائمه ولا ينهض الجناح الا بقوادمه فاللزوم في هذا
الموضع في الراء والفاء فيقول اطراف واطراف ومن ذلك ما كتبته في صدر
كتاب الى الملك الافضل علي بن يوسف اهنئه بملك مصر في سنة خمس وتسعين
مائة فقلت الملوك يهنى مولانا اسعده الله الموديه باستخلاصه واجتبائه

وتكلمه حتى بلغ اشده واستخرج كرايامه ولو انصف لفتى الارض منه بوابلها والامة
بكاملها وخصوصا ارض مصر التى خطيت تشرف سلسلاه وغدت بين بحرين من فيض البحر
وفيض عيناه وكل هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التى انشاتها الا كلمه على
كلام اللزوم فيها وقرات فى كتاب الاغانى لابى الفرج ان لقيط بن زرارة تزوج بنت قيس ابن
خالد بن ذى الجدين فحظيت عنده وحظى عندها ثم قتل فامت بعده وتزوجت
زوجا فى يوم رجن وقد تطيب وشرب فطرد النمر وصرع منها ثم اتانى وبه نضح دم
فضمنى ضمه وشمنى شمه فليتنى مت ثمه من الكلام الحاوى باب اللزوم ولا كلفه
عليه وهكذا فليكن فان للكلفه وحشه يذهب برونق الصنعه وما ينبغى لمؤلف
الكلام ان يستعمل هذا النوع حتى يجى به متكلفا ومثاله فهذا المقام لمن اخذ موضوعا
رديا فاضاع جوده الصنعه فى رداءة الموضوع وقد سلك ذلك ابو العلاء بن سليمان
فمما جاء من قوله فى حرف التاء مع الخاء هذه الابيات وهى هذه

بنت عن الدنيا ولا بنت لى فيها ولا عرس ولا اخت ٥
وقد تحلت من الوزر ما تعجز ان تحمله النحت ٥
ان مدحونى ساءنى مدحهم وخلت انى فى الثرى سحت ٥

وله من ذلك الجيد كقوله

لا تطلبن بالة لك حالة فلم البليغ بغير جد مغزل ٥
سكن السماكان السما كلاهما هذا له رمح وهذا اعزل ٥

وهذا بين الاسترسال وبين الكلفه ولنا ما يكلف فيه تكلفا ظاهرا وان جاد فقوله

تنازع فى الدنيا سواك وماله ولا لك شى فى الحقيقه فيها ٥

وحكى

ولكنها ملك لرب مقتدر يعير جنوب الارض من يد فيها ٥
فيا نفس لا تعظم عليك خطوبها فتمتقوها مثل مختلفيها ٥
تداعوا الى الترب القليل فجا الدواعليه وظلوها المعترفيها ٥
وما ام صل او حليله ضيغم بأظلم من دنياك فاعترفيها ٥
تلاقى الوجود الفاديها بفرحه وتبكى على اثار منصرفيها ٥
وما هى الا شوكه ليس عندها وجيد لا زهاب لمختر فيها ٥
كما بدت للطير والوحش رازم فالفتت روس مختطفيها
تنات عن الانصاف من ضيم لم تجد سبيلا الى غايات منتصفيها ٥
فاطبق حاعنها وكفا ومقلة وقل لغويى الناس ناك لفيها ٥

وله ايضا

ارى الدنيا وما وصفت به اذا اغنت حقيرا او هقته ٥
اذا خشيت لشر عجلته وان رجيت لخير عوقته ٥
حباه كالحباله ذات مكر ونفس المرء صيد اعلقته ٥
فلا تخدع بحيلتها اريب وان هى سورته ونطقته ٥
اذاقت شهيا من جناها وصدت فاه عما ذوقته ٥

وقد ورد للعرب شى من ذلك الا انه قليل فمما جاء منه قول بعضهم فى ابيات الحماسة

وهى هذه

ان التى زعمت فوادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها ٥
بيضا باكرها النعيم فصاغها بلباقه فادقها واجلها ٥

عجبت تحيتها فظلت لصاحبي ما كان اكثرها لنا واقلها ٭

واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير الى الفواد فسلها

وهذا من اللطافة على ما تشهد لنفسه ومما يجري هذا المجري قول جريبة العبسي

من شعراء الحماسة ايضا

ولا ادوم قدري بعد ما نضجت بخلا لتمنع ما فيها اثافيها ٥

حتى تقسم شتى بين ما وسعت ولا يوبب تحت الليل عافيها ٥

ومما ورد من ذلك قول طرفة بن عبد البكري

المرء ان المال يكسب اهله   فضوحا اذا لم تعط منه نوائبه

ارى كل مال لا محالة ذاهبا وافضله ما ورث الحمد كاسبه ٥

وكذلك قول الفرزدق

وغير لوني رحلتي ولوني تردي الهواجر واعتمامي ٥

اقول لها اذا ضجرت وعضت بموركها الوراك مع الزمام ٥

علام تلفتين وانت تحتي وخير الناس كلهم امامي ٥

وكذلك قوله

منع الرجال ونفعها احدق تطلبها النساء ومرض ٥ (الحياة)

وكان اهيد الرجال اذا رآوا احدق النساء ولينها اغرا ٥ (ص)

واذا شئت ان تعلم مقادير الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العربي فيكلا

السهل الذي كانه ماجار وانظر الى ما اورده لابي العلاء المعري فان اثر الكلفة

عليه باد ظاهر وممن قصد من العرب قصيدة كلها على اللزوم كثير عزة وهي القصيدة

التي

التي اولها

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت ٥

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتا وهي مع ذلك سهلة لينة يكاد يقرق

من لينها وسهولتها وليس عليها من اثر الكلفة شيء ولو لا خوف الاطالة لاوردتها

بجملتها وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد في ابيات الحماسة وهو

وفتية ليت لهذي العيس قد مليت من ترق وطيش ٥

اذا بدت قلت امير الجيش من ذاقها يعرف طعم العيش ٥

وهذا ليس من باب اللزوم لان اللزوم هو ان يلتزم الناظم او الناثر ما لا يلزمه كقولنا

مرق وفرق مثلا فانه لو قيل بدلا من ذلك سرق وحنق لجاز وفي هذه الابيات لا

يقع الامر كذلك لانه قيل طيش وعيش لما جاز وهذا يقال له الردف في الشعر وهو الياء

والواو قبل حرف الروي واذا جيء بذلك في الشعر او في الكلام المنثور لا يقال انه التزم

ما لا يلزمه لان الملتزم ما لا يلزمه مندوحة في العدول الى غيره وههنا لا مندوحة

ومن لطيف ذلك ما يروى لامراة من البصرة تمتت بابي نواس فقالت

ان حري حزنبل حزابيه اذا قعدت فوقه نبا بيه ٥

كالارنب الجاثم فوق الرابيه ٥

وكذلك ورد قول ابي تمام وهو

خدم العلى فخدمنه وهي التي لا تخدم الاقوام ما لم تخدم ٥

فاذا ارتقى في قلة من سودد قالت له الاخرى بلغت تقدم ٥

وله من ابيات يتضمن مرثية

لقد جمعت متابه وزهيره وتغلبه اخرى الليالى ووابله ٥

ومبتدر المعروف تسرى هباته اليهم ولا تسرى اليهم غوائله ٥

طواه الردى طى الرداء وغيبت فضائله عن قومه وفواضله ٥

طوى شيما كانت تروح وتغتدى وسائل من اعيت عليه وسائله ٥

فيا عارضا للعرف اقلع مزنه ويا واديا للجود جفت مسايله ٥

الم تر ان ترفع عيني على المجد النجم المشرق افله ٥

واخصلها فيه كالوائيه طريد الليالى الى اخصلى نوافله ٥

وهذا من احسن ما يجى فى هذا الباب وليس بمتكلف كشعر ابى العلاء فان حسن هذا مطبوع وحسن ذاك مصنوع وكذلك اقول فى غير اللزوم من الانواع المذكورة او لا فان الالفاظ اذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع وكانت غير مستجلبة ولا متكلفة جاءت غير محتاجة الى الساقى ولا شك ان صورة الخلقة غير صورة التحلى فان قيل فما الفرق بين المتكلف من هذه الانواع وغير المتكلف قلت فى الجواب اما المتكلف فهو الذى ياتى بالفكرة والروية وذلك ان تنصب الخاطر فى طلبه وتبعث على تتبعه واقتصاص اثره وغير المتكلف ياتى مسترسلا من ذلك كله وهو ان الشاعر فى نظم قصيدته او الخطيب والكاتب فى انشاء خطبته او كتابه فبينا هو كذلك اذ سنح له نوع من هذه الانواع بالاتفاق لا بالسعى والطلب الا ترى الى قول ابى تمام فى مثل هذا الموضع وهو

انزلنا الاطلال لا تعبا بها انها من كل بؤس دانية ٥

وانفسا لراح على خرها انما دنياك دار فانية ٥

من عقار من راها قال لى صيدت الشمس لنا فى آنية ٥

وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله ايضا كم غلام ذى محاسن افتديه ناطف ياسين وهذا ياسين كان يبيع الناطف ببغداد وحكى ابراهيم الانبد قال رايت شيخا ضعيفا يبيع ناطفا نزرا ولكن الحال كانت واسعة والسلعة نافقة وكنت ممن يشار الى حتى قال ابو نواس وانشد هذا البيت فانظر ايها المتامل ما احلى لفظ ابى نواس فى لزومه واعراه عن الكلفة وكذلك قلت كن الالفاظ فى اللزوم وغيره واعلم انه اذا صغرت الكلمة الاخيرة من الشعر او من فواصل الكلام المنثور فان ذلك ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضا عن تساوى الحروف التى قبل روى الابيات الشعرية والحروف التى قبل الفاصلة من النثر فمن ذلك قول بعضهم ٥

عز على ليلى بذى الشدير سوء مبيتى ليلة القمير ٥

مقبضا نفسى فى طمير تنتهز الرعدة فى ظهير ٥

يهفو الى الزور من صدير ظمآن فى ريح وفى مطير ٥

وازرق ليس بالقرير من لدما ظهر الى سحير ٥

حتى بدت لى جبهة القمير لاربع خلون من شهير ٥

وهذا من محاسن الشعر فى هذا الباب فاعرفه واحسن منه ما ورد من ابى نواس وعن عنان جارية الناطفى له معها حكايات كثيرة غير هذه فقال ابو نواس اما ترى لعب يكونه منك قطيره ٥ فقالت عنان اباى تعنى بهذا عليك فاجلد عميرة ٥ فقال ابو نواس اخاف ان دمت هذا على

فقلت له يا شيخ اما زلت فهذه الصناعة قال مذ كنت صح

على يدى منك غيره ٥ فالبيت الاول من هذا الباب وكذا ثانيه واما الثالث
جاء ضمنا وتبعا وقد ورد فى القرآن الكريم شئ من اللزوم الا انه يسير جدا
فمن ذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق وقوله
والطور وكتاب مسطور وكذلك ورد قوله تعالى فى هذه السورة فذكر فما انت
بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وربما
وقع لبعض الجهال فى هذا الموضع ان دخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى ان المتقين
فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم وهذا
لا يدخل فى باب اللزوم لان الاصل فيه نعم وجحم والياء هى حروف المد واللين
ولا يعتد بها فيهما ومن هذا الباب قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وكذلك ورد قوله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون
بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير وعلى هذا الاسلوب
جاء قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام يا ابت انى اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم
لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا ٥ وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى قال
قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى
وقد قدمت اليكم بالوعيد ولا تجد امثال ذلك فى القرآن الا قليلا ٥
تم الجزء الاول من كتاب المثل السائر ويتلوه ان شاء الله تعالى فى الجزء الثانى ٥
قد وقع الفراغ فى اواسط اوائل الثانى ..... لكتابة الاول فى سنه ١٢٨٥



